

الـمُعِـــين

على فهم معاني الجمع بين الصحيحين

إعداد

أم سعد/ توحة بنت عبد العزيز عبد ربه

إشراف

أحمد بن محمد الصقعوب

(الجزء الرابع)

إصدار

مركز حفاظ السنة ببريـدة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ذكر الأنبياء وفضلهم

المفردات

- خليلًا: الخُلَّة: هي المودة والصداقة.
- القَدوم: رُوي بالتشديد والتخفيف، واختُلف في معناه، قيل: هو قرية بالشام، وقيل: هو آلة النجار، والأخير هو المراد في الحديث، وهو قول الأكثر.
- إِنِّي سَقِيم: أي مريض، أشار إلىٰ مرض الطاعون، وكانوا يهربون منه، ولذلك تولوا عنه مدبرين.

الفوائد

• باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾

- فيه فضيلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومبادرته لأمر ربه، فقد روىٰ أبو يعلىٰ (أُمر إبراهيم بالختان، فاختتن بقدوم فاشتد عليه، فأوحىٰ إليه الله: أن عجلت قبل أن نأمرك بآلته، فقال: كرهت أن أؤخر أمرك).

- وفيه مشروعية الختان، حتىٰ لو تأخر لمانع حتىٰ بلغ السن المذكور لم يسقط طلبه، والواجب المبادرة به عند بلوغ السن الذي يؤمر فيه الصبي بالصلاة، ويستحب الاختتان في الصغر لتسهيل الأمر علىٰ الصغير.

• باب قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾

- (نحن أحق بالشك من إبراهيم): أي: أن الشك مستحيل في حق إبراهيم، ولو كان الشك في إحياء الموتىٰ متطرقًا إلىٰ الأنبياء ﵈ لكنت أحق به منهم، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم لم يشك، وقد قاله ﷺ تواضعًا وتأدبًا، وإلا فهو سيد ولد آدم ﷺ.

- (ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد): المراد بالركن الشديد هو الله ﷻ، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها، يشير ﷺ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[هود:٨٠].

- (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي): أي: لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن، ولما قَدَّمتُ عليه طلب البراءة، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج، وفيه فضيلة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوة نفسه في الخير، وكمال صبره وحسن نظره، وقد قال النبي ﷺ ذلك تواضعًا، وإيثارًا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كِتَابُ ذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ وَفَضْلِهِمْ

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾

١١٥٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَاخْتَتَنَ بِالْقَدُومِ.

بَابُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾

١١٥٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾[1]، وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾

١١٥٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]، قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ ﷻ: قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ[3]. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي. فَأَتَى

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَنْجَزَهَا.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ...
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ.

- ٥ -

• باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾

- (لم يكذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا ثلاث كذبات): إطلاق الكذب علىٰ الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذبًا؛ لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليس بكذب محض.

- (ثنتين منهن في ذات الله): خصهما بذلك؛ لأن قصة سارة وإن كانت أيضًا في ذات الله ﷻ، لكن تضمنت حظًّا لنفسه ونفعًا له، بخلاف الثنتين الأخيرتين، فإنهما في ذات الله ﷻ محضًا.

- (قال: أختي): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أراد إبراهيم دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجًا في الحياة حملته الغيرة علىٰ قتله وإعدامه، أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخًا، فإن الغيرة حينئذٍ تكون من قِبَل الأخ خاصة لا من قِبَل الملك فلا يبالي به.

المفردات

- **مَهْيَا**: أي: ما الخبر؟
- **فغُطَّ**: أي اختنق حتىٰ صار كأنه مصروع.
- **رَكَضَ**: أي: حَرَّك.

الفوائد

- **(ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك)**: يُشكِل عليه كون لوط كان معه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦]، ويجاب عليه بأن مراده بالأرض: الأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط إذ ذاك.

- **(إنما أتيتموني بشيطان)**: الشيطان هو المتمرد من الجن، وهذا يناسب ما وقع له من الصرع، وكانوا قبل الإسلام يعظمون الجن جدًّا، ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

- **(فَأَخْدَمَها هاجر)**: وهبها لها لتخدمها؛ لأنه أَعْظَمَها أن تخدم نفسها.

- **(تلك أمكم يا بني ماء السماء)**: قال ابن حجر ﷺ: كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القَطْر؛ لأجل رعي دوابهم، وفيه متمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم، لأن الله ﷻ أنبعها لهاجر، فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولادها، وقيل: سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه، فأشبه ماء السماء، وعلىٰ هذا فلا متمسك فيه. ا.هـ.

- وقال الخطابي: يريد العرب لانتجاعهم الغيث، وقيل: أراد الأنصار؛ لأنهم ينسبون إلىٰ ماء السماء وهو عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة وكان يُعرف بماء السماء.

- **(اللَّهُمَّ إن كنت آمنت بك..)**: ليس للشك، وتقديره: إن كنت مقبولة الإيمان عندك.

- في الحديث: مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح.

- وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، وأنه من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلىٰ الصلاة، وفيه أن الوضوء كان مشروعًا للأمم قبلنا، وليس مختصًّا بهذه الأمة ولا بالأنبياء؛ لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور علىٰ أنها ليست بنبيَّة.

سَارَةَ، قَالَ: يَا سَارَةُ! لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبِينِي[1]. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا[2]، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي، وَلَا أَضُرُّكِ. فَدَعَتِ اللهَ، فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي، وَلَا أَضُرُّكِ. فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ! إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ[3]. فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، (فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ)[4]: مَهْيَا؟ قَالَتْ: (رَدَّ اللهُ كَيْدَ) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: كَفَّ اللهُ يَدَ ـ (الْكَافِرِ، أَوِ) الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي؛ فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ. فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ! فَأُرْسِلَ)، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا. . .

بَابُ حَدِيثِ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى ﷺ

١١٥٧ ـ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: (وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي. قُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!) إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ! فَقَالَ: كَذَبَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ؛ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي؛ فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا...

- ٦ -

- وفيه فضيلة لإبراهيم ﷺ حيث التجأ إلىٰ ربه وقام يصلي، ومعجزة ظاهرة له؛ لما ذكره ابن حجر ﷺ: إن الله كشف لإبراهيم حتىٰ رأىٰ حال الملك مع سارة معاينة، وأنه لم يصل منها إلىٰ شيء.

• باب حديث الخضر مع موسى ﷺ

*** حديث سعيد بن جبير:**

- **(جعلني الله فداءك)**: فيه حجة لمن أجاز ذلك خلافًا لمن منعه.

- **(نوفًا البكالي)**: تابعي فاضل كان عالمًا حكيمًا قاضيًا وإمامًا لأهل دمشق، وكان ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل غير ذلك.

- **(كذب عدو الله)**: لم يُرد ابن عباس ﷺ إخراج نوف عن ولاية الله ﷻ، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق، فيطلقون مثل هذا الكلام؛ لقصد الزجر والتحذير منه، وحقيقته غير مرادة، وفيه أن للعالم إذا كان عنده علم بشيء فسمع غيره يذكر فيه شيئًا بغير علم أن يكذبه، ونظير قوله ﷺ: (كذب أبو السنابل) أي: أخبر بما هو باطل في نفس الأمر.

المفردات

- **مِكْتَل:** هو الزَّنبيل، وهو القُفَّة.
- **نُونًا:** أي: حوتا.
- **سَرَبًا:** أي: مذهبًا ومسلكًا يَسرُب فيه.
- **جِرْيَةَ الماء:** أي: جري الماء.
- **الطَّاق:** أي: الكُوَّة.
- **نَبْـغِ:** أي: نطلب؛ لأن فقد الحوت علامة على الموضع الذي فيه الخضر.
- **(ءَاثَارِهِما قَصَصًا):** أي: رجعا يتبعان آثار سيرهما.

الفوائد

- **(فسُئل: أي الناس أعلم؟):** قال ابن حجر ﷺ: والذي يظهر أن السؤال وقع لموسىٰ بَعْدُ لم يفارق المجلس، ويؤيده أن في منازعة ابن عباس والحر بن قيس ﵄: (بينما موسىٰ في ملأ بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك) الحديث.
- **(حتى إذا فاضت العيون ورقَّت القلوب ولَّى):** فيه أن الواعظ إذا أثَّر وعظه في السامعين، فخشوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا.
- **(فقال: أنا):** أي: في اعتقاده وإلا فكان الخضر أعلم منه كما صرح به الحديث.
- **(فَعَتَبَ الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه):** أي: كان حقه أن يقول: الله أعلم فإن مخلوقات الله تعالىٰ لا يعلمها إلا هو، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١].
- **(لي عبد بمجمع البحرين):** قيل: بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل: أنه بإفريقية، وقيل غير ذلك.
- **(هو أعلم منك):** أي: في أمر مخصوص لا مطلقًا، لقوله بعد ذلك: (إني علىٰ علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم علمكه الله لا أعلمه).
- **(تأخذ حوتًا):** وفي رواية عند مسلم: (فقيل له: تزود حوتًا مالحًا، فإنه حيث تفقد الحوت) ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتًا؛ لأنه لا يُملَّح وهو حي، ومنه تُعلم الحكمة في تخصيص الحوت دون غيره من الحيوانات؛ لأن غيره لا يؤكل ميتًا.

عَدُوُّ اللهِ! حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَفِي رِوَايَةٍ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا[١]، (حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ وَلَّى) -، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَبْدُنَا خَضِرٌ -. قَالَ: أَيْ رَبِّ! وَمَنْ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا[٢]، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ (وَفِي رِوَايَةٍ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ). وَأَخَذَ حُوتًا، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ لِفَتَاهُ: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ. قَالَ: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا). حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ، فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَمُوسَى نَائِمٌ، (فَقَالَ فَتَاهُ: لَا أُوقِظُهُ). حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ -، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾. وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلَهُمَا عَجَبًا، قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ[٣]، فَإِذَا

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَالِحًا.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي. فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ.

- ٧ -

- **(﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]):** في رواية سفيان: (ولم يجد موسىٰ النَّصب حتىٰ جاوز المكان الذي أمر الله به)، وفيه جواز الإخبار بالتعب، ويلحق به الألم من مرض ونحوه إن لم يكن فيه تسخط من القدر.
- قال النووي ﷺ: استدل العلماء بسؤال موسىٰ السبيل إلىٰ لقاء الخضر علىٰ استحباب الرحلة في طلب العلم، واستحباب الاستكثار منه، وأنه يستحب للعالِم وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذ ممَّن هو أعلم منه، ويسعىٰ إليه في تحصيله، وفيه: فضيلة طلب العلم، وفي تزوده الحوت وغيره التزوُّد في السفر ا.هـ.
- وفيه كذلك: استحباب لقاء المشائخ، وتجشُّم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالأتباع، وإطلاق الفتىٰ علىٰ التابع، واستخدام الحُر، وطواعية الخادم لمخدومه، وعذر الناسي.

رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ[١]، فَسَلَّمَ مُوسَى - وَفِي رِوَايَةٍ: فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ -، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟[٢] قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾. قَالَ: (وَفِي رِوَايَةٍ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ؟) يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ. قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِمْرًا﴾، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ (نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ)، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ (وَفِي رِوَايَةٍ: وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ) مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ. (إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ) فَنَزَعَ لَوْحًا. (قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ) (وَفِي رِوَايَةٍ: وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا)؛ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟! قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾. فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا (وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا)، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ (وَفِي رِوَايَةٍ: أَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا، فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ)، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا. أَوْ قَالَ: عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، مَنْ أَنْتَ؟.

- ٨ -

المفردات

- **مُسَجًّى:** أي: مُغطىً.
- **وأَنَّى بأَرْضِك:** أي: من أين؟
- **نَوْلٍ:** أي: جُعْل.
- **إِمْرًا:** أي: جئت شيئًا عظيمًا من المنكر، وإمرًا أشد من نُكرًا، لأن إغراق من في السفينة بعد إحسانهم إليه أنكر من قتل الغلام فهي نفس واحدة.

الفوائد

- **(قال موسى بني إسرائيل؟):** فيه دليل علىٰ أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله ﷻ، إذ لو كان الخضر يعلم كل غيب لعرف موسىٰ قبل أن يسأله.

- **(أتيتك لتعلمني ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:٦٦]):** فيه أن العلم النافع هو العلم المرشد إلىٰ الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوىٰ ذلك فإما أن يكون ضارًا أو ليس فيه فائدة، وفيه أدب طالب العلم مع العالم.

- **(﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧]):** كذا أطلق بالصيغة الدالة علىٰ استمرار النفي لما أطلعه الله عليه من أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يصبر علىٰ ترك الإنكار إذا رأىٰ ما يخالف به الشرع؛ لأن ذلك شأن عصمته، ولذلك لم يسأله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن شيء من أمور الديانة، بل مشىٰ معه ليشاهد منه ما يطَّلع به علىٰ منزلته في العلم الذي اخْتُص به.

- **(ما نقص علمي وعلمك «وفي رواية: وعلم الخلائق» من علم الله..):** قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: لفظ النقص ليس علىٰ ظاهره؛ لأن علم الله ﷻ لا يدخله النقص، فقيل: معناه لم يأخذ، وهذا توجيه حسن، ويكون التشبيه واقعًا علىٰ الأخذ لا علىٰ المأخوذ منه، وأحسن منه أن المراد بالعلم المعلوم بدليل دخول حرف التبعيض.

- **(مروا بغلام يلعب مع الصبيان..):** فيه أنه كان صبيًّا ليس ببالغ لأنه حقيقة الغلام، وهذا قول الجمهور أنه لم يكن بالغًا، ولا يشكل عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[الكهف:٧٤] لأنه إما يُراد به التنبيه علىٰ أنه قُتل بغير وجه حق، أو يحتمل أن شرعهم كان يوجب القصاص علىٰ الصبي كما أنه في شرعنا يؤاخذ بغرامة المتلفات.

- **(أخذ غلامًا كافرًا):** سمَّاه بما يؤول إليه لو عاش، ويؤيده رواية مسلم: (طُبع يوم طُبع كافرًا) وفيه حجة بينة لأهل السنة لصحة مذهبهم في الطبع والرَّين والحجب وأشباه ذلك من الألفاظ الواردة في الشرع في أفعال الله تعالىٰ بقلوب أهل الكفر والضلال، وهذا علىٰ أصل أهل السنة أن العبد لا قدرة له إلا علىٰ ما أراده الله تعالىٰ ويسَّره له وخلقه له، خلافًا للمعتزلة والقدرية القائلين بأن للعبد فِعلاً من قبل نفسه، وقدرة علىٰ الهدىٰ والضلال، والإيمان والكفر، والخير والشر.

- وفيه دليل لأهل السنة علىٰ أن الله تعالىٰ أعلم بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلىٰ ذلك يُحمل تقدير الله ﷻ وقضائه علىٰ عباده من كفر وضلال وإيمان وهدىٰ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت:٤٦].

- **(﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[الكهف:٧٤]):** فيها أن الأمور تجرىٰ أحكامها علىٰ ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها، فظاهر هذه الأمور أنها من المنكر، وموسىٰ لا يسعه السكوت عنها في غير هذه الحال التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عَلَيْهِ السَّلَامُ وبادر إلىٰ الحكم ولم يلتفت إلىٰ هذا العارض الذي يوجب عليه الصبر وعدم المبادرة إلىٰ الإنكار.

- فيه قاعدة جليلة من قواعد الدِّين أنه يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، ويراعىٰ أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شراً، ولكن بقاؤهُ حتىٰ يفتن أبويه عن دينهما شرًّا منه، فتقدم المفسدة الأدنىٰ وهي قتل الغلام؛ لاتقاء المفسدة الأكبر وهي فتنة أبويه.

المفردات

- **فَرْوَة بيضاء:** الفروة هي وجه الأرض، وقيل: قطعة يابسة من حشيش.
- **يَنْقَضَّ:** أي يَنْهَدِم.

الفوائد

- (﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾[الكهف:٧٦]): وقد التزم موسىٰ عليه السلام ما اشترط علىٰ نفسه، فإن الخضر قال له لما أخلف الشرط: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[الكهف:٧٨] فلم ينكر عليه موسىٰ عليه السلام ذلك، وفيه العمل بمقتضىٰ ما دلَّ عليه الشرط، وفيه أنه ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال حتىٰ يعتبه ويعذر منه، وأن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

- (﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[الكهف:٧٧]... فأقامه): فيه أن عمل الإنسان في مال غيره -إن كان علىٰ وجه المصلحة وإزالة المفسدة- أنه يجوز، ولو بلا إذن، حتىٰ لو ترتب علىٰ عمله إتلاف بعض مال الغير كما في عمل الخضر في السفينة.

- (﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[الكهف:٧٧]): أسلوب رقيق فيه عرض لطيف، وفيه حسن أدب موسىٰ عليه السلام، وفيه دليل أن علىٰ طالب العلم أن يتلطف مع شيخه وأستاذه.

- وفي الحديث جملة من الفوائد والقواعد المهمة منها: أنه لا بأس علىٰ العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة، ولا يكون هذا من أخذ العوض علىٰ تعليم العلم والآداب، بل هو من مروءات الأصحاب وحسن العشرة، ودليله من هذه القصة حمل فتاه غداءهما، وحمل أصحاب السفينة موسىٰ والخضر بغير أجرة لمعرفتهم الخضر بالصلاح.

- وفيه بيان أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول، ولا يفهمه أكثر الناس، وموضع الدلالة قتل الغلام وخرق السفينة، فإن صورتهما صورة المنكر، وكان في الأمر حكم بينة لا تظهر للخلق، فإذا أعلمهم الله بها علموها ولهذا قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[الكهف:٨٢] يعني بأمر الله.

- وفيه أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قَدَر مَحْضٌ أجراها الله وجعلها علىٰ يد العبد الصالح؛ ليستدل العباد علىٰ ألطافه في أقضيته، وأنه يقدِّر علىٰ العبد أمورًا يكرهها جدًّا ولكن فيها صلاح دينه كما في قضية الغلام، أو فيها صلاح دنياه كما في قصة أصحاب السفينة.

ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **زَاكِيَةً** ـ ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا[(١)] ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ **مَائِلًا، أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **فَأَقَامَهُ** ـ، قَالَ: **قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ!** ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا[(٢)] ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ[(٣)] سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا**. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَامَهُمْ ﴿مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صَالِحَةٍ ﴿غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ﴾ كَافِرًا وَكَانَ ﴿أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾[(٤)].

• (وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ**).

بَابُ فَضْلِ مُوسَى وَيُونُسَ عليهما السلام*

١١٥٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ! فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: **رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى! لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ**. قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ: **رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿**لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ**.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**.

- ٩ -

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

- (إنما سُمي بالخضر..): فيه بيان لسبب تلقيبه بالخضر، وقد ورد عن وهب بن منبه أن اسمه بَلْيَا بن مَلْكَان، وكان أبوه من الملوك.

- (فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء): فيه وفيما أطلعه الله عليه من الغيب إثبات الكرامات للأولياء علىٰ قول من يقول: إن الخضر وليٌّ، مع أن الأكثر علىٰ أنه نبي واستدلوا بأدلة عديدة أصرحها ما قاله في نهاية القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[الكهف:٨٢] ما يدل علىٰ أنه يتلقىٰ الوحي والأوامر من الله تعالىٰ -والله أعلم-.

• **باب فضل موسى ويونس عليهما السلام**

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

- (فقام فلطم وجهه): إنما صنع ذلك لما فهمه من عموم قوله: (والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر) فيدخل فيه محمدﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمدًا ﷺ أفضل، وقد جاء ذلك مُبينًا في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري أن الضارب قال لليهودي: (أي خبيث علىٰ محمد؟) فدلّ علىٰ أنه لطم اليهودي عقوبة له علىٰ كذِبَه عنده.

اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ! ـ وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ـ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ (وَفِي رِوَايَةٍ: بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ)، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ! ـ. وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى.

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ).

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ](١)، قَالَ: لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى. وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: (فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ).

بَابُ وَفَاةِ مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ

١١٥٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ(٢)، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ! فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ:(٣) يَضَعُ يَدَهُ عَلَى

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِمَعْنَاهُ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَفَقَأَ عَيْنَهُ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ...

- ١٠ -

المفردات

- فَيَصْعَقُ: الصَّعْقُ: هو غَشْيٌ يَلْحَقُ من سمع صوتًا أو رأىٰ شيئًا يفزع منه، وقد يُراد به الموت والهلاك.
- صَكَّهُ: ضرب فيه ضربة شديدة.

الفوائد

- (لا تُفَضِّلُوا بين أنبياء الله): المراد به التفضيل الذي يؤدي إلىٰ انتقاص المفضول، أو التفضيل الذي يؤدي إلىٰ التنازع والخصومة، وإلا لابد من اعتقاد التفضيل لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

- (فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور): قال القاضي: وهذا من أشكل الأحاديث؛ لأن موسىٰ قد مات فكيف تدركه الصعقة، وإنما يُصعق الأحياء.

ثم قال رحمه الله: يُحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض فتنتظم حينئذٍ الآيات والأحاديث، ويؤيده قوله ﷺ: (فأفاق) لأنه إنما يُقال: أفاق من الغَشْي، وأما الموت فيقال: بعث منه، وصعقة الطور لم تكن موتًا ا.هـ.

- (أم بعث قبلي): يحتمل أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

- (ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متَّىٰ): (وفي رواية: من قال: أنا خير من يونس بن متَّىٰ فقد كذب) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الباب: (لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متَّىٰ) هذه الأحاديث تحتمل وجهين: أن الضمير في قوله: (أنا خير من يونس بن متَّىٰ) عائد إلىٰ النبي ﷺ ويكون قاله قبل علمه بأنه أفضل الخلق أو قاله تواضعًا، أو يكون الضمير عائد إلىٰ القائل: أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، وقيل: قد خصَّ النبي ﷺ يونس عليه السلام بالذكر لِمَا يُخشىٰ علىٰ من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ في ذكر فضله لِسدِّ هذه الذريعة.

- المراد بالنهي الوارد في الباب عن المفاضلة بين الأنبياء هو النهي عن إطلاق ألسنة البشر فيه، فيتناولوه بآرائهم وأفكارهم، فيقعوا في الأنبياء كما وقع أهل الكتاب فيهم، فنسبوا إلىٰ بعضهم ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم السلام، فأمر المفاضلة بين الأنبياء موكول إلىٰ الله عز وجل، ومعيار هذا التفاضل متعلق بالنبوة والرسالة، مثل تكليمه لموسىٰ عليه السلام، وتأييده عيسىٰ عليه السلام بروح القدس، وعليه فلا يجوز تفضيل الأنبياء بعضهم علىٰ بعض لشخوصهم أو أحوالهم الخاصة، ولا المفاضلة بينهم علىٰ أسس أخلاقية أو خلقية، ومن ذلك عدم جواز تفضيل رسول الله ﷺ علىٰ يونس لأنه خرج مغاضبًا، مع الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ هو أفضل الأنبياء، بل أفضل الخلق جميعًا.

- أحاديث الباب فيها فضل موسىٰ ويونس عليهما السلام، وفيها الحث علىٰ اجتناب أسباب النزاع والجدل في الدين الذي لا فائدة منه، وفيه استعداء الذمي علىٰ المسلم، ورفعه إلىٰ الحاكم، وسماع الحاكم دعواه، وتعليم من لم يعرف الحكم ما خفي عليه منه، والاكتفاء بذلك في حق المسلم، وأن الذمي إذا أقدم من القول علىٰ ما لا علم له به جاز للمسلم المعروف بالعلم تعزيره علىٰ ذلك ما لم يترتب عليه مفسدة أو فتنة.

• باب وفاة موسى وذكره بعد

- (فلما جاءه صَكَّهُ): أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، قالوا: كيف يجوز علىٰ موسىٰ فقء عين ملك الموت؟ وأجاب العلماء علىٰ ذلك بأجوبة أقربها: أن موسىٰ عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلىٰ فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء، ويُؤيد ذلك أنه لما أتاه في المرة الثانية بعلامة عَلِم بها أنه ملك الموت استسلم له بخلاف المرة الأولىٰ.

مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالْآنَ. فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ.

وَفِي رِوَايَةٍ جَاءَ مَرْفُوعًا بِنَحْوِهِ.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾

١١٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: **أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ**. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: **فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: **فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ**[1]**، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**. وَفِي رِوَايَةٍ: **وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **حَتَّى يَقَعَ فِيهِ** ـ **وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ** (وَفِي رِوَايَةٍ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ) **ذَا الْوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**.

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: **الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ** عليهم السلام).

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى»

١١٦١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ** ـ وَفِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ.

- ١١ -

المفردات

- **مَتْنِ ثَوْر**: هو الظهر، وقيل: مُكْتَنَفُ الصُّلب بين العصب واللَّحم.
- **الكَثِيب**: قطعة من الرمل مستطيلة تشبه الربوة من التراب.
- **مَعَادِن**: جمع معدن وهو كناية عن الأصول.
- **أنا أَوْلى**: أي: أخصهم به وأقربهم إليه.
- **إخوة لِعَلَّات**: إخوة من أب أمهاتهم شتىٰ.

الفوائد

- **(بكل شعرة سنة)**: استدل به علىٰ جواز الزيادة في العمر حقيقة، وأجيب بأن موسىٰ عليه السلام كان قد قَرُب حضور أجله، ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتَين، فأُمر بقبض روحه أولاً مع سبق علم الله ﷻ أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة، وإن لم يُطلع ملك الموت علىٰ ذلك أولًا.

- **(فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة)**: وذلك لشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم، قال النووي رحمه الله: وفي هذا استحباب الدَّفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين ا.هـ. ومحل الاستحباب إن كان القصد منه تعريض المدفون بينهم إلىٰ دعاء أهل الخير والصلاح الذين يمرون علىٰ هذه المقابر للدعاء لأهلها والاستغفار لمن فيها، وهذا مقصد شرعي يجيز طلب الدفن في الأماكن الفاضلة، وأما استحباب ذلك ظنًّا أن الميت ينتفع بجوار الصالحين لبركتهم ونحو ذلك فلا يُشرع.

- وأما سؤال موسىٰ عليه السلام الإدناء ولم يسأل بيت المقدس نفسه، فقيل: لأنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيُفتن الناس به، وقيل: لأنه مات في التيه مع قومه قبل فتح الأرض المقدسة علىٰ الصحيح، فكأنه لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها، ولا يمكن نبشه بعد ذلك لِيُنقل إليها فَطَلَب الدنو منها، لأن من قارب الشيء يُعطىٰ حكمه.

- حديث الباب فيه فضل موسىٰ عليه السلام ومقامه عند ربه، وذلك لأنه لم يعاتبه علىٰ لطم ملك الموت وفقوء عينه، لأن موسىٰ عليه السلام قام المقامات العظيمة في ذات الله ﷻ: قاوم فرعون عدو الله، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وكان شديد الغضب لربه، فاحتُمل منه ما لم يُحتمل من غيره.

• **باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾**

- حديث الباب فيه فضل يوسف عليه السلام، وقد جمع يوسف عليه السلام مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب، وكونه نبيًّا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم خليل الله عليه السلام، وانضمَّ إليه شرف علم الرُّؤيا وتمكنه فيه، ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة، وحياطته للرعية وعموم نفعه إياهم وشفقته عليهم وإنقاذه إياهم من تلك السنين.

- وفيه أن أكمل الكرم وأعمَّه هو تقوىٰ الله ﷻ، لأن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقيًا كان كثير الخير، وكثير الفائدة في الدنيا، وصاحب الدَّرجات العلىٰ في الآخرة.

- وفيه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس، وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كلَّه عمومه وخصوصه ومجمله ومبيَّنه إنما هو من التقوىٰ والنبوة والإعْرَاق فيها والإسلام مع الفقه.

- **(أشدهم له كراهية حتى يقع فيه)**: أي: أن من لم يكن حريصًا علىٰ الإمرة؛ لما فيها من صعوبة العمل بالعدل، وحمل الناس علىٰ رفع الظلم، ومطالبة الله تعالىٰ للقائم بها من حقوقه وحقوق العباد، فمن كان غير راغب فيها إذا حصلت له بغير سؤال تزول عنه الكراهة فيها، لما يُرىٰ من إعانة الله ﷻ له عليها.

- **(ذا الوجهين)**: قال النووي رحمه الله: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع، وتحيّل علىٰ الاطلاع علىٰ أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة، قال: أما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود.

• **باب قول النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى»**

- حديث الباب فيه أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع لاختلاف الأزمان والأقوام وغير ذلك.

رِوَايَةٍ: أَوْلَادُ عَلَّاتٍ ـ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ.

بَابٌ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

١١٦٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

(وَفِي رِوَايَةٍ: كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ).

بَابُ قَوْلِ عِيسَى ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ»

١١٦٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَذَّبْتُ (عَيْنِي)[1].



(١) وَلِمُسْلِمٍ: نَفْسِي.

الفوائد

- **(ليس بيني وبينه نبي)**: أي: جئت بعده، وقد بُشِّر بنبينا ﷺ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾[الصف:٦]، ولذلك قال أنه أولىٰ الناس به، قال ابن حجر: ولا منافاة بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾[آل عمران:٦٨] لأنه أولىٰ الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء، وأولاهم بعيسىٰ ابن مريم من جهة قرب العهد ا.هـ.

• **باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾**

- حديث الباب فيه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسىٰ وأمه عليهما السلام.

- **(إلا والشيطان يمسُّه حين يولد)**: وفي رواية: (كل بني آدم يطعُن الشيطان في جنبيه بإصبعه) بيان المسِّ المذكور، قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[آل عمران:٣٦] ولم يكن لمريم ذرية غير عيسىٰ عليه السلام ا.هـ.

- ولا منافاة بين الحديث وعصمة الأنبياء، وظاهر الحديث أن إبليس ممكَّن من مسِّ كل مولود عند ولادته، لكن من كان من المخلصين لم يضره ذلك المس أصلًا، واستثني من المخلصين مريم وابنها، فإنه حِيلَ بينه وبينهما، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلُّطه علىٰ غيرهما من المخلصين.

• **باب قول عيسى عليه السلام: «آمنت بالله»**

- حديث الباب فيه فضيلة لعيسىٰ عليه السلام من تعظيمه لله ﷻ.

- **(آمنت بالله وكذَّبت عيني)**: قال النووي رحمه الله: ظاهر الكلام صدَّقت من حلف بالله تعالىٰ وكذَّبت ما ظهر لي من ظاهر سرقته، فلعله أخذ ما له فيه حق أو بإذن صاحبه، أو لم يقصد الغصب والاستيلاء ا.هـ، وهذا فيه نظر؛ لأن صدر الحديث يرده وهو قول النبي ﷺ: (رأىٰ عيسىٰ رجلاً يسرق) فأثبت النبي ﷺ سرقته.

والأقرب قول ابن القيم رحمه الله: إن الله تعالىٰ كان في قلبه أجلُّ من أن يحلف به أحد كاذبًا، فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فردَّ التهمة إلىٰ بصره كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له أنه ناصح) ا.هـ.

- استدل بهذا الحديث علىٰ درء الحد بالشبهة، وعلىٰ منع القضاء بالعلم، والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقًا، وعند الشافعية جوازه إلا في الحدود، وهذه الصورة من ذلك.

كتاب فضائل الصحابة

كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ

مَنَاقِبُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ*

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

١١٦٤ ـ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا! قَالَ: (وَفِي رِوَايَةٍ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ)، **مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»

١١٦٥ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: **إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! (فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ! يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا!) فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَفِي رِوَايَةٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ! لَا تَبْكِ)، **إِنَّ (مِنْ) أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا (مِنْ أُمَّتِي) (وَفِي رِوَايَةٍ: غَيْرَ رَبِّي) لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَلَكِنْ أُخُوَّةُ**

ـ ١٣ ـ

المفردات

- **خُلَّـة الإسـلام**: أي: مودته، والخُلَّة مثلثة الخاء، والكسر أشهر في الخِلِّ.
- **زَهْرَةِ الدُّنيَا**: نعيمها وأغراضها وحظوظها.

الفوائد

مناقب أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

• **باب قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾**

- حديث الباب فيه إثبات صفة المعية لله ﷻ علىٰ حقيقتها علىٰ الوجه اللائق بجلاله وكماله، مع إثبات استوائه علىٰ عرشه، وعلوه فوق جميع خلقه، وتنزيهه عن مخالطة الخلق، فهو سبحانه عليٌّ في دنوه قريب في علوِّه، ووصفه بالمعية لا ينافي وصفه بالعلو علىٰ الوجه الذي يليق به، ومن لازم معيته ﷻ لخلقه العلم بهم ظاهرًا وباطنًا، وهو معهم معية عامة تقتضي علمه وإحاطته بهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد:٤] ، وهذه معية لجميع الخلق، أما المعية الخاصة فهي كما في حديث الباب، والتي مقتضاها النصر والعون والحفظ والتأييد.

- وفيه بيان عظيم توكل النبي ﷺ، وفيه فضيلة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي من أجلِّ مناقبه، والفضيلة من أوجه، منها قوله ﷺ: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)، ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله ورسوله، وملازمته للنبي ﷺ ومعاداة الناس فيه، وبذله نفسه وماله نصرة لله ورسوله.

• **باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»**

* **حديث أبي سعيد الخدري:**

- **(فديناك)**: دليل لجواز التفدية، وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علم أن النبي ﷺ هو العبد المخيَّر فبكىٰ حزنًا علىٰ فراقه وانقطاع الوحي وغيره من الخير دائمًا، وإنما قال ﷺ: (أن عبدًا) وأبهمه؛ لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق، فكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعلمهم به، وأفهمهم لإشارته ﷺ.

- **(أَمَنَّ الناسِ عليّ في صحبته وماله أبا بكر)**: أي: أكثرهم جودًا وسماحة لنا بنفسه وماله، وليس هو المنّ الذي هو الاعتداد بالصنيعة؛ لأنه أذىً مبطل للثواب؛ ولأن المنَّة لله ولرسوله ﷺ في قبول ذلك وفي غيره.

- **(ولو كنت متخذًا خليلاً..)**: فيه منقبة عظيمة لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لم يشاركه فيها أحد، وأنه كان متأهلاً لأن يتخذه النبي ﷺ خليلاً لولا المانع المتقدم ذكره، وفيه أن للخليل صفة خاصة تقتضي عدم المشاركة فيها.

- وفيه إشعار بأن الخُلَّة أرفع رتبة من المودة والمحبة، وأنه ﷺ لم يكن له خليل من بني آدم، وقد ثبتت محبته لجماعة من أصحابه كأبي بكر وفاطمة وعائشة والحسين وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

المفردات

- **خَوْخَةٌ**: باب صغير بين البَيْتَين.
- **أَمَنَّ**: أفعل تفضيل من المنِّ وهو العطاء.

الفوائد

- **(لا يَبْقَيَن في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)**: فيه فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه، وفيه أن المساجد تُصان عن التَّطرُّق إليها لغير ضرورة مهمة.

* **حديث ابن عباس** رضي الله عنهما:

- **(ولكن أخي وصاحبي)**: وفي رواية: (ولكن أخوة الإسلام أفضل) وفيه إشكال: فإن الخُلَّة أفضل من أخوة الإسلام؛ لأنها تستلزم ذلك وزيادة، وأجيب بأن المراد: أن مودة الإسلام مع النبي ﷺ أفضل من مودته مع غيره، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعظم وأوفر الصحابة نصيبًا من تلك المودة.

- أحاديث الباب فيها إشارة إلىٰ فضل أبي بكر رضي الله عنه ومنزلته العالية، وإلىٰ أحقية خلافته بعد رسول الله ﷺ.

- وفيه إثبات الخُلَّة لنبينا ﷺ، وفي ذلك دليل علىٰ كمال رتبته ﷺ، وعلو مقامه في عبادة الله تعالىٰ حتىٰ بلغ خلة الرحمن، وهذه درجة عليَّة لا يبلغها أحد غير الخليلين إبراهيم ونبينا عليهما السلام.

- وفيها رد علىٰ المتصوفة وغيرهم الذين يزعمون أن محمدًا ﷺ حبيب الله، وأن إبراهيم خليل الله، وأن المحبة أعلىٰ من الخُلَّة، والصواب أن الخلَّة ثابتة لنبينا محمد ﷺ كما في أحاديث الباب، وكما في رواية مسلم: (فإن الله تعالىٰ قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً).

- وفيها إثبات صفة الخُلَّة لله عز وجل علىٰ الوجه اللائق به جل وعلا، كما في جميع صفاته تبارك وتعالى، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للجهمية الذين أنكروا حقيقة الخلة، وحقيقة المحبة من الجانبين: من جانب الله تعالىٰ، ومن جانب العبد، وهذا المذهب الفاسد بخلاف ما ورد في القرآن والسنة من إثبات صفة المحبة والخلة لله تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق به سبحانه.

الإِسْلَامِ (وَمَوَدَّتُهُ) ـ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ[1].

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ)، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ...**

[وَفِي رِوَايَةٍ: **وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**][2].

• (وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما فِي الْجَدِّ، فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُهُ**؛ أَنْزَلَهُ أَبًا. يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ).

بَابُ وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالصِّدِّيقِ*

١١٦٦ ـ (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ (أُحُدًا) وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رضي الله عنهم، فَرَجَفَ بِهِمْ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ)، فَقَالَ: **اثْبُتْ (أُحُدُ)؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَ(انِ)**[3].

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ.**
• وَفِي حَدِيثِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ قَالَ: **إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا.**

(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(٣) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ، فَتَحَرَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اسْكُنْ حِرَاءُ؛ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ.** وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم.

ـ ١٤ ـ

• باب وصف النبي ﷺ له بالصديق

- حديث الباب فيه علم من أعلام نبوته ﷺ، فقد أخبر ﷺ أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان قُتلا شهيدين، وفي رواية مسلم: (وعليٌّ، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم) وكذلك قُتل عليٌّ رضي الله عنه شهيدًا، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل القتال فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل ظلمًا فهو شهيد، والمراد شهداء في أحكام الآخرة، وعظيم ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسَّلون ويُصلىٰ عليهم، وفيه بيان فضيلة هؤلاء؛ وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الشهداء: إنما سمي شهيدًا لأنه مشهود له بالجنة.

- وفيه فضيلة أبي بكر وثبوت وصف الصِّديق له رضي الله عنه.

- وفيه جواز التزكية والثناء علىٰ الإنسان في وجهه بحق، إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه.

المفردات

- **ذَاتِ السَّلاسِلِ:** هو موضع بأطراف الشام، كانت به غزوة عمرو بن العاص ﵁، وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلىٰ بعض مخافة أن يفروا، أو لأن بها ماء يقال له: السَّلسل، وقيل غير ذلك.
- **وَاثُكْلِيَاه:** أصل الثُّكل: فقد الولد أو من يعز علىٰ الفاقد، وليست حقيقته مراده هنا، بل هو مما يجري علىٰ اللسان عند حصول المصيبة أو توقعها.

الفوائد

• باب فضل أبي بكر ﵁ بعد النبي ﷺ

- أي: رتبته في الفضل، وليس المراد البعدية الزمنية، فإن فضل أبي بكر ﵁ كان ثابتًا في حياته ﷺ كما في أحاديث الباب.

- حديث عمرو بن العاص ﵁ فيه مزيَّة أبي بكر ﵁ علىٰ الرجال، وابنته عائشة ﵄ علىٰ النساء، وفضيلة عمر ﵁، وفيه دليل لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر علىٰ جميع الصحابة ﵃.

- وفيه منقبة لعمرو بن العاص ﵁ لتأميره علىٰ جيش فيهم أبو بكر وعمر ﵄، وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم، لكن يقتضي أن له فضلاً في الجملة، وفيه جواز تأمير المفضول علىٰ الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية.

* **حديث ابن عمر ﵄:**

- **(كنَّا نُخيِّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ):** أي: نقول: فلان خير من فلان، وفلان خير من فلان، وفي رواية البخاري: (كنا لا نعدل بأبي بكر أحدًا): أي: لا نجعل له مثلاً، وفيه رجحان أبي بكر ﵁ علىٰ جميع الصحابة ﵃ وأرضاهم.

- **(ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم):** ولا يشكل عليه أن عليًّا ﵁ أفضل الصحابة بعد عثمان ﵃ جميعًا، فلا يلزم من تركهم التفاضل إذ ذاك أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل علي ﵁ علىٰ سواه، وقد نقل البيهقي عن الشافعي إجماع الصحابة والتابعين علىٰ أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﵃ جميعًا، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للرافضة الذين يقولون بتفضيل علي علىٰ جميع الصحابة ﵃.

* **حديث محمد بن الحنفية:**

- فيه فضل أبي بكر وعمر ﵄، وفيه تواضع علي ﵁ لقوله: (ما أنا إلا رجل من المسلمين) لأنه قال ذلك مع معرفته حين المسألة المذكورة أنه خير الناس يومئذٍ، فقد قال ذلك بعد مقتل عثمان ﵁.

بَابُ فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ

١١٦٧ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **عَائِشَةُ**. فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: **أَبُوهَا**. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**. فَعَدَّ رِجَالًا. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ).

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﵃. وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ).

• (وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. ـ وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ ـ قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

بَابُ إِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اسْتِخْلَافِهِ*

١١٦٨ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﵁، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ ـ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ ـ قَالَ ﷺ: **إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**.

١١٦٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: (وَارَأْسَاهْ!) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ، وَأَدْعُوَ لَكِ**. فَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: وَاثُكْلِيَاهْ! وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي! وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ!) لَقَدْ هَمَمْتُ**

- ١٥ -

- أما خشية محمد بن الحنفية أن يقول: عثمان، فلأنه كان يعتقد أن أباه أفضل، فخشي أن عليًّا يقدم عثمان من باب التواضع، فيضطرب اعتقاده، لاسيما وهو في سن الحداثة كما أشار في الرواية الأخرىٰ.

• باب إشارة النبي ﷺ إلى استخلافه

- حديث جبير ﵁ فيه دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر للخلافة، وأن ذلك من النبي ﷺ بالإشارة لا التصريح، وأنه لم يُنصَّ صراحة علىٰ خلافة أبي بكر ﵁، ولو كان هناك نصٌّ ما نازع الأنصار ولا غيرهم في أول الأمر، وإنما كان إجماع الصحابة ﵃ علىٰ أبي بكر بعد ذلك لفضيلته ﵁.

* **حديث عائشة ﵂:**

- **(ذاك لو كان وأنا حيٌّ):** وعند أحمد بلفظ: (ما ضرَّك لو متِّ قبلي فكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك) وفيه مداعبة الرجل أهله، والإفضاء إليهم بما يستره عن غيرهم، وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فالمعوَّل في ذلك علىٰ عمل القلب لا نطق اللسان.

- **(لَظَلِلْتَ آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك):** فيه ما جُبلت عليه المرأة من الغيرة، وتغاضي النبي ﷺ عن ذلك منها لرحمته وشفقته، وعلمه بما فطرت عليه المرأة من مثل ذلك.

ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، وَأَعْهَدَ؛ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ: يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ[1].

بَابُ مَا فُضِّلَ بِهِ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما*

١١٧٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ)، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً (إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ـ، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ. فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ![2] بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ـ وَمَا هُمَا ثَمَّ ـ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: (هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي)، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَمَا هُمَا ثَمَّ.

١١٧١ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: وُضِعَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ[3] وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ! إِنْ كُنْتُ

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى! وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: تَعَجُّبًا وَفَزَعًا.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: وَيُثْنُونَ.

ـ ١٦ ـ

المفردات

- فَمَن لها يوم السَّبُع: أي: من لها عند الفتن حين تُتْرك لا راعي لها، فينفرد بها السَّبُع.
- فَتَكَنَّفه الناس: أي: أحاطوا به من جميع جوانبه.
- سَرِيره: أي: نَعْشِه.
- فلم يَرُعْني: أي: لم يُفْزِعني، والمراد أنه رآه بغتة.

الفوائد

- (أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد): أي: أُعَيِّن القائم بالأمر بعدي، وأما طلبه لأخيها مع أبي بكر فالمراد أنه يكتب الكتاب؛ لما في رواية مسلم: (ادْعِي لي أبا بكر أباك وأخاك حتىٰ أكتب كتابًا) لكنه مات ﷺ ولم يكتب ذلك الكتاب.

- في الحديث دلالة ظاهرة لفضل أبي بكر رضي الله عنه، وإخبار منه ﷺ بما سيقع في المستقبل بعد وفاته، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره، وفيه إشارة إلىٰ أنه سيقع نزاع ووقع كل ذلك.

• باب ما فُضِّل به مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لقوله ﷺ: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر-وما هما ثَمَّ-) وإنما قال ذلك ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته.

- وفي كلام البقرة وكلام الذئب وتعجب الناس من ذلك جواز التعجب من خوارق العادات، وتفاوت الناس في العلوم والمعارف.

- حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيه فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وشهادة عليٍّ لهما وحسن ثنائه عليهما، واعتقاده بأنه ليس لأحد عملًا في ذلك الوقت أفضل من عمر رضي الله عنه.

المفردات

- **ذَنُوبًا**: الذَّنوب هو الدَّلو العظيم، وقيل: لا تُسمىٰ بذلك إلا إذا كان فيها ماء.

- **الرِّيّ**: هو ما يُتَروَّىٰ به وهو اللبن، وقيل: الرِّي من أسماء اللبن، وقيل غير ذلك.

الفوائد

- **(لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك)**: يُحتمل أن يريد ما وقع، وهو دفنه عندهما، ويحتمل أن يريد بالمعية ما يؤول إليه الأمر بعد الموت من دخول الجنة، والمراد بصاحبيه النبي ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

• باب شهادة النبي ﷺ له بالدِّين

- حديث الباب فيه فضيلة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنه أكثر ثوابًا وأكمل دينًا من غيره ممن عُرضوا علىٰ النبي ﷺ، ولا يُشْكِل ذلك علىٰ أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل من عمر كما تقرر سابقًا، وتواترت الأحاديث تواترًا معنويًّا بأفضليته علىٰ الصحابة جميعًا، وأما هذا الحديث فيُحمل علىٰ أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يكن مع ممن عُرض، وأن المراد هو التنبيه علىٰ أن عمر حصل له الفضل البالغ في الدين، وليس فيه ما يصرِّح بانحصار ذلك فيه.

- وفيه أن تعبير القميص في النوم هو الدين، وجرُّه يدُلُّ علىٰ بقاء آثاره الجميلة وسننه الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليُقتدىٰ به، ووجه تعبير القميص بالدين: أن القميص يستر العورة في الدنيا، والدين يسترها في الآخرة، ويحجبها عن كل مكروه، والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦]، وفيه دليل علىٰ تفاضل الناس في الدين، وزيادة الإيمان ونقصانه.

- وفيه مشروعية تعبير الرؤيا، وسؤال العالم عن تعبيرها، ولو كان هو الرائي، وفيه جواز الثناء علىٰ الفاضل بما فيه؛ لإظهار منزلته عند السامعين، ومحل ذلك إذا أُمن عليه الفتنة.

• باب شهادة النبي ﷺ له بالعلم

- حديث الباب فيه فضيلة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأن الرؤيا من شأنها ألا تُحمل علىٰ ظاهرها، وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي، لكن منها ما يحتاج إلىٰ تعبير، ومنها ما يُحمل علىٰ ظاهره.

- ووجه تأويل اللبن بالعلم من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة المنافع، وكونهما سببًا للصلاح، فاللبن للغذاء البدني، والعلم للغذاء المعنوي، وكذلك أن اللبن رزق يخلقه الله طيبًا من بين أخباث من دمٍ وفَرْث، كالعلم نور يظهره الله تعالىٰ في ظلمة الجهل، فضُرب به المثل في المنام.

- والمراد بالعلم الذي شهد النبي ﷺ به لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واختُص عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بذلك؛ لطول مدته بالنسبة لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وباتفاق الناس عليه بالنسبة إلىٰ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- وفيه أن علم النبي ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه؛ لأنه شرب حتىٰ رأىٰ الرِّي يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ففيه إشارة إلىٰ ما حصل لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من العلم بالله، وأنه كان لا يأخذه في الله لومة لائم، وفيه أن من الرؤيا ما يدل علىٰ الماضي والحال والمستقبل، وهذه مما يدل علىٰ الماضي، فهي تمثيل بأمر قد وقع، لأن الذي أُعْطِيَه ﷺ من العلم كان قد حصل له، وكذلك ما أُعطيه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النِّسبة بين ما أعطيه من العلم وما أعطيه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (ذَهَبْتُ)[1] أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

مَنَاقِبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ*

بَابُ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالدِّينِ*

١١٧٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ.** قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **الدِّينَ.**

بَابُ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالْعِلْمِ*

١١٧٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ.** قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **الْعِلْمَ.**

بَابُ إِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى طُولِ خِلَافَتِهِ*

١١٧٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ وَعَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **لِيُرِيحَنِي** ـ، **فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ،**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: جِئْتُ.

- ١٧ -

- وفيه مشروعية قصِّ الكبير رؤياه علىٰ من دونه، وإلقاء العالم المسائل، واختبار أصحابه في تأويلها، وأنه من الأدب أن يَرُدَّ الطالب علم ذلك إلىٰ معلمه.

• باب إشارة النبي ﷺ إلى طول خلافته

- حديث الباب فيه إعلام بخلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصحة ولايتهما، وبيان صفتهما، وظهور آثارهما الصالحة، وانتفاع المسلمين بها، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ؛ لأنه صاحب الأمر، فشبَّه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم، وشبَّه أميرهم بالمستقي منها، وسقيه هو قيامه بمصالحهم.

- **(ثم أخذها ابن أبي قحافة -وفي رواية ليريحني-)**: فيه إشارة إلىٰ نيابة أبي بكر عنه وخلافته بعده، وراحته بعد وفاته من نصب الدنيا كما قال ﷺ.

- **(ذنوبًا أو ذنوبين)**: فيه إشارة إلىٰ ما فُتح في زمانه من الفتوح، بخلاف ما ذكر عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلم يتعرض في ذِكرِه لعدد ما نزع من الدلاء، وإنما وصف نزعه بالعظمة، إشارة إلىٰ ما وقع في خلافته من كثرة الفتوحات.

المفردات

- **غَرْبًا**: الغَرْب: الدَّلو العظيمة المتخذة من جلود البقر، وبفتح الراء: الماء الذي يسيل بين البئر والحوض.
- **عَبْقَرِيًّا**: العبقري من الرجال هو الذي ليس فوقه شيء، وقيل: نسبة إلىٰ عَبْقَر: موضع بالبادية يسكنه الجن، فأطلقته العرب علىٰ كل ما كان عظيمًا في نفسه فائقًا في جنسه.
- **بِعَطَن**: العَطَن هو مَبْرَك الإبل حول الحوض إذا شربت وصدرت.

الفوائد

- **(وفي نَزْعِه ضعف)**: ليس فيه حطٌّ من فضيلته، وإنما هو إخبار عن حاله في قصر مدة ولايته، وأما ولاية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنها لما طالت كثر انتفاع الناس بها، واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح، وتمصير الأمصار، وتدوين الدواوين.
- **(والله يغفرُ له)**: ليس فيه نقصٌ له ولا إشارة إلىٰ أنه وقع منه ذنب، وإنما هي كلمة كانوا يقولونها يُدَعِّمون بها الكلام، ويُحتمل أن يكون فيه إشارة إلىٰ أن قلة الفتوح في زمانه لا صنع له فيه؛ لأن سببه قصر مدته، فمعنىٰ المغفرة له: رفع الملام عنه.

• باب شهادة النبي ﷺ له بالجنة

- حديث الباب فيه فضيلة ظاهرة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشهادة له بالجنة، وإن كان منامًا، لكن رؤيا الأنبياء حق، ومن ثَمَّ أعمل حكم غيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ امتنع من دخول القصر.
- **(فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب القصر)**: وعند البخاري من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة) وهي أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت علىٰ قيد الحياة حينئذٍ، وفيه أن يكون تعبيره أنها من أهل الجنة؛ لقول الجمهور من أهل التعبير: إن من رأىٰ أنه دخل الجنة أنه يدخلها، فكيف إذا كان الرائي لذلك أصدق الخلق ﷺ؟
- وأما وضوؤها فيُعبَّر بنظافتها حسًّا ومعنًى، وطهارتها جسمًا وحكمًا، وكونها إلىٰ جانب قصر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففيه إشارة إلىٰ أنها تدرك خلافته، وكان ذلك.
- **(أعليك أغار)**: هو من المقلوب، والأصل أن يقول: أعليها أغار منك؟، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مراعاة الصحبة، وفيه فضيلة ظاهرة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويؤخذ منه أنه من علم من صاحبه خُلُقًا لا ينبغي أن يتعرض لما يُنَافره، وفيه جواز ذكر الرجل بما عُلِمَ من خُلقه كغيرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- في الحديث أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة، وفيه الفرح بنعمة الله وفضله؛ لبكاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سرورًا ببشرىٰ النبي ﷺ له بالجنة.

وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمْ يَزَلْ يَنْزِعُ حَتَّى تَوَلَّى النَّاسُ وَالْحَوْضُ يَتَفَجَّرُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنِّي عَلَى حَوْضِي أَسْقِي النَّاسَ...

بَابُ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالْجَنَّةِ*

١١٧٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ (وَأُمِّي) يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ؟.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا** (وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ ذَهَبٍ)...

بَابُ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِسُلُوكِ الشَّيْطَانِ فَجًّا غَيْرَ فَجِّهِ*

١١٧٦ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: **عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ**. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ! ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ؛

- ١٨ -

• باب شهادة النبي ﷺ له بسلوك الشيطان فجًّا غير فجِّه

- **(وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه)**: أي: يطلبن كثيرًا من كلامه، وجوابه بحوائجهنَّ وفتاويهنَّ.
- **(عالية أصواتهن)**: قال القاضي: يحتمل هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ، ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعها، لا أن كلام كل واحدة بانفرادها أعلىٰ من صوته ﷺ.
- **(أضحك الله سنَّك)**: أي: أدام الله لك السرور الذي سبَّب ضحكك، ويستفاد منه ما يُقال للكبير إذا ضحك.
- **(قُمْنَ يبتدرن الحجاب)**: أي: سارعن إلىٰ القيام والاختباء وراء الستر، وليس المراد به الثوب الذي يُغطىٰ به الوجه، وهو بمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣] ويؤيد هذا المعنىٰ رواية البخاري: (يبتدرن في الحجاب)، وعند الإمام أحمد: (فلما سمعن صوت عمر انقَمَعْن وسكتن) والمراد بقوله انقمعن أي: دخلن البيت وتَغَيَّبْن، وليس فيه أنهن كن سافرات عند النبي ﷺ، ولا حجة فيه لمن قال بعدم وجوب الحجاب.

المفردات

- **فجًّا**: طريقًا واسعًا.
- **قطُّ**: تأكيد للنفي.
- **مُحَدَّثون**: جمع مُحَدَّث، وهو الملهم، وهو من أُلقي في روعه شيء من قِبَل الملأ الأعلىٰ، فيكون كالذي حدَّثه غيره به.

الفوائد

- **(أنت أفظُّ وأَغْلظ)**: وذلك لأن النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره إلا في حق من حقوق الله ﷻ، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقًا وفي طلب المندوبات، فلهذا قال النسوة له ذلك.

- في الحديث فضل لين الجانب والحلم والرفق ما لم يفوت مقصودًا شرعيًّا، وفيه بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩].

- **(إيهٍ)**: أي: حدِّث ما شئت، قال الطيبي: الأمر بتوقير رسول الله ﷺ مطلوب لذاته، تُحمد الزيادة منه، فكأن قوله ﷺ: (إيهٍ) استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه، ولذلك عقَّبه بقوله: (والذي نفسي بيده..) فإنه يُشعر بأنه رضي مقالته وحَمِدَ فِعَاله.

- **(ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًّا..)**: قال النووي رحمه الله: وهذا الحديث محمول علىٰ ظاهره: أي أن الشيطان متىٰ رأىٰ عمر سالكًا فجًّا هرب من هيبة عمر، وفارق ذلك الفجَّ وذهب في فجٍّ آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئًا ا.هـ، ويؤيده ما عند الطبراني في الأوسط من حديث حفصة رضي الله عنها: (إن الشيطان لا يلقىٰ عمر منذ أسلم إلا خرَّ لوجهه) وهذا دالٌّ علىٰ صلابته في الدِّين، واستمرار حاله علىٰ الجِّد الصِّرف والحق المحْض.

• باب شهادة النبي ﷺ له بالإلهام

- **(لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثُون)**: قيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذٍ فيهم نبي، واحتَمَل عنده ﷺ ألا تحتاج أمته إلىٰ ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي، وقد وقع ذلك الأمر كذلك حتىٰ إن المحدَّث منهم إذا تحقَّق وجوده لا يَحكم بما وقع له، بل لابد له من عرضه علىٰ القرآن، فإن وافقه أو وافق السنة عَمِل به وإلا تداركه.

- حديث الباب فيه فضيلة لعمر رضي الله عنه، والسبب في تخصيص عمر رضي الله عنه بالذكر، لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًا لها، وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

• باب موافقته للوحي

* **حديث عمر رضي الله عنه**:

أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَفِي رِوَايَةٍ: إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!) وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ.

بَابُ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالْإِلْهَامِ*

١١٧٧ ـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ)، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ.

بَابُ مُوَافَقَتِهِ لِلْوَحْيِ*

١١٧٨ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ) مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ (مُصَلًّى! فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾). وَآيَةُ الْحِجَابِ، (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؛ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ. فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ. وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. ـ وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ، قَالَتْ: يَا عُمَرُ، أَمَا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟! ـ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ)(٢).

١١٧٩ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: وَقَالَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ فَآذِنَّا. فَلَمَّا فَرَغَ

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ.

ـ ١٩ ـ

- **(وافقت ربي في ثلاث)**: أي: وقائع، والمعنىٰ: وافقني ربي فأنزل القرآن علىٰ وَفْقِ ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلىٰ نفسه، أو أشار به إلىٰ حدوث رأيه وقِدَم الحُكْم.

وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، وفي هذا الحديث أَجَل مناقب عمر رضي الله عنه وفضائله.

* **حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما**:

- **(فسأله أن يعطيه قميصه يكفِّن فيه أباه، فأعطاه)**: وكأنه كان يحمل أمر أبيه علىٰ ظاهر الإسلام، فلذلك التمس من النبي ﷺ أن يحضر عنده ويصلي عليه.

- قيل: إنما أعطاه قميصه وكفَّنَه فيه تطييبًا لقلب ابنه، فإنه كان صحابيًّا صالحًا، وقد سأل ذلك فأجابه إليه، أو كما في حديث جابر في هذا الباب أنه مكافأة لعبدالله المنافق الميت؛ لأنه ألبس العباس حين أُسر يوم بدر قميصًا.

- فيه جواز تكفين الميت في المخيط، وفيه بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ، حيث قابل إيذاء هذا المنافق بالحسنىٰ، فألبسه قميصه كفنًا، وصلىٰ عليه واستغفر له، وصدق الله العظيم حين قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

آذَنَهُ بِهِ)، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ رضي الله عنه فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ (وَفِي رِوَايَةٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؛ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؟) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**. قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ! قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾. وَفِي رِوَايَةٍ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.

- (وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رضي الله عنه: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: **أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**. فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: **إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ فَغُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**. قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ).

- وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَ مَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ـ، فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ؛ فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ).

بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه

١١٨٠ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ:

- ٢٠ -

المفردات

- **يَقْدُر عليه**: أي: علىٰ مقداره، وإنما ذلك لأن العباس رضي الله عنه كان بيِّن الطول، وكذلك كان عبدالله بن أُبي.
- **جُرْأَتي عليه**: أي: إقدامي عليه، والمراد: بالمشورة والرأي.

الفوائد

- **(تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه)**: كأن عمر رضي الله عنه فهم من الآية المذكورة ما هو أكثر من الأغلب من لسان العرب من أن (أو) ليست للتخيير، بل للتسوية في عدم الوصف المذكور، أي: أن الاستغفار لهم وعدم الاستغفار سواء.

وكذلك فَهِمَ من قوله: ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[التوبة:٨٠] أنها للمبالغة وأن العدد المعيَّن لا مفهوم له، بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الاستغفار، فيحصل من ذلك النهي عن الاستغفار فأطلقه.

وكذلك فهم أن المقصود الأعظم من الصلاة علىٰ الميت طلب المغفرة للميت والشفاعة له، فلذلك استلزم عنده النهي عن الاستغفار ترك الصلاة، ذلك كله مع ما عُرف من شدة صلابته في الدين، وعظيم بغضه للكفار والمنافقين، كان دافعًا لقوله هذا للنبي ﷺ.

- **(أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين)**: فيه جواز الشهادة علىٰ المرء بما كان حيًّا وميتًا، لوصفه عبدالله بن أُبي بالمنافق ولم ينكر عليه النبي ﷺ، وفيه جواز تنبيه المفضول الفاضل علىٰ ما يظن أنه سَهَا عنه.
- **(إنما خيرني الله)**: فيه تنبيه الفاضل المفضول علىٰ ما يُشْكِل عليه، وفيه العمل بالظاهر إذا كان النص محتملًا.
- قال الخطابي رحمه الله: إنما فعل النبي ﷺ مع عبدالله ما فعل، لكمال شفقته علىٰ من تعلَّق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبدالله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج، لرياسته فيهم، فلو لم يُجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سُبَّة علىٰ ابنه وعارًا علىٰ قومه، فاستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلىٰ أن نُهي فانتهىٰ ا.هـ.

* **حديث جابر** رضي الله عنه:

- **(بعد ما دُفن)**: أي: دُلِّي في حفرته، ويجمع بين قوله: (وألبسه قميصه) وبين قوله: (فأعطاه) في حديث ابن عمر أن قوله (فأعطاه) أي: أَنْعَم له بذلك، فأُطلق علىٰ العِدَة اسم العطية مجازًا لتحقق وقوعها، أو أن الواو في قوله في حديث جابر (وألبسه قميصه) لا تدل علىٰ الترتيب، ولعله أراد أن يذكر ما وقع في الجملة من إكرامه له من غير إرادة الترتيب، والله أعلم.
- أحاديث الباب فيها فضيلة عمر رضي الله عنه بموافقة الوحي له، وفيها أن المنافق تجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة، وأن الإعلام بوفاة الميت مجردًا لا يدخل في النَّعي المنهي عنه، وفيه رعاية الحي المطيع بالإحسان إلىٰ الميت العاصي وفيها تحريم الصلاة علىٰ المنافق والاستغفار له، والقيام علىٰ قبره بالدعاء.

باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه

- حديث الباب فيه فضيلة عثمان رضي الله عنه، وبشارة النبي ﷺ له بالجنة، وفيه إشارة إلىٰ ما أصابه رضي الله عنه في آخر خلافته من قتله شهيدًا مظلومًا.

فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا. فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ - وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ - حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ، - وَفِي رِوَايَةٍ: وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ -، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**. فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَمِدَ اللهَ) فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ. فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَمِدَ اللهَ)، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ. فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ)، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ

- ٢١ -

المفردات

- **وَوَجَّه هَاهُنا**: أي: قصد هذه الجهة.
- **أَرِيس**: بُستَان بالمدينة معروف بالقرب من قُباء.
- **قُفَّها**: القُفَّ هو حافة البئر، وأصله الغليظ المرتفع من الأرض.
- **على رِسْلِك**: تمهل وتأَن.

الفوائد

- **(عود يضرب به بين الماء والطين)**: وفيه أن ذلك لا يعد من العبث المذموم؛ لأن ذلك إنما يقع من العاقل عند التفكير في الشيء.
- **(فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم)**: ظاهره أنه اختار ذلك وفعله من تلقاء نفسه، وقد صرح بذلك في رواية عند البخاري: (ولم يأمرني)، ويُحمل ذلك علىٰ أنه لم يأمره أن يستمر بوابًا، وإنما أمره بذلك قدر ما يقضي حاجته ويتوضأ، ثم استمر هو من قِبَل نفسه، وبهذا يُجمع بين هذه الرواية ورواية الباب التي فيها: (وأمرني بحفظ باب الحائط) وفيه فضيلة لأبي موسىٰ رضي الله عنه.
- وهذا لا يعارض ما في حديث أنس رضي الله عنه الذي في الصحيحين أنه ﷺ لم يكن له بواب؛ لأن مراد أنس أنه لم يكن له بواب مرتَّب لذلك علىٰ الدوام.
- **(فإذا إنسان يحرك الباب)**: وفي رواية للبخاري: (فجاء رجل فاستأذن) وفيها أن قوله (يحرك الباب) إنما حرَّكه مستأذنًا لا دافعًا له ليدخل بغير إذن، وفيه حسن الأدب في الاستئذان.
- في الحديث أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دَلَّيَا رجليهما في البئر، فهذا فعلاه لموافقة حال النبي ﷺ، وليكون أبلغ في بقاء النبي ﷺ علىٰ حالته وراحته، بخلاف ما إذا لم يفعلاه، فربما استحىٰ منهما فرفعهما.
- وفيه فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ببشارتهما بالجنة؛ وفيه جواز الثناء علىٰ الإنسان في وجهه بحق إذا أُمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه.

المفردات

- **هُنَيْهَة**: وقتًا يسيرًا.
- **وِجَاهَهُ**: أي: مُقَابله.

الفوائد

- **(ائذن له، وبَشّره بالجنة على بلوى تصيبه)**: أشار ﷺ بالبلوى المذكورة إلى ما أصاب عثمان رضي الله عنه في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار، وخصَّ عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضًا، لكون عمر لم يمتحن بما امتحن به عثمان من تسلط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع عن الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم مع تنصله من ذلك، واعتذاره عن كل ما أوردوه عليه، ثم هجومهم عليه في داره، وهتكهم ستر أهله، وكل ذلك زيادة على قتله، وهذا هو المراد بالبلاء المذكور.

- **(قد كشف عن ركبته، فلما دخل عثمان رضي الله عنه غطّاها)**: وقد تكرر هذا الفعل من النبي ﷺ مع عثمان، كما عند مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه جواب النبي ﷺ لعائشة لما سألته عن سبب ذلك فقال: (إن عثمان رجل حييٌّ، وإني خشيت إن أَذِنْتُ له على تلك الحال، ألا يَبْلُغ إليَّ في حاجته)، وفي رواية: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)، وفي ذلك فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه، ووصفه بصفة عظيمة وهي صفة الحياء، والتي هي من صفات الملائكة الكرام، وفيه مكانة عثمان عند الملائكة وإجلالهم له.

- وفيه جواز تَبَذُّل العالم والفاضل بحضرة من يُدِلُّ عليه من فضلاء أصحابه، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحي منه.

- **(قال سعيد بن المسيَّب: فأولتها قبورهم)**: فيه وقوع التأويل في اليقظة، ويُسمى الفراسة، والمراد: اجتماع الصاحبين مع النبي ﷺ في الدَّفن، وانفراد عثمان رضي الله عنه في البقيع، قال الدَّاودي: كان سعيد بن المسيَّب لجودته في عبارة الرؤيا يستعمل التعبير فيما يشبهها.

مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

- قال بعض أهل العلم: لم يَرِد في حق أحد من الصحابة رضي الله عنهم بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه، وكأن السبب في ذلك أنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه لكثرة من كان بيَّنها من الصحابة رضي الله عنهم ردًّا على من خالفه.

ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ. وَفِي رِوَايَةٍ: (فَسَكَتَ هُنَيْهَةً) ـ، فَقَالَ: **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**. (وَفِي رِوَايَةٍ: قَدْ كَشَفَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ غَطَّاهَا)، فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ. ـ وَفِي رِوَايَةٍ: (فَحَمِدَ اللهَ)، ثُمَّ قَالَ:(١) اللهُ الْمُسْتَعَانُ ـ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ دَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ). قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ.

مَنَاقِبُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه*

بَابُ مَنْزِلَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ*

١١٨١ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا رضي الله عنه، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: **أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي؟**(٢).

بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»*

١١٨٢ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: **لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ،**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: اللَّهُمَّ صَبْرًا أَوِ...

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ؛ لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ـ وَذَكَرَ: **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ... وَلَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...** ـ وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**.

- ٢٢ -

• باب منزلته من النبي ﷺ

- حديث الباب فيه فضيلة لعلي رضي الله عنه بوصف النبي ﷺ له بأنه متصل به ونازل منه منزلة هارون من موسى عليه السلام.
- **(إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي)**: فيه احتراز في التشبيه، وأن الاتصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوة، بل من جهة الاستخلاف، كما استخلف موسى أخاه هارون حينما ذهب لميقات ربه.
- هذا الحديث تعلقت به الروافض في أن الخلافة كانت حقًّا لعلي رضي الله عنه، وأن النبي ﷺ وصى له بها، ولا حجة لهم في الحديث، بل فيه إثبات فضيلة لعلي رضي الله عنه، ولا دليل فيه على تفضيله على غيره من الخلفاء، ولا استحقاقه للخلافة بعد النبي ﷺ دونهم؛ لأن هارون كان خليفة لموسى في حياته لا بعد موته، وقد توفي هارون قبل موسى بنحو أربعين سنة.

• باب قوله ﷺ: «يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»

- **(يحبُّ الله ورسوله)**: أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي رضي الله عنه في مطلق المحبة، وفيه فضيلة لعلي رضي الله عنه بشهادة النبي ﷺ له بصدق محبته لله ورسوله وبلوغه حقيقتها.

وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا[1]، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: **انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ.**

• وَفِي حَدِيثِ سَلَمَةَ رضي الله عنه: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ[2] . . .

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَرْسَلَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ.

- ٢٣ -

المفردات

- يَدُوكُونَ: يخوضون ويتحدثون في ذلك.
- شَاكِي السِّلاح: حادُّ السِّلاح قويه.
- حَيْدَرة: من أسماء الأسد.
- السَّنْدَرة: المكيال الضخم.
- على رِسْلِك: أي: علىٰ هَيْنَتِك لا تَسْتَعجل.

الفوائد

- (ويحبه الله ورسوله): فيه إشارة إلىٰ أن عليًّا رضي الله عنه تام الاتباع لرسول الله حتىٰ اتصف بصفة محبة الله له، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١] ولهذا كانت محبته رضي الله عنه علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه، وفيه منقبة ظاهرة لعلي رضي الله عنه، وفيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل علىٰ الوجه اللائق به جل جلاله.

- (ثم ادْعهم إلي الإسلام): وفيه الدعوة إلىٰ الإسلام قبل القتال، فإذا كانت الدعوة لم تبلغهم فعلىٰ الوجوب، وإن كانت بلغتهم فيستحب علىٰ الصحيح، وفيه دليل علىٰ قبول الإسلام سواء كان حال القتال أم في غيره، وفيه أن تألُّف الكافر حتىٰ يُسلم أولىٰ من المبادرة إلىٰ قتله، وفيه حث الجيش وأميره علىٰ أن يكون الحرص علىٰ الإسلام وهداية الناس لدين الله هو المقدم، وفيه أن الغرض من الجهاد في الإسلام هو هداية الناس، لا لمجرد العدوان والتعطش للدماء كما يُتهم الإسلام.

- (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه): فيه أنه لا يكفي التسمي بالإسلام، بل لابد من معرفة واجباته والقيام بها.

- (لأن يهدي يهدي الله بك رجلاً واحدًا): المراد هنا هداية الدلالة والإرشاد، وهو الذي يقدر عليه الرسل وأتباعهم، أما هداية التوفيق فهي لله عز وجل وحده.

- (خير لك من أن يكون لك حمر النعم): وهي خير ألوان الإبل عند العرب، وفيه فضل العلم والتعليم والدعوة إلىٰ الله عز وجل، وعظيم شرف أهل العلم وعظيم ثوابهم عند الله، وفيه الترغيب في التسبب لهداية من كان علىٰ ضلالة، وأن ذلك خير للإنسان من أجلِّ النعم الواصلة إليه في الدنيا. نسأل الله الكريم من فضله.

- وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرَّة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها.

- في الحديث من دلائل النبوة منها: إعلامه بأن الله يفتح علىٰ يديه فكان ذلك، وبصاقه في عينه، وكان أرمد فبرأ من ساعته، وفيه فضائل لعلي رضي الله عنه وبيان شجاعته رضي الله عنه، ومكانته العظيمة عند الله ورسوله.

- حديث سلمة رضي الله عنه: فيه منقبة عظيمة لعلي رضي الله عنه، لحرصه علىٰ الجهاد في سبيل الله، وعدم التخلف عن رسول الله ﷺ، رغم عذره الظاهر، وفيه جزاء من صدق الله ولازم أمره بأنه يوفق ويُهدىٰ ويُفتح له من أبواب الخيرات ما لم يكن له في الحسبان، فهذا عليٌّ رضي الله عنه خرج وهو أَرْمَد وغاية ما يرجوه أن يكون في جيش النبي ﷺ ولا يتخلف عنه، ولم يخطر بباله أن الفتح سيكون علىٰ يديه جزاء لصدقه في محبة الله ورسوله، وهمته العالية في نصرة دين الله -فاللهم اجعلنا من الصادقين-.

المفردات

- **يُدْعَى بها**: أي: يُنادىٰ بها.
- **فلم يَقِل**: من القيلولة، وهو نوم نصف النهار.
- **في بعض تلك الأيام**: المراد: يوم أُحد.
- **نَدَب**: أي: دَعَا وطلب.
- **حَوَارِيَّ**: الحواري: الناصر، ويُطلق علىٰ الخليل والمخلِص والناصح، ومن يصحب الكبير ومن يصلح لخلافة كبيرة.

الفوائد

- **(أين ابن عمك؟)**: فيه إطلاق ابن العم علىٰ أقارب الأب، وفيه إرشادها إلىٰ أن تخاطبه بذلك، لما فيه من الاستعطاف بذكر القرابة، وكأنه ﷺ أراد استعطافها عليه بذكر القرابة التي بينهما لما وقع بينهما.
- **(كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج)**: فيه أن أهل الفضل قد يقع بين الكبير منهم وبين زوجته ما طُبع عليه البشر من الغضب، وقد يدعوه ذلك إلىٰ الخروج من بيته، ولا يُعاب عليه، ويحتمل أنه خرج خشية أن يبدو منه حال الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة ﵂، فحسم مادة الكلام إلىٰ أن تسكن فورة الغضب من كلٍّ منهما.
- **(فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع..)**: فيه كرم خلق النبي ﷺ؛ لأنه توجَّه نحو علي ليترضَّاه، ومسح التراب عن ظهره ليُبْسِطَه، ودعاه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته، ولم يعاتبه علىٰ مغاضبة ابنته مع رفيع منزلتها عنده، وفيه استحباب الرفق بالأصهار، وترك معاتبتهم إبقاء لمودتهم، ومداراتهم وتسكين غضبهم.
- **(قم أبا تراب)**: فيه التكنية بغير الولد، وممازحة المُغْضَب بما لا يغضب منه، بل يحصل به تأنيسه، وفيه التكنية بما يشتق من حال الشخص بما لا يشينه أو يغضبه، وأن اللَّقب إذا صدر من الكبير في حق الصغير تلقاه بالقبول، ولو لم يكن لفظه لفظ مدح.

• باب مناقب طلحة بن عبيدالله ﵁

- حديث أبي عثمان فيه منقبة عظيمة لطلحة وسعد ﵄، حيث بقيا مع النبي ﷺ عندما تفرق الناس عنه يوم أُحد، وقد روىٰ الترمذي بإسناده إلىٰ الزبير ﵁ قال: كان علىٰ رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلىٰ الصخرة فلم يستطع، فأقعد طلحة، فصعد النبي ﷺ حتىٰ استوىٰ علىٰ الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (أوجب طلحة) أي: وجبت له الجنة، وذلك بحسن بلائه يوم أُحد.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ: «أَبَا تُرَابٍ»*

١١٨٣ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵄، قَالَ: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: إِنْ كَانَتْ أَحَبَّ أَسْمَاءِ عَلِيٍّ ﵁ إِلَيْهِ لَأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، (وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ) ـ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ ﵂، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا ﵁ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: **أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟** قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: **انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟** فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: **قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ**.

بَابُ مَنَاقِبِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ﵁*

١١٨٤ ـ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ، عَنْ حَدِيثِهِمَا.

• (وَفِي حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ؛ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ).

بَابُ مَنَاقِبِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﵁

١١٨٥ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄، قَالَ: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ (وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: **مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**) فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ: **لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**.

• وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﵄ قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ

- ٢٤ -

* **حديث قيس بن أبي حازم:**

- فيه كذلك منقبة عظيمة خُصَّ بها طلحة ﵁، وهي وقايته رسول الله ﷺ يوم أحد بيده حتىٰ أصابها الشَّلل، وقد روىٰ أبو نعيم بإسناده إلىٰ أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: (كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك كله يوم طلحة) وهذا مدح من صدِّيق الأمة ﵁، وشهادة صادقة لطلحة ﵁، فقد كان ثباته مع النبي ﷺ يوم أحد موقفًا عظيمًا يذكر به في الآخرين، وجهادًا عظيمًا استوجب به جنات النعيم ﵁ وعن الصحابة أجمعين.

• باب مناقب الزبير بن العوام ﵁

* **حديث جابر ﵁:**

- **(من يأتيني بخبر القوم؟)**: والمراد: خبر بني قريظة كما يوضحه حديث عبدالله بن الزبير ﵁، وفيه منقبة عظيمة للزبير ﵁، وقوة قلبه وصحة يقينه، وفيه ثناء النبي ﷺ عليه، وشهادته له بالمقام الرفيع في نصرة دين الله.

المفردات

- **في النِّساء**: أي: في الحصن الذي فيه النساء.
- **يَخْتَلِفُ**: أي: يذهب ويجيء.
- **أصابهم القَرْحُ**: نالتهم الجراح يوم أحد.
- **نَثَلَ**: أي: نَفَض.
- **كِنَانَتَه**: الكنانة هي جَعْبَة السهام، وتكون غالبًا من جلود.

الفوائد

- **(جُعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء)**: ولمسلم: في أُطُم حسَّان، فكان يُطَأطِئُ لي مرة فأنظر، وأُطأطِئ له مرة فينظر)، وفيه صحة سماع الصغير متىٰ حصل له التمييز وإن كان ابن أربع أو دونها، لأن ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ابن أربع أو دونها بحسب اختلافهم في وقت مولده وفي تاريخ الخندق، وفيه منقبة لابن الزبير لجودة ضبطه لهذه القضية مفصلة في هذا السن.

- سبب اختلاف الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ بني قريظة كان لكشفهم ومعرفة هل نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشًا علىٰ حرب المسلمين أم لا؟ وفيه جواز استعمال التجسس في الجهاد، وفيه قوة الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشجاعته، وفيه جواز السفر منفردًا للضرورة والمصلحة التي لا تنتظم إلا بالانفراد كإرسال الجاسوس والطليعة.

- وفي رواية لمسلم: (أما والله! لقد جمع لي رسول الله ﷺ يومئذٍ أبويه، فقال: (فداك أبي وأمي) وفيها فضيلة ظاهرة للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **حديث عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- **(الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرحُ)**: وهم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغدَ من يوم أحد إلىٰ حمراء الأسد علىٰ ما بهم من ألم الجراح، وقد خرج رسول الله ﷺ مُرْهِبًا للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، وقد رجع أبو سفيان ومن معه ليستأصلوا المسلمين، فلقيهم معبد بن أبي معبد الخزاعي، فأخبرهم أن النبي ﷺ خرج في طلبهم في جمع كبير ممن تخلَّف عنه بالمدينة، فأثناهم عن رأيهم فرجعوا إلىٰ مكة، وكفىٰ الله المسلمين شرهم.

- **(كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر)**: فيه منقبة عظيمة ظاهرة للزبير ولأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حيث كانا مع هذه الطائفة المباركة الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران] فلما توكلوا علىٰ ربهم كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران] فأعطاهم الله من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع رضوان الله، فرضي عنهم ورضوا عنه.

جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ[1]، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا)، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ، رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ. قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: **مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟** فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ) جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ، فَقَالَ: **فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**.

١١٨٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي! كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ: (لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا؛ قَالَ: **مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟** فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا. قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ).

بَابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١١٨٧ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (نَثَلَ) لِيَ النَّبِيُّ ﷺ (كِنَانَتَهُ) يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: **ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**[2].

• وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: **يَا سَعْدُ، ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**.

١١٨٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: فِي أُطُمِ حَسَّانَ، فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ، فَسَقَطَ وَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ.

- ٢٥ -

• باب مناقب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- أحاديث الباب فيها منقبتان لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأولىٰ: أن النبي ﷺ فداه بأبويه وهو يناوله السهام يوم أحد، وفيه تلطُّف النبي ﷺ به وإعلامه بمحبته له ومنزلته.

- الثانية: أنه نال شرف حراسة رسول الله ﷺ، فنام النبي ﷺ مطمئنًّا بعد سَهَرٍ، وفيه شجاعة سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصدق محبته للنبي ﷺ، وتعريض نفسه للخطر دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وجهادًا في سبيل الله ﷻ، ونصرة لدينه وقد ورد في رواية لمسلم قال: (وقع في نفسي خوف علىٰ رسول الله ﷺ فدعا له) وفيه: دعاء النبي ﷺ له، وموافقة خوفه علىٰ رسول الله ﷺ لما تمنىٰ من رجل صالح يحرسه ليلته، وهو من سادات الصالحين حقًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن الصحابة أجمعين.

- وفيها: جواز التفدية بالأبوين، وهو مذهب الجمهور، وقد ثبتت التفدية من النبي ﷺ بالأبوين كذلك للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث عبدالله بن الزبير كما سبق، فيُحمل قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) علىٰ نفي علم نفسه.

وفيه فضيلة الرمي والحث عليه، والدعاء لمن فعل خيرًا.

المفردات

- غَطِيطَه: صوت تَرَدُّد أنفاسه وهو نائم.
- فاسْتَشْــرَفَ له النــاس: أي تطلعوا للولاية حرصًا علىٰ تحصيل هذه الصفة المذكورة.
- يُلَاعِنَاه: أي: يُبَاهِلاَه.
- أمينًا: الأمين: هو الثقة الرَّضي.
- طائفة من النهار: أي قطعة منه.

الفوائد

- (ليت رجلاً من أصحابي يحرسني الليلة!): فيه الأخذ بالحذر والاحتراس من العدو، وأن علىٰ الرعية حراسة سلطانهم خشية القتل، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع قوة توكله للاسْتِنَان به في ذلك، فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب، لأن التوكل عمل القلب، والأسباب عمل البدن، وفيه الثناء علىٰ من تبرع بالخير وتسميته صالحًا.

• باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

- أحاديث الباب فيها منقبة عظيمة لأبي عبيدة رضي الله عنه، حيث وصفه النبي ﷺ بأنه أمين هذه الأمة.

* حديث حذيفة رضي الله عنه:

- فيه قصة وفد نصارىٰ نجران الذين ذكرهم الله تعالىٰ في سورة آل عمران، وقد أتوا إلىٰ النبي ﷺ وحاوروه وتبيّن لهم صدقه لكنهم لم يسلموا، فصالحهم علىٰ ألفي حُلة: ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، ثم طلبوا رجلاً أمينًا يذهب معهم ليقبض مال الصلح، فاختار النبي ﷺ أبا عبيدة رضي الله عنه.

- ولمسلم في رواية من حديث أنس رضي الله عنه: (ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام) وقد كان من أهل نجران نصارىٰ أهل ذمة، وكان منهم مسلمون، والنبي ﷺ بعث أبا عبيدة لهؤلاء وهؤلاء، فبعثه ليستلم ما تصالح عليه مع الوفد، وكذلك ليعلم المسلمين هناك السنة والإسلام، وفي الثانية منقبة أخرىٰ لأبي عبيدة، وهي علمه بالقرآن والسنة إضافة إلىٰ أنه أمين هذه الأمة.

- (إن لكل أمة أمينًا): وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يُشعر بأن له مزيدًا في ذلك، لكن خصَّ النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة، ووَصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها علىٰ غيره كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي رضي الله عنهم جميعًا.

الْمَدِينَةَ قَالَ: **لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ!** إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: **مَنْ هَذَا؟** فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ(١). وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ. وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى سَمِعْنَا غَطِيطَهُ.

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه

١١٨٩ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا أَمِينًا. فَقَالَ: **لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**(٢). فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ. قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ؛ فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا. قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا...، وَفِيهَا: فَقَالَ: **قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ**. فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:) **[هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ]**(٣).

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: **إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا ـ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ ـ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**.

بَابُ مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنهما

١١٩٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَدَعَا لَهُ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **حَقَّ أَمِينٍ**.
(٣) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ...

- ٢٦ -

- في الأحاديث: مشروعية مجادلة أهل الكتاب، وأن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتىٰ يلتزم أحكام الإسلام، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرَّ بعد ظهور الحُجة.
- وفيها مصالحة أهل الذمة علىٰ ما يراه الإمام من أصناف المال، ويجري ذلك مجرىٰ ضرب الجزية عليهم، وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلىٰ أهل الهدنة في مصلحة الإسلام.

• باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

- (لا يكلمني ولا أكلمه): أما من جانب النبي ﷺ فلعلَّه كان مشغول الفكر بوحي أو غيره، وأما من جانب أبي هريرة رضي الله عنه فللتوقير، وكان ذلك من شأن الصحابة إذا لم يجدوا منه نشاطًا، وفيه شدة توقير الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ، والمشي معه، وما كان عليه من التواضع، من الدخول في السوق، والجلوس بفناء الدار ونحو ذلك.

بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ: **أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟** فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا، أَوْ تُغَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: (وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا ـ، حَتَّى عَانَقَهُ (وَقَبَّلَهُ)، وَقَالَ: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ ـ اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ.**

(وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ).

• (وَفِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ فَيَقُولُ: **اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا؛ فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا**. وَفِي رِوَايَةٍ: فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا؛ فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا**).

بَابُ مَنَاقِبِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها

١١٩١ ـ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ! فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ: **أَمَّا بَعْدُ! أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي** ـ، **وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي** (وَفِي رِوَايَةٍ: **فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**)، **وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ (يَسُوءَهَا)**[1]، **وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.** فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: **إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **تُفْتَنَ فِي دِينِهَا.**

ـ ٢٧ ـ

المفردات

– **بِفِنَاء**: الفناء: هو الموضع المُتَّسع أمام البيت.
– **لُكَعُ**: اللُّكَع علىٰ معنيين: الصَّغير، أو اللئيم، والمراد هنا الأول.
– **سِخَابًا**: السِّخاب: قلادة تُتخذ من طيب ليس فيه ذهب ولا فضة، وقيل خيط من خرز.
– **يَشْتَدُّ**: أي: يسرع في المشي.
– **بَضْعَة**: أي: قطعة.
– **يَسُوءَها**: المراد: تزويج غيرها عليها.

الفوائد

– **(...فجلس بفناء فاطمة)**: وفيه سَقْطٌ؛ لأن بيت فاطمة رضي الله عنها ليس في سوق بني قينقاع، وقد أثبت مسلم ما سَقَط منه ولفظه: (حتىٰ جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف حتىٰ أتىٰ فناء فاطمة رضي الله عنها) وكذلك أخرجه الإسماعيلي.

– **(وفي عنقه السِّخَاب)**: وفيه جواز إلباس الصبيان القلائد والسُّخب ونحوها من الزينة، واستحباب تنظيفهم لاسيما عند لقائهم أهل الفضل، واستحباب النظافة مطلقًا.

– **(حتى عانقه وقبله)**: فيه رحمة النبي ﷺ وتواضعه، واستحباب ملاطفة الصبي ومداعبته رحمة له ولطفًا، واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم، والمزاح مع الطفل ومعانقته وتقبيله.

– **(اللّهُمَّ إني أُحبُّه – اللّهُمَّ أحببه وأَحبَّ من يُحبُّه)**: فيه منقبة عظيمة للحسن رضي الله عنه، وفيه حث علىٰ حبِّه وبيان فضل من أحبه.

– حديث أسامة رضي الله عنه: فيه منقبة لأسامة والحسن رضي الله عنهما، وعظيم حب النبي ﷺ لهما، وفيه أن النبي ﷺ ما كان يحب إلا لله وفي الله، ولذلك رتَّب محبة الله ﷻ علىٰ محبته في قوله ﷺ: (اللهم أَحبَّهما فإني أُحبهما).

• **باب مناقب فاطمة رضي الله عنها**

– حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه فيه منقبة عظيمة لفاطمة رضي الله عنها من إعلانه ﷺ أنها بضعة منه، وأنه يكره ما يسوءَها، وأن من أغضبها فقد أغضبه ﷺ.

وقد خطب بذلك ليشيع الحكم المذكور بين الناس ويأخذوا به إما علىٰ سبيل الإيجاب، وإما علىٰ سبيل الأولوية.

– **(إن عليًّا خطب بنت أبي جهل)**: وفي رواية: (إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا...): بنو هشام هم أعمام بنت أبي جهل، واسمها جويرية علىٰ الأشهر، وكان علي رضي الله عنه قد أخذ بعموم الجواز، فلما أنكر النبي ﷺ أعرض عليٌّ رضي الله عنه عن الخطبة.

– **(أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصدقني)**: فيه فضيلة أبي العاص رضي الله عنه، وقد أنكحه النبي ﷺ ابنته زينب، وهي أكبر بناته، وكان ذلك قبل النبوة، ولعله كان شرط عليه ألا يتزوج عليها، فوفىٰ له بذلك، وفيه تعريض بعلي رضي الله عنه، وتهييج له علىٰ الاقتداء به، وهذا يشعر بأنه جرىٰ منه وعد له بأنه لا يؤذيها، فهيجه علىٰ الوفاء له كما وفىٰ له صهره الآخر.

– **(فمن أغضبها أغضبني)**: فيه تحريم أذىٰ من يتأذىٰ النبي ﷺ بتأذيه؛ لأن أذىٰ النبي ﷺ حرام اتفاقًا قليله وكثيره، وفيه إكرام من ينتسب إلىٰ الخير أو الشرف أو الدِّيانة.

– **(وإني أكره أن يسوءَها)**: وفي رواية: (وأنا أتخوَّف أن تُفتن في دينها) أي: أنها لا تصبر علىٰ الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين، وفيه دليل للقول بسد الذرائع، وفيه أن الغَيْرَىٰ إذا خُشي عليها أن تُفتن في دينها كان لوليها أن يسعىٰ في إزالة سبب ذلك.

– **(والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله..)**:
قال النووي: وقيل: ليس المراد به النهي عن جمعهما، بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، كما قال أنس بن النضر: (والله لا تُكسر ثنيَّة الرُّبيِّع)، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما، ويكون من جملة محرمات النكاح: الجمع بين بنت نبي الله، وبنت عدو الله ا.هـ.

فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ؛ فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي؛ **يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**.

وَفِي رِوَايَةٍ: **إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا**...، وَفِيهَا: **وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا**.

١١٩٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂، قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ (وَفِي رِوَايَةٍ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ)، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ ﵂ تَمْشِي، لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ، قَالَ: **مَرْحَبًا بِابْنَتِي**. ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟! ـ وَفِي رِوَايَةٍ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ـ. فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي. قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ. فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: **أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي** ـ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: **يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟**. وَفِي رِوَايَةٍ: فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ؛ فَضَحِكْتُ.

- ٢٨ -

الفوائد

- (**يُريبني ما أَرابها، ويؤذيني ما آذاها**): فيه تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال، وعلى كل وجه، وإن تولَّد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحًا، وهو حي، وهذا بخلاف غيره.

- (**لَسْتُ أحرِّم حلالاً، ولا أحلُّ حرامًا**): قد علم النبي ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي ﵁، ولكن نهى عنه لعلل:

الأولى: إحداهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة ﵂، فيتأذى حينئذٍ النبي ﷺ، فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي، وعلى فاطمة ﵂.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة.

- قد يَشْكِل تخصيص النبي ﷺ فاطمة ﵂ بذلك مع أن الغيرة عليه أقرب إلى خشية الافتتان في الدين، ومع ذلك كان يكثر من الزوجات، وكانت تقع الغيرة منهن.

ويُجاب عليه بأن فاطمة ﵂ كانت فاقدة من تركن إليه ممن يؤنس وحشتها من أم وأخت، بخلاف أمهات المؤمنين في ذلك، ومع كون النبي ﷺ زوجهن، وكان عنده من الملاطفة وتطييب قلوبهن، وجبر خواطرهن، ولما في التعدد بالنسبة له من المصالح الدينية والدنيوية.

والثالثة: استنكار أن تجتمع بنت رسول ﷺ وبنت عدو الله في عصمة رجل واحد.

* **حديث عائشة** ﵂:

- فيه مناقب عظيمة لفاطمة ﵂: شدة شبهها برسول الله ﷺ، وترحيبه واحتفاؤه بها، ومُسَارَرَتها دون من حضر وتقديمها على من سواها، وأعظم فضيلة لها أنها سيدة نساء المؤمنين، وفي رواية: (سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين)، وعند الحاكم في المستدرك: (أنه نزل من السماء ملك فبشر رسول الله ﷺ أنها سيدة نساء أهل الجنة).

- ولا تعارض بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى في مريم ﵍: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٤٢] لما ورد في سنن الترمذي: (ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران) وقال حسن غريب من هذا الوجه.

فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل النساء مطلقًا ثم تليها فاطمة ﵂.

- وفيه من دلائل نبوته ﷺ أنه أخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحاقًا به، ووقع ذلك، وضحكت سرورًا بسرعة لحاقها، وفيه: إيثارهم الآخرة، وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا.

المفردات

- **سَرَقَةٍ من حَرِير**: أي قطعة حرير.
- **أَجَلْ**: أي: نعم، وهي أحسن من نعم في التصديق.
- **أَلْعَبُ بالبنات**: أي: باللُّعب والصور اللواتي تشبه الجواري تلعب بها الصبايا.

الفوائد

مناقب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

• باب رؤية النبي ﷺ لها في المنام قبل زواجها

– **(يحملك في سَرَقةٍ من حرير)**: المراد: يريه صورتها، وفي رواية الترمذي: (أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة) صححه الألباني، وفي رواية ابن حبان: (هي زوجتك في الدنيا والآخرة)، وعند البخاري أن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب في أهل الكوفة فقال: (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة –أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–) وفيه منقبة عظيمة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

– **(فإذا هي أنت)**: أي: أنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة، وفي رواية: (أُتيت بجارية في سرقة من حرير بعد وفاة خديجة، فَكَشَفْتُها فإذا هي أنت) وهذا يدفع احتمال أن هذه الرؤية كانت قبل أن يُوحىٰ إليه.

– **(إن يكن هذا من الله يُمْضِه)**: وجه التردد: هل هي رؤيا وحي علىٰ ظاهرها وحقيقتها، أو رؤيا منام لها تعبيرها؟ وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء.

وقد تزوجها النبي ﷺ وبَنَىٰ بها وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي نحو ثمانية عشر عامًا، وحفظت عنه شيئًا كثيرًا، وأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا حتىٰ قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

• باب تلطُّف النبي ﷺ معها

– حديثا الباب فيهما: تلطُّف النبي ﷺ مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعنايته بها، واستقراؤه أحوالها من الرضا والغضب، واغتفاره لغضبها الذي غالبًا ما يكون من الغيرة التي جُبلت عليها النساء، والتي لا تكون إلا من فرط المحبة، ورفقه بها ومراعاته لصغر سنها وحبها للَّعب واللَّهو مع أقرانها.

– **(لا ورب إبراهيم)**: في اختيارها ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء دليل علىٰ مزيد فطنتها، لأن النبيﷺ أولىٰ الناس به، كما نصَّ عليه القرآن، فلما لم يكن لها بدٌّ من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل، حتىٰ لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة.

– **(ما أهجر إلا اسمَك)**: قال ابن المنيِّر: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللَّفظية، ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة ا.هـ.

مَنَاقِبُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا*

بَابُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا فِي الْمَنَامِ قَبْلَ زَوَاجِهَا*

١١٩٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ**[١]، إِذَا (رَجُلٌ) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **الْمَلَكُ** ـ **يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةِ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ. فَأَكْشِفُهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ.**

بَابُ تَلَطُّفِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا*

١١٩٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**. قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: **أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ. وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**. قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.

١١٩٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ (يَلْعَبْنَ مَعِي)، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ، (فَيَلْعَبْنَ مَعِي).

بَابُ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا*

١١٩٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ؛ يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **ثَلَاثَ لَيَالٍ**.

ـ ٢٩ ـ

– مغاضبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي ﷺ وهجرها إياه إنما هو بسبب الغيرة التي عُفي عنها للنساء في كثير من الأحكام، لعدم انفكاكهن منها، ولولا ذلك لكان علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ذلك من الحرج ما فيه؛ لأن الغضب علىٰ النبي ﷺ وهجره كبيرة عظيمة، ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك، وإنما قلبها وحبها كما كان.

– **(كنت ألعب بالبنات)**: فيه جواز اتخاذ اللُّعب التي علىٰ شكل صور من أجل لعب البنات بهن، وهو مخصوص من الصور المنهي عنها؛ لما فيه من تدريب لهن منذ الصغر علىٰ أمر بيوتهن وأولادهن، وهو قول جمهور العلماء.

– **(فيُسَرِّبُهُن إليَّ..)**: فيه حسن معاشرة النبي ﷺ ولطفه ورحمته بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

• باب محبة النبي ﷺ لها

– أحاديث الباب فيها منقبة ظاهرة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لتقصُّد الناس يومها بالإهداء لرسول الله ﷺ، لعلمهم أن نوبتها كانت موضع سروره ﷺ؛ ليزيدوا بذلك في مسرَّته، فينالوا رضاه ﷺ، وهذا يدل علىٰ أن حبه لها كان مستفيضًا للناس معلومًا عندهم، ويؤيده ما في حديث الباب: (وكان المسلمون قد علموا حبَّ رسول الله ﷺ عائشة).

المفردات

- **حِزْبَيْن**: أي: طائفتين.
- **يَنْشُدْنَك**: أي: يسألنك.

الفوائد

- **(يَتَحرَّون بهداياهم يوم عائشة)**: لم يقصد النبي ﷺ تفضيل عائشة بذلك، وإنما فعله الذين أهدوا له وهم باختيارهم في ذلك، وإنما لم يمنعهم النبي ﷺ؛ لأنه ليس من الأخلاق أن يتعرض الرجل إلىٰ الناس بمثل ذلك؛ لما فيه من التعرض لطلب الهدية، وأيضًا الذي يهدي لأجل عائشة كأنه ملَّك الهدية بشرط، والتمليك يَتْبَعُ فيه تحجير المالك، مع أن الظاهر أن النبي ﷺ كان يشركهن في ذلك، وإنما وقعت المنافسة لكون العطية تصل لهن من بيت عائشة رضي الله عنها.
- **(لا تؤذيني في عائشة)**: أي: في حقها، وهو أبلغ من قول: لا تؤذي عائشة؛ لما تفيد من أن ما آذاها فهو يؤذيه ﷺ، وفيه منقبة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها.
- **(فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة)**: أي: في فراش امرأة إلا عائشة، وفي رواية للبخاري: (وأنا في لحاف امرأة منكن) وبه يُرد علىٰ من استدل بهذا الحديث علىٰ فضل عائشة علىٰ خديجة؛ لأنه يُحتمل أن لا يكون أراد إدخال خديجة رضي الله عنها في هذا، وأن المراد بقوله: (منكن): المخَاطَبَة وهي أم سلمة ومن أرسلها أو من كان موجودًا حينئذٍ من النساء.

وعلىٰ تقدير إرادة الدخول، فلا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق.

- وقد سُئل ابن تيمية رحمه الله عن ذلك فقال: سبق خديجة وتأثيرها في أول الاسلام ونصرها وقيامها للدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين.

وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه للأمة ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها.

وقال ابن تيمية رحمه الله: جهات الفضل بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما متقاربة ا.هـ وكأنه رأىٰ التوقف.

- **(ثم إنَّهُنَّ دعون فاطمة..)**: وفيه ما كان عليه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من مهابة النبي ﷺ حتىٰ راسلنه بأعز الناس عنده فاطمة رضي الله عنها.

وروىٰ ابن سعد من مرسل علي ابن الحسين: أن الذي خاطبتها بذلك منهن زينب بنت جحش رضي الله عنها، وأن النبي

١١٩٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَصَفِيَّةُ، وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ: أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَاللهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ ـ؛ كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ. فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا! فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ! قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا! فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ! فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: **لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ**. قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ). ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[١]، تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ! فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ: **يَا بُنَيَّةُ! أَلَا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ**؟ قَالَتْ: بَلَى.[٢] فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ. فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ[٣]، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رضي الله عنها[٤]،

(١) وَلِمُسْلِمٍ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ: **فَأَحِبِّي هَذِهِ**.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَتْ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ.

- ٣٠ -

ﷺ سألها: أرسلتك زينب؟ قالت: زينب وغيرها، قال: أهي التي وَلِيت ذلك؟ قالت: نعم.

- **(يَنْشُدْنَك الله العدل في بنت أبي بكر)**: والمراد: طلب المساواة في محبة القلب لا العدل في الأفعال، فإنه كان حاصلاً قطعًا، ولهذا كان يُطاف به ﷺ في مرضه عليهن حتىٰ ضَعُف، فاستأذنهنَّ في أن يُمرَّض في بيت عائشة فأذنَّ له.
- **(يا بُنيَّة! ألا تُحبِّين ما أحب؟)**: ولمسلم: (فأحبي هذه) أي: عائشة، ولا تذكري ما يكون سببًا لتكدير خاطرها، وفيه منقبة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها.
- **(فأرسلن زينب بنت جَحْش رضي الله عنها)**: ولمسلم: (وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أرَ امرأة قط خيرًا في الدين من زينب..) وهذا ثناء من عائشة رضي الله عنها علىٰ زينب، ومدح لها، وفيه يظهر ما كانت عليه عائشة من سمو الأخلاق والتمسك بجانب الحق والإنصاف حتىٰ مع من يخالفها، لاسيما مع ضرتها، ومع ما هو معلوم من حال الضرائر مع بعضهن -والله المستعان-.

المفردات

- ثَقُلَ: ضَعُف واشتد مرضه.
- يُمَرَّض: أي: يُعالج.
- لَيَتَعذَّر: أي: يطلب العذر فيما يحاوله من الانتقال إلىٰ بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
- سَحْرِي: السَّحْر: هو الصدر، وفي الأصل: الرئة.
- نَحْرِي: النَّحْر: المراد به موضع النحر وهو أسفل الرقبة.
- حَاقِنَتِي: الحَاقِنة: ما سَفُل من الذَّقن.
- بين سَحري ونَحري: هو ما بين الحاقنة والذاقنة.

الفوائد

- (فَأَغلظت): أي: في طلبها العدل مع علمها بأنه أعدل الناس ﷺ، لكن غلبت عليها الغيرة، فلم يؤاخذها النبي ﷺ، وفيه رفق النبي ﷺ ورحمته وشفقته بأهله، وفيه إدلال زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ النبي ﷺ لكونها بنت عمته، كانت أمها أميمة بنت عبدالمطلب.
- (في بنت أبي قُحَافة): أبو قُحافة هي كنية والد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم تذكرها باسم أبيها عند النَّيْل منها ليخرج أبو بكر من الوسط إذ ذاك، لئلا يُهيج ذكره محبة النبي ﷺ.
- (لَيَنْظُر إلى عائشة هل تَكَلَّم؟): ولمسلم: (وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه هل يأذن لي..) وفيه جواز العمل بما يُفهم من القرائن.
- (إنها بنت أبي بكر): أي: أنها شريفة عاقلة عارفة كأبيها، وفي رواية النسائي: (فرأيت وجهه يتهلّل) وكأنه أشار إلىٰ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عالمًا بمناقب مُضَر ومثالبها، فلا يُستغرب من بنتِه تَلَقِّي ذلك عنه، وقد تكلمت مع زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكلام يتعلق بنسبها وأصولها لا يعرفه غيرها، وفيه دليل علىٰ بلاغة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفصاحتها وقدرتها علىٰ المناظرة.
- في الحديث منقبة ظاهرة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حيث كانت عند النبي ﷺ بالمكانة العالية، وفيه تنافس الضرائر وتغايُرهنَّ علىٰ الرجل، وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن، ولا يميل مع بعضٍ علىٰ بعض، وفيه جواز التشكي، والتَّوسل في ذلك.

• باب استِبْطَاء النبي ﷺ ليومِها، ووفاته وهو مسندٌ ظهره إليها

- (لما ثَقُلَ رسول الله ﷺ): ولمسلم: (أول ما اشتكىٰ رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وفيه أن مرضه من دلائل

فَأَتَتْهُ[1]، (فَأَغْلَظَتْ) وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ! (فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا) حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ ـ وَهِيَ قَاعِدَةٌ ـ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ؟[2] قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا. قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ[3]، وَقَالَ: **إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ!**.

بَابُ اسْتِبْطَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِيَوْمِهَا، وَوَفَاتِهِ وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا*

١١٩٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ[4].

وَفِي رِوَايَةٍ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: **أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟** اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، (وَدُفِنَ فِي بَيْتِي).

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ

(١) وَلِمُسْلِم: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا.

(٢) وَلِمُسْلِم: فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا. قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ.

(٣) وَلِمُسْلِم: وَتَبَسَّمَ.

(٤) وَلِمُسْلِم فِي رِوَايَةٍ: أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا، وَأَذِنَّ لَهُ.

- ٣١ -

بشريته، وقد كان يشتد به المرض ليعظُم أجره كما في الصحيحين: (إني أوعك كما يوعك رجلان منكم).
- (استأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيتي): فيه أدب النبي ﷺ وكمال خلقه، واستُدل به علىٰ أن القسم كان واجبًا عليه، وإلا لما استأذنهنَّ، وقيل: أنه استأذنهن تطييبًا لخاطرهن، وأما القسم فليس واجبًا في حقه ﷺ، وإنما هو علىٰ الاستحباب ومكارم الأخلاق وجميل العشرة، وفيه جواز التداوي وأنه لا ينافي التوكل.
- وفيه جواز أن تهب بعض الضرات نوبتها للضرة الأخرىٰ، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه فضيلة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجحانها علىٰ جميع أزواجه الموجودات ذلك الوقت، كن تسعًا إحداهن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولا خلاف في هذا بين العلماء، وإنما اختلفوا في عائشة وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ا.هـ.
- (فلما كان يومي قبضه الله..): أي: يومها الأصل بحسب الدَّور، وإلا فقد صار جميع الأيام في بيتها، وفي رواية: (أنه دخل بيتها يوم الاثنين، ومات يوم الاثنين الذي يليه).
- (استبطاءً ليوم عائشة): قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا لمحبته لها، وحرصه علىٰ أن يكون عندها، وفيه فضيلة ظاهرة لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ ـ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ـ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ. فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ـ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ـ)(١)، فَجَعَلَ يَقُولُ: **فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**. (وَفِي رِوَايَةٍ: ثَلَاثًا)، (حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: **إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ**. فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ ـ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي ـ غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ (وَفِي رِوَايَةٍ: شَدِيدَةٌ) يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الْآيَةَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ ـ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى**. قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ. قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ: قَوْلُهُ: **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى**.

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَذْهِبِ الْبَاسَ**...، فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَقُلَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي...

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى.

- ٣٢ -

المفردات

- **فَأَبَدَّه**: أي أمَدَّه، وهو من إتباع البصر وإطالته إلىٰ الشيء.
- **فَقَصَمْتُه**: أي: كسرته.
- **وَنَفَضْتُه**: المراد: أنها حركته ليزول ما علق به.
- **وطيبته**: قيل: التطييب: الغسل، وهو بعيد هنا؛ لأنها كانت مسندة النبي ﷺ علىٰ صدرها، فيكون المراد هنا: التنعيم والتليين.
- **أمرَّه**: أي: أمرَّه علىٰ أسنانه فاستاك به.
- **رَكْوَة**: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء.
- **سَكَرَات**: جمع سكرة، والمراد هنا الغشي الناتج عن الألم.
- **بُحَّة**: شيء يعرض في الحلق، فيتغير له الصوت فيغلظ.
- **فَأَشخَص**: ارْتَفَع.

الفوائد

- **(دخل علي عبدالرحمن..)**: هو ابن أبي بكر رضي الله عنهما، وفيه جواز دخول أقارب الزوجة بيت الزوج إن كان لا يكره ذلك.

- **(وعرفت أنه يحب السِّواك..)**: فيه فطنة عائشة رضي الله عنها، وتَلَمُّسَها حاجة النبي ﷺ، وحسن معاشرتها له، وفهمها لما يحب وما يكره، وتَلْبِيَتِها لما تتوق إليه نفسه ﷺ.
- **(فأشار برأسه: أن نعم)**: يؤخذ منه العمل بالإشارة عند الحاجة إليها، وفيه دلالة علىٰ تأكُّد أمر السِّواك؛ لكونه ﷺ لم يُخِلَّ به مع ما هو فيه من شاغل المرض.
- وفيه جواز الاستياك بسواك الغير بلا كراهة، إلا أنه يستحب غسله أو قضم رأسه قبل أن يستاك به.
- **(إن للموت سَكَرات)**: وقد عانىٰ النبي ﷺ سكرات الموت، وقاسىٰ ألمه، وفي ذلك من التشديد عليه لتكميل فضائله، ورفع درجاته ﷺ، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو من جنس ما قاله ﷺ كما عند الترمذي: (إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).
- وفيه العظة والعبرة للمؤمن، فإذا كانت هذه سكرات الموت علىٰ أحب الخلق وأكرمهم علىٰ الله تعالىٰ، فكيف بالظالمين الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾[الأنعام:٩٣]..الآية.
- **(في الرفيق الأعلى)**: والمراد بالرفيق الأعلىٰ هم الذين أنعم الله عليهم المذكورون في آية النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩] كما توضحه الرواية التالية في الباب، ومعنىٰ كونهم رفيقًا: تعاونهم علىٰ طاعة الله ﷻ، وارتفاق بعضهم ببعض.
- **(فَظَنَنْتُ أنه خُيِّر)**: فَهْم عائشة رضي الله عنها من قوله ﷺ: (في الرفيق الأعلىٰ) أنه خُيِّر نظير فهم أبيها رضي الله عنه من قوله ﷺ: (إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده) أن العبد المراد: هو النبي ﷺ حتىٰ بكىٰ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ[1] (ظَهْرَهُ)، يَقُولُ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ.**

بَابُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْغَيْرَةِ*

١١٩٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي، وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ تَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ؟ فَقَالَتْ: بَلَى. فَرَكِبَتْ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلُوا، وَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ[2]، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ رِجْلَيْهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي؛[3] وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا.

بَابُ فَضْلِهَا عَلَى النِّسَاءِ*

١٢٠٠ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.**

بَابُ إِقْرَاءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهَا السَّلَامَ*

١٢٠١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ.** قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ (وَفِي رِوَايَةٍ: وَبَرَكَاتُهُ). قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا نَرَى.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: إِلَى صَدْرِهَا.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَغَارَتْ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: رَسُولَكَ...

- ٣٣ -

المفردات

- **فَطَارت القُرعة**: أي: خرجت القرعة، وطير كل إنسان نصيبه.
- **الإِذْخِر**: نَبْتٌ معروف، توجد فيه الهوام غالبًا في البريَّة.

الفوائد

- **(وأَلْحِقْنِي بالرفيق)**: ولا تعارض بينه وبين النهي عن تمني الموت والدعاء به؛ لأن هذه الحالة من خصائص الأنبياء أنه لا يُقبض نبي حتىٰ يُخيَّر بين البقاء في الدنيا وبين الموت.

• باب ما كانت عليه من شدة الغيرة

- **(إذا خرج أقرع بين نسائه)**: وهذا علىٰ الاستحباب لا الوجوب في حقه ﷺ، وإنما كان يفعله من حسن عشرته ومكارم أخلاقه، وجبرًا لقلوبهن؛ وفيه صحة الإقراع في القسم بين الزوجات وفي الأموال وفي العتق ونحو ذلك، وفيه أن من أراد سفرًا ببعض نسائه أقرع بينهن إذا اتفقت أحوالهن؛ أما إذا كانت واحدة منهن أنفع للرجل في السفر، أو أقوم بالبيت من الأخرىٰ فلا تجب عليه القرعة، ويختار بحسب ما تقتضيه المصلحة.
- **(فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإِذْخِر)**: كأنها لما عرفت أنها الجانية فيما أجابت إليه حفصة رضي الله عنها، عاتبت نفسها علىٰ تلك الجناية، وهذا الذي فعلته وقالته حملها عليه فرط الغيرة علىٰ رسول الله ﷺ، وقد سبق أن أمر الغيرة معفو عنه.
- **(ولا أستطيع أن أقول له شيئًا)**: المراد: لا تستطيع أن تحكي لرسول الله ﷺ الواقعة؛ لأنه ما كان يعذرها في ذلك، ولم تستطع أن تتعرض لحفصة رضي الله عنها في ذلك، لأنها هي التي أجابتها طائعة، فعادت علىٰ نفسها باللَّوم.

• باب فضلها على النساء

- **(كَمُل من الرجال كثير)**: والمراد من الكمال هنا هو بلوغ الغاية الممكنة في التقوىٰ والفضائل والأخلاق والخصال الحميدة، وأكمل الناس في ذلك هم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم هو خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ.
- **(ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم..)**: قال ابن كثير في البداية والنهاية: ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية، ولعل المراد بذلك في زمانهما، فإن كلًّا منهما كفلت نبيًّا في حال صغره، فآسية كفلت موسىٰ الكليم، ومريم كفلت ولدها عبدالله ورسوله، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة ا.هـ.

ـ إن أمة محمد ﷺ هي أفضل الأمم علىٰ الإطلاق، وذلك بنص القرآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠] فلا تخلو من وجود من بلغ درجة الكمال من الرجال والنساء، ولا يبعد وجود هؤلاء في كل زمان ومكان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يمتنع وجود الكُمَّل من الرجال والنساء بعد عصر النبوة والصحابة، من أمثال التابعين وأتباعهم، وعلماء الأمة إلىٰ يومنا هذا، ولذلك ذكر معظم شراح الحديث أن المراد من الحديث: الأمم السابقة.

- **(إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد)**: وفيه فضيلة ظاهرة لعائشة، وقد ضرب لها المثل بالثريد، الذي هو أفضل طعام العرب، ولا نظير له في الأغذية عندهم، ليُعلم أنها أُعطيت حسن الخُلق وحسن الخَلق، وحسن الحديث، وحلاوة المنطق، وجودة القريحة، ورزانة الرأي، والتحبب إلىٰ الزوج، وغير ذلك من المعاني، وحسبها من تلك المعاني أنها عقلت عن رسول الله ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال رضي الله عنها وأرضاها.

• باب إقراء جبريل عليه السلام

- حديث الباب: فيه فضيلة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها، وفيه استحباب بعث السلام، ووجوب تبليغه علىٰ الرسول، وفيها بعث الأجنبي السلام إلىٰ المرأة الصالحة إذا لم يترتب عليه مفسدة، ووجوب رد السلام.
- استنبط بعضهم من هذا الحديث فضل خديجة علىٰ عائشة رضي الله عنها؛ لأن الذي ورد في حق خديجة أن النبي ﷺ قال لها: (إن جبريل يُقرئك السلام من ربك) وأطلق هنا السلام من جبريل نفسه.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا: «أَنَا لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»*

١٢٠٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ(١)، لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ. قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ؛ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ. قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ. قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ. قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ. قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ. قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ ـ أَوْ: عَيَايَاءُ ـ، طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ، أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ. قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ. قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ. قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ، وَمَا مَالِكٌ؟ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ. قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ، وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ. أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ. ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَعْرٍ.

المفردات

- **عُجَرَه وبُجره**: العُجرة نفخة في الظَّهر، فإذا كانت في السُّرة فهي بُجرة، والمراد عيوبه الباطنة.
- **العَشَنَّق**: الطويل المذموم الطول، وقيل: الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه.
- **إذا أكل لَفَّ**: أي: أكثر الطعام فلا يدع منه شيئًا.
- **اشْتَفَّ**: استوعب كل ما في الإناء.
- **غَيَايَاء**: من الظلمة أي: ثقيل الروح، أو من الغي وهو الانهماك في الشر.
- **عَيَايَاء**: المراد: العِنِّين الذي يعجز عن مباضعة النساء.
- **طَبَاقَاء**: أي: المنطبقة عليه أموره حمقًا.
- **شَجَّكِ أو فلَّكِ**: أي: جرح رأسك، أو جرح جسدك.
- **ريح زَرْنَب**: الزَّرنب: نبت طيب الرائحة.
- **طويل النِّجَاد**: أي: طويل حمائل السيف، وهي كناية عن طوله المحمود.
- **المِزْهَر**: نوع من المعازف وهو العود كان يُضرب به للضيفان.
- **أَنَاسَ من حُلِيٍّ أُذنيَّ**: أي: حرَّك، والمراد: ملأ أذنيها من الحلي.
- **بَجَّحَني**: أي: فرَّحني، وقيل: عَظَّمني.
- **وَدَائِسٍ ومُنَقٍّ**: المراد: صاحب زرع يَدُوسه ويُنَقِّيه.
- **وأَشْرَب فَأَتَقَنَّح**: هو الشرب على مهل لكثرته، وللأمان من فقده.
- **عُكُومِها رَدَاح**: أي آنيتها التي فيها الطعام والمتاع كبيرة عظيمة.
- **كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ**: أي: كَشَقِّ سَعْفَة، والمراد: خفيف اللحم وهو ما يُمدح به الرجل.

الفوائد

• **باب قول النبي ﷺ لها: «أنا لك كأبي زرعٍ لأم زرع»**

- **(قالت الأولى..)**: هذه وصفت زوجها بأنه قليل الخير من أوجه: أنه كلحمٍ غثٍّ مهزولٍ رديء، وأنه صعب التناول لا يُتوصل إليه إلا بمشقة شديدة، وأرادت بذلك أنه يجمع إلى قلة خيره تكبره وسوء خلقه.
- **(قالت الثانية..)**: أي أن خبره طويل، إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرة معايبه الباطنة، وأسراره الكامنة، فاكتفت بالإشارة دون التفصيل.
- **(قالت الثالثة..)**: فهذه ذَمَّت زوجها بأنه ليس فيه أكثر من طول بلا نفع، فإن ذكرت عيوبه طلقها، وإن سكتت عنها علقها فتركها لا عزباء ولا مُزوجة، أرادت بذلك وصف سوء حالها عنده، فلا هي بذات بعل فتنتفع به، ولا هي مطلقة تتفرغ لغيره، فهي كالمعلقة.
- **(قالت الرابعة..)**: قال النووي: هذا مدح بليغ، ومعناه: ليس فيه أذى، بل هو راحة ولذاذة عيش كليل تِهامة لذيذ معتدل، ليس فيه حرٌّ ولا بردٌ مفرط، ولا أخاف له غائلة لكرم أخلاقه، ولا يسأمني ولا يملُّ صحبتي ا.هـ.
- **(قالت الخامسة..)**: هذا أيضًا مدح بليغ، فتصفه بالفهد إذا دخل، أي: بالغفلة عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقي، أما إذا صار بين الناس أو في الحرب كان كالأسد لفرط شجاعته وإقدامه.
- **(قالت السادسة..)**: هذه تذمه بأنه نَهِمٌ في طعامه وشرابه، وإذا اضطجع رقد ناحيةً، وتلفَّف بكسائه وحده، وانقبض عن أهله إعراضًا، فينام نوم العاجز الفَشِل الكَسِل، فهي كئيبة حزينة لذلك، أو لعدم شفقته عليها، فهو لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن والألم فيزيله.
- **(قالت السابعة..)**: وصفته بالحمق والتناهي في سوء العشرة، وجمع النقائص بأنه يعجز عن قضاء وطرها مع الأذى، فإذا حدثته سبَّها، وإذا مازحته شجَّها أو كسر عضوًا من أعضائها، أو أغار على مالها، أو جمع كل ذلك لها.
- **(قالت الثامنة..)**: وصفته بحسن خلقه ولين جانبه، وطيب ريحه لكثرة نظافته، واستعماله الطيب، أو كنَّت بذلك عن طيب حديثه، أو طيب الثناء عليه لجميل معاشرته.
- **(قالت التاسعة..)**: مدحته بأنه من بيت شرف وعز وكرم، وبأنه كثير الأضياف، عظيم النار ليلاً ليهتدي إليها الضيفان، وبقرب بيته من مجلس القوم لاعتمادهم رأيه، وامتثالهم لأمره، فجمعت له السيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة.
- **(قالت العاشرة..)**: وصفته بالكرم والجود، وكثرة الإبل التي تسرح ثم ترجع لفنائه؛ لتكون حاضرة إذا نزل به الضيفان، فيقريهم من ألبانها ولحومها.
- **(قالت الحادية عشرة..)**: تمدح زوجها أبا زرع بأنه نقلها من شدة العيش في أهل الغنم إلى السَّعة في أهل الخيل والإبل، فصارت في نعيم ورغد مكفية بمن يخدمها فتنام قريرة العين، ووصفت أمه بأنها واسعة البال رَغِدَة العيش عليها سمة النعيم، ووصفت ولده بأنه قنوع ظريف فلم يثقل عليها في طعامه ولا في إقامته عندها.

ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ. بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا[1]. جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ؟ لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا. قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ[2] زَوْجًا، وَقَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ**.

مَنَاقِبُ خَدِيجَةَ رضي الله عنها*

بَابُ خَيْرِيَّتِهَا عَلَى غَيْرِهَا*

١٢٠٣ ـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**.

بَابُ بِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا بِالْجَنَّةِ*

١٢٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَصِفْرُ رِدَائِهَا، وَخَيْرُ نِسَائِهَا، وَعَقْرُ جَارَتِهَا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ذَابِحَةٍ.

ـ ٣٥ ـ

المفردات

- **ذِرَاع الجَفْرَة**: الجَفْرَة: هي الأنثىٰ من ولد المعز إذا كان له أربعة أشهر.
- **تَبُثُّ**: أي: لا تُشِيعُ.
- **ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا**: الميرة: الطعام المجلوب، فهي أمينة لا تفسده ولا تفرقه.
- **ولا تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا**: أي: لا تترك القمامة فيه مفرقة كعش الطائر.
- **والأوطاب تُمخَضُ**: أي: تُحرَّك، والأوطاب هي الأسقية التي يُمخض فيها اللبن.
- **خَطِّيًّا**: الخَطِّي: الرمح المنسوب إلىٰ الخط، وهي قرية عند عمان والبحرين.
- **أَرَاح**: أتىٰ بها إلىٰ مُراحها، وهو موضع مبيتها.
- **نَعَمًا**: النَّعم: هي الإبل والبقر والغنم.
- **ثَريا**: كثير المال.
- **رَائحة**: مما يروح من الإبل والبقر والغنم والعبيد.
- **زوجًا**: أي: اثنين، أو صنفًا.
- **ميري أهلك**: أي: أعطيهم وصليهم.
- **قَصَب**: أي: لؤلؤ مجوَّف.
- **لا صَخَبَ فيه ولا نصب**: لا ضوضاء فيه ولا تعب.

الفوائد

- **(يُشبِعُه ذراع الجفرة)**: أي لو طعم عندها لاقتنع باليسير الذي يسد الرمق، وأرادت بذلك وصفه بأنه خفيف الوطأة عليها، لأن زوج الأب غالبًا تستثقل ولده من غيرها، فكان هذا خفيفًا مُهذبًا.
- **(وملء كسائها وغيظ جارتها)**: أرادت كمال شخصها ونَعْمة جسمها، مما يغيظ ضرتها، مما ترىٰ من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها.
- **(خرج أبو زرع والأوطاب تُمخض)**: أرادت أنه يبكِّر بخروجه غدوة وقت قيام الخدم لأشغالهم، وانطوىٰ في خبرها كثرة خير داره وغُزْر لبنه، وأن عندهم ما يكفيهم ويفضل حتىٰ يمخضوه ويستخرجوا زبده، وفيه توطئة كذلك للباعث علىٰ رؤية أبي زرع للمرأة علىٰ الحالة التي رآها عليها أي: أنها من مخض اللبن تعبت فاستلقت تستريح فرآها أبو زرع علىٰ ذلك.
- **(معها ولدان لها كالفهدين..)**: فيه تنبيه علىٰ تزويج أبي زرع لها؛ لأنهم كانوا يرغبون النساء المنجبات، وفيه من وصفها: أنها كانت ذات كَفَل عظيم، فإذا استلقت ارتفع كَفَلُها بها من الأرض، وقيل: فيه تشبيه نهديها بالرمانتين إشارة إلىٰ صغر سنها، والأول أقرب.
- **(كُلِي أم زرع وميري أهلك)**: وصفته بالسُّؤدد في ذاته والشجاعة والفضل والجود، ومع ذلك فكانت أحواله عندها محتقرة بالنسبة لأبي زرع، ربما لأنه كان أول أزواجها فسكنت محبته في قلبها، وفيه دليل لمن كره نكاح الثيِّب، وتفضيل البكر عليها.
- **(كأبي زرع لأم زرع)**: وفي رواية: (في الألفة والوفاء، لا في الفرقة والجلاء) وفي رواية أنها قالت: (بأبي وأمي، لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع) فأجابته عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعلمها رضي الله عنها.
- في الحديث: حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس والمحادثة المباحة، والمزاح أحيانًا، ومداعبة الرجل أهله، وإعلامهم حبه ما لم يفض ذلك إلىٰ مفسدة من إعراضها عنها، ومنع الفخر بالمال، وبيان ذكر الفضل بأمور الدين، وذكر المرأة إحسان زوجها، والحديث عن الأمم الخالية، وذكر طُرف الأخبار تنشيطًا للنفوس، وفيه جواز وصف النساء إن كن مجهولات، وفيه مدح الرجل في وجهه إذا أمنت عليه الفتنة، وفيه جواز السَّجع في الكلام إن لم يكن متكلفًا.

مناقب خديجة رضي الله عنها

• باب خيريتها على غيرها

- حديث الباب فيه خيرية مريم وخديجة علىٰ نساء زمانهما علىٰ الأرجح، وفيه منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها، قال ابن حجر: استُدل به علىٰ أن خديجة أفضل من عائشة رضي الله عنها، وعند النسائي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أفضل نساء الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية) وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل.

• باب بشارة النبي ﷺ لها بالجنة

- هذا الحديث من مراسيل الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن أبا هريرة لم يدرك خديجة، وهو حجة عند جماهير العلماء، ويحتمل أنه سمعه من النبي ﷺ أو من صحابي آخر.
- حديث الباب فيه منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها: فيه بشارة لها بالجنة، وفيه عظيم قدرها عند الله ﷻ، وفيه عظيم فقهها بأسماء الله وصفاته، وعلمها بأن الله هو السلام كما عند النسائي من حديث أنس رضي الله عنه: (فقالت: إن الله هو السلام، وعلىٰ جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته) وفيه رد السلام علىٰ من أرسل السلام ومن بلَّغه، وفيه عظيم عنايتها بالنبي ﷺ وخدمتها له بنفسها رضي الله عنها وأرضاها.

بَابُ صِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهْلِ وُدِّهَا*

١٢٠٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، (فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: **إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**)[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ[2].

بَابُ حُسْنِ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا*

١٢٠٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، (فَارْتَاعَ)[3] لِذَلِكَ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ هَالَةَ**. قَالَتْ: فَغِرْتُ؛ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا؟.

بَابُ مَنَاقِبِ زَيْنَبَ رضي الله عنها*

١٢٠٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: **أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**. فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ (سَوْدَةُ) أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ[4].

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ: **إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَارْتَاحَ.
(٤) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**. قَالَتْ: =

- ٣٦ -

المفردات

- **فَارْتَاعَ**: أي: تغيَّر، وفي رواية: (ارتاح) أي: اهتز لذلك سرورًا.
- **الشِّدْقَين**: أي: باطن الفم، كنَّت بذلك عن سقوط أسنانها لكبرها.
- **يَذْرَعُونَهَا**: أي: يقدِّرُونَها.

الفوائد

• **باب صلة النبي ﷺ لأهل ودِّها**

– حديث الباب فيه استمرار حب النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وذلك بتعاهده صدائقها بالهدية والإكرام، وكان ذلك الحب لها لعظيم فضلها وعقلها، وحبها ومواساتها له ﷺ، وإيمانها وبذلها للإسلام رضي الله عنها، فلا يكون هذا الوفاء إلا بوفاء مثله، وسابق إحسان يُشعل في القلب جذوته، كما فعلت خديجة رضي الله عنها مع نبينا ﷺ في مقتبل الرسالة، وقبلها من مساندةٍ وحسن عشرة رضي الله عنها وأرضاها.

– **(ما غرت على..)**: فيه ثبوت الغيرة، وأنه غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عمن دونهن، وأن عائشة رضي الله عنها كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن غيرتها من خديجة كانت أعظم، وإنما كان ذلك لكثرة ذكر النبي ﷺ لها، وثنائه عليها.

– كان النبي ﷺ يعذر عائشة في غيرتها التي جُبل عليها النساء، فأصل الغيرة غير مكتسب للنساء، لكن إذا أفرطت في ذلك المرأة بقدر زائد عليه تُلام، فالغيرة ليست عذرًا في التجاوز إلىٰ ما يحرم من قول أو فعل، وعليه يُحمل ما جاء عن نساء السلف في ذلك.

– **(إنها كانت وكانت..)**: أي: كانت فاضلة وعاقلة ونحو ذلك وعند أحمد: (آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد الناس) وقد كافأها النبي ﷺ في حياتها بأنه لم يتزوج عليها غيرها، وفيه دليل علىٰ عظم قدرها عنده، ومزيد فضلها.

– ومما اختصت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها سبْقُها نساء هذا الأمة إلىٰ الإيمان، فَسَنَّت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، وقد شاركها من الرجال في ذلك أبو بكر رضي الله عنه، ولا يُعرف قدر ما لكل واحد منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله ﷻ.

• **باب حسن عهد النبي ﷺ لها**

– حديث الباب فيه دليل لحسن العهد، وحفظ الوُد ورعاية حرمة الصاحب والمعاشرة حيًّا وميتًا، وفيه منقبة ظاهرة لخديجة رضي الله عنها التي استقر حبها في قلبه ﷺ، إذ لم يتنكر لهذه الزوجة الكريمة الفاضلة التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، بل ويعلن ذلك الحب بين زوجاته بعد وفاتها؛ وفاء لها كما عند مسلم: (إني قد رُزقت حبها) ولم يغير مرور الزمن ما في قلبه حيالها، فما زال الوفاء لها والحفاظ علىٰ عهدها يهتز له قلبه ﷺ سرورًا وفرحًا كلما طرأ ذكرها.

– **(اللَّهُمَّ هالة)**: فيه حذف تقديره: اجعلها هالة، وفيه أن من أحبَّ شيئًا أحب محبوباته، وما يشبهه وما يتعلق به؛ لأن صوت هالة واستئذانها يشبه صوت خديجة رضي الله عنها.

– **(وقد أبدلك الله خيرًا منها)**: أرادت بالخيرية هنا: حسن الصورة وصغر السِّن، وفي رواية الطبراني: (قالت عائشة: فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب حتىٰ قلتُ: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير) وفي رواية: (والله ما أبدلني خيرًا منها، آمنت بي...الحديث)، وفيه أن النبي ﷺ كان ينتصر لخديجة رضي الله عنها، وكان يقسو علىٰ عائشة رضي الله عنها وهي أحب إلىٰ الناس إليه لأجلها، وقد رأت منه في ذلك ما زجرها حتىٰ أقسمت أن لا تذكرها بعد ذلك إلا بخير، ويُعتذر عن عائشة رضي الله عنها في ذلك بأنه كان من فرط غيرتها وحداثة سنها رضي الله عنها.

• **باب مناقب زينب رضي الله عنها**

– حديث الباب فيه منقبة ظاهرة لزينب رضي الله عنها، فقد كانت صالحة، تقية، صادقة، وقد شهدت لها بذلك عائشة رضي الله عنها كما في رواية مسلم: (ما رأيت امرأة خيرًا من زينب أتقىٰ لله، وأصدق حديثًا وأوصل للرحم، وأعظم صدقة) رضي الله عنها.

– **(أَطْوَلكُنَّ يدًا)**: كناية عن كثرة الصدقة، وفيه علم من أعلام النبوة، وفيه جواز إطلاق اللفظ المشترك بين الحقيقة والمجاز بغير قرينة، وفيه أن من حمل الكلام علىٰ ظاهره لا لوم عليه وإن كان مراد المتكلم مجازه.

بَابُ مَنَاقِبِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا*

١٢٠٨ ـ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ،[١] عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: **مَنْ هَذَا؟** قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ.

بَابُ مَنَاقِبِ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا*

١٢٠٩ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي أَرْحَمُهَا؛ قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي.**

١٢١٠ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ**)[٢] **الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً،** (**فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا**)[٣] **بِلَالٌ.**

بَابُ مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا*

١٢١١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

= فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا؛ فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. و...

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **أُرِيتُ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **فَإِذَا**.

- ٣٧ -

المفردات

- **الرُّمَيْصَاء**: صفة لها لِرَمص كان في عَيْنَيْهَا، والرَّمص: هو اجتماع القذىٰ في مؤخَّر العين ووفي هدبها، وقيل: استرخاؤها وانكسارها.
- **خَشَفَةً**: أي: حركة، والمراد: حِس وقع القدم.

الفوائد

• باب مناقب أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

- حديث الباب فيه فضيلة أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، لدخول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ النبي ﷺ وهي عنده، فَشَرُفت برؤيته عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- وفيه جواز رؤية البشر الملائكة ووقوع ذلك، ويرونهم علىٰ صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقدرون علىٰ رؤيتهم علىٰ صورتهم، وكان النبي ﷺ يرىٰ جبريل علىٰ صورة دحية غالبًا، ورآه مرتين علىٰ صورته.

• باب مناقب أم سُليم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

* **حديث أنس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- فيه منقبة لأم سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث كان النبي ﷺ يتعهدها ويزورها هي وأختها أم حرام، وكانتا خالتين للنبي ﷺ من الرضاع أو من النسب، وكان يدخل عليهما خاصة، ولا يدخل علىٰ غيرهما من النساء إلا أزواجه.

- وفيه جواز دخول المحرم علىٰ محرمه، وفيه إشارة إلىٰ منع دخول الرجل علىٰ الأجنبية وإن كان صالحًا، وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرحمة والتواضع وملاطفة الضعفاء، وفيه صحة الاستثناء من الاستثناء.

* **حديث جابر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- فيه منقبة ظاهرة لأم سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فإن النبي ﷺ رأىٰ في المنام أنه دخل الجنة -ورؤيا الأنبياء حق- أنه دخل الجنة فسمع صوتها فيها.

- وكذلك رأىٰ بلالاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يمشي أمامه في الجنة وسيأتي تفصيله.

• باب مناقب زيد بن حارثة وأسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

* **حديث عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

- **(ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد)**: كان النبي ﷺ قد تبنىٰ زيدًا، ودعاه ابنه، وكانت العرب تفعل ذلك، يتبنىٰ الرجل مولاه أو غيره، فيكون ابنًا له، يوارثه وينتسب إليه حتىٰ نزلت الآية فرجع كل إنسان إلىٰ نسبه، إلا من لم يكن له نسب معروف، فيضاف إلىٰ مواليه كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

المفردات

- **وَايْمُ اللهِ**: بألف الوصل أو القطع، وهي قسم.
- **لَخَلِيقًا**: أي: مُسْتَحِقًّا.
- **دَفَّ نَعليك**: أي: صوت مشيتك فيها.
- **ما كُتب لي**: أي: قُدِّر، وهو أعم من الفريضة والنافلة.

الفوائد

- **(بعث النبي ﷺ بعثًا)**: هو البعث الذي أمر بتجهيزه في مرض وفاته، وقال: (أنفذوا بعث أسامة) فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه؛ فسار عشرين ليلة إلىٰ الجهة التي أُمر بها، فقاتل الروم ورجع بالجيش سالمًا وقد غنموا.
- **(إن تطعنوا في إمارته..)**: أي: إن تطعنوا في إمارته فقد أثِمتم بذلك؛ لأن طعنكم بذلك ليس حقًّا كما كنتم تطعنون في إمارة أبيه وظهرت كفايته وصلاحيته للإمارة، وأنه كان مستحقًّا لها، فلم يكن لطعنكم مستند، فلذلك لا اعتبار بطعنكم في إمارة ولده، ولا التفات إليه.
- وفيه جواز إمارة المولىٰ، وتولية الصغار علىٰ الكبار، والمفضول علىٰ الفاضل؛ لأنه كان في الجيش الذي كان عليهم أسامة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لما جهزه أبو بكر رضي الله عنه بعد موت النبي ﷺ وبعد ما استُخلف سأله أبو بكر رضي الله عنه أن يأذن لعمر رضي الله عنه بالإقامة فأذن له.
- في الحديث منقبة ظاهرة لزيد وأسامة رضي الله عنهما؛ بشهادة النبي ﷺ لهما باستحقاقهما الولاية، وتصريح النبي ﷺ بأنهما من أحبِّ الناس إليه حتىٰ اشتهر ذلك واستفاض في الناس فكانوا يسمون أسامة: حِب رسول الله وابن حِبه.

• باب مناقب بلال رضي الله عنه

- **(فإني سمعت دَفَّ نَعْلَيْك في الجنة)**: فيه ثبوت فضيلة لبلال رضي الله عنه، لأن رؤيا الأنبياء وحي، ولذلك جزم له النبي ﷺ بذلك، ومشيه بين يدي النبي ﷺ كان من عادته في اليقظة، فاتفق مثله في المنام، ولا يلزم منه دخول بلال رضي الله عنه الجنة قبل النبي ﷺ؛ لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار ﷺ إلىٰ بقاء بلال رضي الله عنه علىٰ ما كان عليه حال حياته واسمراره علىٰ قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال رضي الله عنه.
- في الحديث فضيلة الصلاة، واستحباب دوام الطهارة، ومناسبة المجازاة علىٰ ذلك بدخول الجنة؛ لأن من لازم

١٢١٢ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**(١).

بَابُ مَنَاقِبِ بِلَالٍ رضي الله عنه*

١٢١٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: **يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**. قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا(٢) فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

بَابُ مَنَاقِبِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه*

١٢١٤ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ:(٣) قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللهِ! خَادِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللهَ لَهُ.(٤) قَالَ: **اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**.(٥) (وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَايْمُ اللهِ إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ؛ فَأُوصِيكُمْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: تَامًّا.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ...
(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَدَعَا لِي بِثَلَاثِ دَعَوَاتٍ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ.

- ٣٨ -

الدوام علىٰ الطهارة أن يبيت المرء طاهرًا، ومن بات طاهرًا عرجت روحه فسجدت تحت العرش، كما عند البيهقي في الشعب من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما والعرش سقف الجنة.

• باب مناقب أنس بن مالك رضي الله عنه

- حديثا الباب فيهما منقبة عظيمة لأنس رضي الله عنه بدعاء النبي ﷺ له بكثرة المال والولد، والبركة فيهما، وكتمانه سِرَّ رسول الله ﷺ، بل إن في إسرار النبي ﷺ له بسره فضيلة في ذاته.
- **(اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده..)**: فيه الدعاء بكثرة المال والولد، وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي، وفيه إيثار الولد علىٰ النفس؛ لأن أم سليم سألت النبي ﷺ الدعاء لولدها فقدمته علىٰ نفسها، وفيه حسن التَّلطف في السؤال، وفيه التحدث بنعمة الله تعالىٰ، وفيه من معجزات النبي ﷺ لما في إجابة دعوته من الأمر النادر وهو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد، وكون بستان المدعو له صار يثمر مرتين في السنة دون غيره.

الفوائد

- **(مَقْدَمَ حَجَّاج البصرة):** وكان قدوم الحجَّاج البصرة سنة خمس وسبعين، وعمر أنس رضي الله عنه حينئذٍ نيِّفٌ وثمانون سنة، وقد مات رضي الله عنه وعمره يقارب المئة، وفيه التأريخ بالأمر الشهير ولا يتوقَّف ذلك علىٰ صلاح المؤرخ به.

- **(بضع وعشرون ومائه):** فيه دليل علىٰ كثرة ما جاءه من الولد، فهذا القدر هو الذي مات منهم، وأما الذين بقوا منهم فعند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: (وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون علىٰ نحو المئة) وقال النووي في ترجمته: كان أكثر الصحابة رضي الله عنهم أولادًا، وفيه دليل علىٰ بركة دعاء النبي ﷺ له بكثرة الولد؛ ولا ينافي ذلك كثرة الموت فيهم؛ لما يحصل من المصيبة بموتهم والصبر علىٰ ذلك من الثواب.

- **(فما أخبرت به أحدًا بعده، ولقد سَألتني أم سليم):** وفي رواية عند مسلم: (فقالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ، قالت: لا تخبر بسرِّ رسول الله ﷺ أحدًا) قال بعض العلماء: كأن السر كان يختص بنساء النبي ﷺ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسًا رضي الله عنه كتمانه.

- والسِّر لا يباح به إذا كان علىٰ صاحبه مَضَرَّة أو كان يكره ذلك في حياته، وبعد موته يجوز ذكره إن كان فيه منقبة له ونحو ذلك، وقد يجب كأن يكون متعلقًا بحق في ذمته ليُوفَّىٰ عنه.

• باب مناقب المهاجرين الأولين

- **(فألقتْنا سَفِينَتُنَا إلى النجاشي..):** كأن الريح هاجت عليهم فما ملكوا أمرهم حتىٰ أوصلتهم بلاد الحبشة، وقد عدَّها بعض أهل السِّير لأبي موسىٰ وأصحابه هجرة؛ فتكون لهم هجرتان: فهذه واحدة، ثم الثانية من الحبشة إلىٰ المدينة مع جعفر رضي الله عنه وأصحابه.

- **(فأسهم لنا، وما قَسَمَ لأحد..):** قال النووي رحمه الله: هذا الإعطاء محمول علىٰ أنه برضا الغانمين، وقد جاء في صحيح البخاري ما يؤيده، وفي رواية البيهقي التصريح بأن النبي ﷺ كلم المسلمين فشركوهم في سُهمانهم، وهذا الجزاء من جنس العمل لما تركوا الأوطان لله ورسوله رزقهم الله من حيث لم يحتسبوا.

أَمْيَنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجِ الْبَصْرَةِ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ)[1].

١٢١٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ[2].

بَابُ مَنَاقِبِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ*

١٢١٦ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَنَا هَا هُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ؛ فَأَقِيمُوا مَعَنَا ـ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَسْهَمَ لَنَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ ـ، وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا ـ يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ ـ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ. وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ـ وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا ـ عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ:

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ! قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ.

- ٣٩ -

- **(ودخلت أسماء بنت عُميس):** هي زوج جعفر رضي الله عنها.

- **(من هذه):** فيه إشارة إلىٰ أنها كانت متحجبة لا يظهر منها شيء تُعرف به ولذلك سأل عمرُ حفصة رضي الله عنها.

أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ. قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ؛ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ. فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ:(١) كَلَّا وَاللهِ! كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضِ - الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللهِ لَا أَكْذِبُ، وَلَا أَزِيغُ، وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ! إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. (قَالَ: **فَمَا قُلْتِ لَهُ؟** قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا.) قَالَ: **لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**. قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي.

بَابُ مَنَاقِبِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما*

١٢١٧ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: **مَنْ وَضَعَ هَذَا؟** فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ (فِي الدِّينِ)**.

(وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **الْكِتَابَ**).

(١) وَلِمُسْلِمٍ: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ.

- ٤٠ -

المفردات

- **الحَبَشـيَّة هـذه؟ البَحْرِيَّـة هـذه؟**: نَسَبَها إلىٰ الحبشة لسُكناها فيها، وإلىٰ البحر لركوبها إياه.
- **البُعداء البُغَضاء**: جمع بَعِيد وبَغيض.
- **وذلك في الله وفي رسوله**: أي: لأجلها.
- **أَرْسَالاً**: أي: أفواجًا.
- **وَضُوءًا**: أي: ماء ليتوضأ به.

الفوائـد

- **(وايـم الله لا أطعـم طعامًـا ولا أشرب..)**: فيه منقبة خاصة لأسماء بنت عميس رضي الله عنها، ومدىٰ حرصها علىٰ تحصيل الأجر والثواب، وقلقها لذلك وغضبها، وقد كانت قوية في الحق رضي الله عنها.
- **(ولكـم أنـتم أهـل السـفينة هجرتـان)**: فيه منقبة ظاهرة لأهل السفينة، وظاهر تفضيلهم علىٰ غيرهم من المهاجرين، لكن لا يلزم منه تفضيلهم من كل وجه، بل من الحيثيَّة المذكورة.
- وفيه أن النية الصالحة ترفع ثواب الأعمال، لأن أهل السفينة كُتِبت لهم هجرتان بنيتهم الصالحة، واحتسابهم في فِرَارهم إلىٰ الحبشة من أذىٰ قريش.
- وفيه أنه لابد للتمكين من الابتلاء والامتحان، حيث هاجروا وتركوا أوطانهم وأهليهم وتحملوا الغربة، في ذات الله تعالىٰ ثم جاء النصر والتمكين، فعادوا بفضل الله آمنين مطمئنين.
- **(يـأتوني أرسـالاً يسـألوني عـن هـذا الحـديث)**: فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم علىٰ أخذ العلم من مصدره؛ وفيه حرص أبي موسىٰ رضي الله عنه علىٰ ذلك، وفيه الفرح بنعمة الله واستحضار وتذاكر المبشرات لاسيما في الدين: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

• باب مناقب ابن عباس رضي الله عنهما

- **(فوضعت له وَضـوءًا..)**: قال ابن المنيِّر: مناسبة الدعاء لابن عباس رضي الله عنهما بالتفقه علىٰ وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يُدخل إليه الماء إلىٰ الخلاء، أو يضعه علىٰ الباب ليتناوله من قرب، أو لا يعمل شيئًا، فرأىٰ الثاني أوفق، لأن في الأول تعرضًا للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، ففعله يدل علىٰ ذكائه، فناسب أن يدعو له بالتفقه في الدين، ليحصل به النفع، وكذا كان ا.هـ.
- **(ضمني النبي ﷺ إلى صدره)**: كان ابن عباس رضي الله عنهما إذ ذاك غلامًا مميزًا، فيستفاد منه جواز احتضان الصبي القريب علىٰ سبيل الشفقة، وفيه رحمة النبي ﷺ وشفقته، وفيه المكافأة المعنوية والتواصل البدني بين المعلم وتلميذه ما لم يترتب علىٰ ذلك مفسدة، وهو أنفع وسائل التربية فصل الله علىٰ خير معلم عرفته البشرية وسلم تسليمًا كثيرًا.
- **(اللَّهُمَّ علمه الحكمة. وفي رواية: الكتاب)**: واختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا علىٰ أقوال كثيرة، وأقربها أن المراد بها في دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: الفهم في القرآن، وفيه فضيلة الفقه في دين الله، واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً صالحًا، وفيه إجابة دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه، فكان في الفقه بالمحل الأعلىٰ، وكان من أعلم الصحابة بتفسير القرآن حتىٰ لُقِّب بترجمان القرآن، وكل ذلك ببركة دعوة النبي ﷺ.

بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

١٢١٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، (وَفِي رِوَايَةٍ: فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَأَرِنِي مَنَامًا يُعَبِّرُهُ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ)، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا أَعْزَبَ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ! فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ (وَفِي رِوَايَةٍ: خَلِّيَا عَنْهُ). فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ**. قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

(وَفِي رِوَايَةٍ: فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ! ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلَاةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلَاسِلِ، رُؤُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ...).

وَفِي رِوَايَةٍ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ، لَا أَهْوِي بِهَا إِلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ (بِي) إِلَيْهِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ**.

- ٤١ -

المفردات

– **مَطْوِيَّة**: أي: مبنيَّة، والبئر قبل أن تُبنَىٰ تُسمىٰ قَلِيبًا.

– **وإذا لها قَرْنَان**: أي: خَشَبتان أو بناءان تُمدُّ عليها الخشبة العارضة التي تعلق فيها الحديدة التي فيها البكرة.

– **لَنْ تُرَاع**: أي: لا خوف عليك بعد هذا.

– **مِقْمَعَةٌ**: جمعها مقامع، وهي كالسياط من الحديد، رؤوسها مُعوجة.

الفوائد

• **باب مناقب عبدالله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**

– **(فَتَمَنَّيْتُ أن أرى.. وفي رواية: (فقلت: اللَّهُمَّ إن كان لي عندك خير..)**: وفيه أن الرؤيا الصالحة تدل علىٰ خير رائيها.

– **(كأن ملكين)**: قال ابن بطال: يؤخذ منه الجزم بالشيء، وإن كان أصله استدلالاً؛ لأن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استدل علىٰ أنهما ملكان بأنهما وقفاه علىٰ جهنم، ووعظاه بها، والشيطان لا يعظ ولا يُذَكِّر الخير. ا.هـ.

– قال ابن حجر: ويحتمل أن يكونا أخبراه بأنهما ملكان، أو اعتمد النبي ﷺ لمَّا قصته عليه حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فاعتمد علىٰ ذلك ا.هـ.

– **(نعم الرجل..)**: قال القرطبي: إنما فسَّر الشارع من رؤيا عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما هو ممدوح؛ لأنه عُرض علىٰ النار ثم عُوفي منها، وقيل له: لا رَوْعَ عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من ذلك تنبيه علىٰ أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك ا.هـ.

– وأشار المهلب إلىٰ أن السِّر في ذلك كون عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان ينام في المسجد، ومن حق المسجد أن يُتعبد فيه، فنبه علىٰ ذلك بالتخويف بالنار.

– في الحديث منقبة ظاهرة لعبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ لقول النبي ﷺ: (إن عبدالله رجل صالح) وقول الملك: (نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة)، وفي رواية: (لم تُرع إنك رجل صالح).

– قال ابن بطال: في الحديث أن بعض الرؤيا لا يحتاج إلىٰ تعبير، وعلىٰ أن ما فُسِّر في النوم فهو تفسيره في اليقظة، لأن النبي ﷺ لم يزد في تفسيرها علىٰ ما فسَّرها الملك ا.هـ.

– وفيه وقوع الوعيد علىٰ المواظبة علىٰ ترك السنن إعراضًا عنها، لأن الوعيد والتعذيب لا يقع إلا علىٰ المحرَّم، وهو الترك بقيد الإعراض.

– وفيه جواز المبيت في المسجد وهو قول الجمهور، ومشروعية النيابة في قصِّ الرؤيا، وفيه أدب ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومهابته للنبي ﷺ، حيث لم يقص رؤياه بنفسه، وفيه فضل قيام الليل.

بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما*

١٢١٩ ـ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: (قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِابْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهم)[١]: أَتَذْكُرُ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا وَأَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَمَلَنَا وَتَرَكَكَ[٢].

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ حَمَلَ قُثَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْفَضْلَ خَلْفَهُ، أَوْ قُثَمَ خَلْفَهُ، وَالْفَضْلَ بَيْنَ يَدَيْهِ).

بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

١٢٢٠ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِينًا مَا نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؛ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ[٣].

١٢٢١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ:[٤] وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ، (وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ). قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الْحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ ابنُ جَعْفَرٍ لِابْنِ الزُّبَيْرِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما: كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ. قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ. قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنْ كَانَ لَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا، وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَقَرَأَ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟.

- ٤٢ -

الفوائد

• باب مناقب عبدالله بن جعفر رضي الله عنه

* **حديث ابن أبي مُلَيكة:**

– **(قال: نعم فحملنا وتركك):** ظاهره أن القائل: (فحملنا) هو عبدالله بن جعفر، وأن المتروك هو ابن الزبير، وأخرجه مسلم مقلوبًا، ولفظه: (قال عبدالله بن جعفر لابن الزبير) جعل المستفهِم عبدالله بن جعفر، والقائل: (فحملنا) عبدالله بن الزبير، ورواية البخاري أصح، ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما قدم رسول الله ﷺ مكة اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمة من بني عبدالمطلب، فحمل واحدًا بين يديه، وآخر خلفه) فإن ابن جعفر من بني عبدالمطلب بخلاف ابن الزبير.

* **حديث ابن عباس رضي الله عنهما:**

– **(وقد حمل قُثَمَ بين يديه والفضل خلفه):** هما ولدا العباس بن عبدالمطلب، وأخوا عبدالله بن عباس راوي الحديث، وفيه جواز ركوب الثلاثة علىٰ الدَّابة، إذا كانت مُطيقة.

– في الباب: منقبة لعبدالله بن جعفر رضي الله عنه، وفيه جواز الفخر بما يقع من إكرام النبي ﷺ.

وفيه ثبوت الصحبة له ولابن الزبير رضي الله عنهما، وهما متقاربان في السن، وقد حفظا غير هذا.

وفيه حفظ اليتيم والشفقة عليه حيث عطف النبي ﷺ علىٰ عبدالله بن جعفر لأن أباه كان قد مات فحمله رسول الله ﷺ شفقة عليه وعناية به.

• باب مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

– حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه فيه دليل علىٰ ملازمة ابن مسعود رضي الله عنه للنبي ﷺ، وهو يستلزم ثبوت فضله رضي الله عنه، وفيه تقديم ابن مسعود رضي الله عنه علىٰ غيره كما في رواية مسلم: (إن كان لَيُؤْذَنُ له إذا حُجبنا...).

– **(قدمت أنا وأخي من اليمن..):** وكان قدوم أبي موسىٰ رضي الله عنه علىٰ النبي ﷺ عند فتح خيبر لما قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد خرج من اليمن طالبًا المدينة في سفينة فألقتهم الريح إلىٰ الحبشة، فاجتمعوا هناك بجعفر رضي الله عنه ثم قدموا صُحْبَتَه.

* **حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:**

– فيه فضيلة لابن مسعود رضي الله عنه وعلمه بكتاب الله، وأن الصحابة لم ينكروا قوله أنه أعلمهم، والمراد أعلمهم بكتاب الله كما صرَّح به، ولا يلزم أن يكون أفضلهم من كل وجه، وفيه جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة.

– الحديث لا يتعارض من النهي عن تزكية النفس، لأن المنهي عنه هو تزكيتها ومدحها لغير حاجة، بل للفخر والإعجاب، ويجوز تزكيتها عند الحاجة كدفع شرٍّ عنه بذلك، كقول عثمان في وقت حصاره: أنه جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة، أو تحصيل مصلحة كقول يوسف –عليه الصلاة والسلام–: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، أو ترغيب في أخذ العلم عنه ونحو ذلك كما في حديث ابن مسعود هذا.

– وفيه الرحلة لطلب العلم، والذهاب إلىٰ الفضلاء حيث كانوا.

– **(وما أنا بخيرهم):** فيه أن الزيادة في صفة من صفات الفضل لا تقتضي الأفضلية المطلقة، فالأعلمية بكتاب الله ﷻ لا تستلزم الأعلمية المطلقة، بل يُحتمل أن يكون غيره أعلم منه بعلوم أخرىٰ.

المفردات

- **مُثِّل به:** من المُثْلة: ويقال: مَثّل بالقتيل: إذا جُدِع أنفه أو أُذنه أو شيء من أجزائه.

الفوائد

- **(ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تُبَلِّغه الإبل..):** وفي رواية: (تُبَلِّغنيه) وكأنه احترز بقوله: (تُبَلِّغنيه الإبل) عمن لا يصل إليه على الرواحل، إما لكونه كان لا يركب البحر فقيَّد بالبر، أو لأنه كان جازمًا بأنه لا أحد يفوقه في ذلك من البشر فاحترز عن سكان السماء.

• باب مناقب أُبيّ بن كعب رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ

* **حديث مسروق** رحمه الله:

- **(خذوا القرآن عن أربعة):** أي: تعلموه منهم، والأربعة المذكورون: اثنان من المهاجرين، وهما المبتدأ بهم، واثنان من الأنصار وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطًا له، وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرَّغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك نُدب إلىٰ الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعهم غيرهم، فليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، وقد ثبت حفظ جماعات من الصحابة في عهد النبي ﷺ، ذكر منهم المازَري خمسة عشر صحابيًّا رَضِوَاللَّهُ عَنْهُم.

- وفيه منقبة لهؤلاء الأربعة ومنهم أُبيّ بن كعب رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ، وفيه محبة من يكون ماهرًا في القرآن، وأن البداءة بالرجل في الذكر علىٰ غيره في أمر اشترك فيه مع غيره يدل علىٰ تقدُّمه فيه.

* **حديث أنس** رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ:

- فيه فضيلة عظيمة لأبي بن كعب رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ، وذلك من وجهين: أحدهما: كونه منصوصًا بعينه، ولهذا قال: وسماني؟، والثاني: قراءة النبي ﷺ فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس.

- والحكمة في أمره بالقراءة علىٰ أُبي: هي أن يتعلم أُبيٌّ ألفاظه وصيغة أدائه ومواضع الوقوف وصنع النغم في القرآن علىٰ أسلوب الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره، وقيل: قرأ عليه ليسُنَّ عرض القرآن علىٰ حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه، وليسُنَّ التواضع في أخذ الإنسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية

وَفِي رِوَايَةٍ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ(١).

بَابُ مَنَاقِبِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه

١٢٢٢ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ فَبَدَأَ بِهِ ـ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.**

١٢٢٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: **إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. قَالَ: وَسَمَّانِي؟ (وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟) قَالَ: **نَعَمْ**. فَبَكَى.

بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَرَامٍ رضي الله عنه *

١٢٢٤ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي ـ وَفِي رِوَايَةٍ: يَوْمَ أُحُدٍ ـ جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ.**

وَفِي رِوَايَةٍ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

- ٤٣ -

من أهلها، وليُنبه الناس علىٰ فضيلة أبيٍّ رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ ويحثهم علىٰ الأخذ منه، وكان كذلك، فكان بعد النبي ﷺ رأسًا وإمامًا مقصودًا في ذلك مشهورًا به، والله أعلم.

- **(فبكى):** وأما بكاؤه فبكاء سرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة العظيمة رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

• باب مناقب عبدالله بن حرام رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ

- حديث الباب فيه منقبة عظيمة لعبدالله بن حرام رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ، وفضيلة ظاهرة؛ لقوله ﷺ: (فما زالت الملائكة تظلُّه) يُحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعدَّ له من الكرامة عليه، ازدحموا عليه إكرامًا له وفرحًا به، أو أظلوه من حرِّ الشمس لئلا تُغيِّر ريحه أو جسمه.

- **(تبكيه أو لا تبكيه..):** أي أن هذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يُبكىٰ عليه بل يُفرح له بما صار إليه، ويحتمل أن يكون شكًّا من الراوي، وفيه جواز البكاء علىٰ الميت بغير نياحة ولا دعوىٰ الجاهلية.

المفردات

- **تَجَوَّز فيهما**: أي: تَرَخَّص وتَخَفَّف.
- **العُرْوَة**: هي ما يُستمسك به ويقبض عليه.
- **الوُثْقَى**: أي: التي لا تنفصم أي: لا تنحل ولا تنقطع.
- **مِنْصَفٌ**: أي: خادم.

الفوائد

• باب مناقب عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

* **حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**

- **(ما سمعت النبي ﷺ يقول..)**: وهذا لا يتعارض مع ثبوت الجنة لغير عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأن سعدًا ينفي سمعه لذلك، ولم ينفِ أصل الإخبار بالجنة لغيره، ولو نفاه كان الإثبات مقدمًا عليه.
- **(إنه من أهل الجنة)**: فيه منقبة عظيمة، وبشارة صريحة لعبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه من أهل الجنة.
- **(وفيه نزلت هذه الآية..)**: استُشكل نزول هذه الآية في عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد أسلم في المدينة، وسورة الأحقاف مكية، وأُجيب: بأنه لا يمتنع أن تكون السورة مكية وبعضها مدني وبالعكس، أو تكون كلها مكية وتقع الإشارة فيها إلىٰ ما سيقع بعد الهجرة من شهادة عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وقيل: نزلت في غيره، ولا مانع من تعدد أسباب النزول وتكون نزلت فيه وفي غيره.
- **(وشهد شاهد من بني إسرائيل)**: هو عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان من أحبار اليهود، آمن بالنبي ﷺ وصدق به وبكتابه ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾[الأحقاف:١٠] أي: آمن بما جاء به من عند الله، واستكبرتم أنتم بما آمن به عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معشر اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] فلا يهدي للحق والطريق المستقيم الذين استكبروا وظلموا أنفسهم بالكفر والإعراض عن الحق؛ وفيه منقبة عظيمة لهذا الصحابي الجليل، فلا يُستشهد إلا العدول الصادقين.

* **حديث قيس بن عُبَاد رَحِمَهُ اللهُ:**

- **(فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة)**: ولمسلم في رواية: (عن خَرَشَة بن الحُرِّ..) ويُجمع بينهما بأنهما قصتان اتفقتا لرجلين، فكأنه كان في حلقة يتحدث كما في رواية خرشة ثم قام ذاهبًا فمرَّ علىٰ الحلقة التي فيها سعد وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وحضر ذلك قيس بن عُبَاد؛ وكل من خرشة وقيس اتبع عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ودخل عليه منزله، وسأله فأجابه، ومن ثم اختلف الجواب بالزيادة والنقص.

بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

١٢٢٥ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ: **إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ. (قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ الْآيَةَ).

١٢٢٦ ـ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: سُبْحَانَ اللهِ! ـ وَاللهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ ـ ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا ـ، وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَ. قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ. فَأَتَانِي مِنْصَفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ. فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ**. وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ[1].

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ـ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ـ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا، فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَتْبَعَنَّهُ فَلَأَعْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ. قَالَ: فَتَبِعْتُهُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ =

ـ ٤٤ ـ

- **(ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم)**: هذا إنكارٌ من عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قطعوا له بالجنة، فيُحمل علىٰ أن هؤلاء بلغهم خبر سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأن عبدالله بن سلام من أهل الجنة، ولم يسمع هو، ويُحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعًا وإيثارًا للخمول وكراهة للشهرة، ويؤيده رواية: (الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدثك مما قالوا ذلك، فذكر المنام..) وهو يقوي احتمال أنه أنكر عليهم الجزم، ولم ينكر أصل الإخبار بأنه من أهل الجنة، وهذا شأن المراقب الخائف المتواضع، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.
- **(فاستيقظت وإنها لفي يدي)**: أي: أن أثرها بقي في يده بعد الاستيقاظ، كأن يُصبح فيرىٰ يده مقبوضة، وفيه منقبة عظيمة لعبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه تعبير الحلقة والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها علىٰ قوته في دينه وإخلاصه فيه.
- ولمسلم: (وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله، وأما العمود..): فيه علم من أعلام النبوة أن عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لن يموت شهيدًا، فوقع كذلك، مات علىٰ فراشه في أول خلافة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمدينة.

الفوائد

• باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه

* **حديث جابر رضي الله عنه:**

- **(اهتز العرش لموت سعد..):** قال ابن حجر رحمه الله: والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: (اهتز العرش فرحًا به) ا.هـ.

وفيه فضيلة ظاهرة لسعد رضي الله عنه.

* **حديث البراء رضي الله عنه:**

- **(لمناديل سعد بن معاذ -وفي رواية- في الجنة..):** خصَّ المناديل بالذكر لكونها تُمتَهَن، فيكون ما فوقها أعلىٰ منها بطريق الأولىٰ، وفيه إشارة إلىٰ عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنىٰ ثيابه فيها خير من هذه، وفيه إثبات الجنة لسعد رضي الله عنه.

بَابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه

١٢٢٧ ـ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**(١).

١٢٢٨ ـ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا، وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: **أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟** (وَفِي رِوَايَةٍ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**)، **لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **فِي الْجَنَّةِ** ـ **خَيْرٌ مِنْهَا** (أَوْ)(٢) **أَلْيَنُ**.

= يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا؛ فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ. قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِمَّ قَالُوا ذَاكَ: إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجَوَادَّ عَنْ شِمَالِي، فَأَخَذْتُ لِآخُذَ فِيهَا، فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. فَإِذَا جَوَادُّ مَنْهَجٌ عَلَى يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا. فَأَتَى بِي جَبَلًا، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلْقَةٌ، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا. قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي، فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ، وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: **أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ، وَلَنْ تَنَالَهُ، وَأَمَّا الْعَمُودُ فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: **اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: وَ.

المفردات

- **أَعْرَسْتُم**: استفهام محذوف الأداة، والمراد هنا: الوطء.
- **وحَنَّكه**: التَّحنيك: هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي، وَدَلك حنكه به.

الفوائد

• **باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه**

- **(هو أسكن ما كان..)**: والمراد: أن النفس كانت قلقة منزعجة بعارض المرض، فسكنت بالموت، وظن أبو طلحة رضي الله عنه أن مرادها أنها سكنت بالنوم، لوجود العافية، وفيه مشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها ألا تُبطل حقًّا لمسلم، وكان الحامل لأم سليم رضي الله عنها علىٰ ذلك المبالغة في الصبر والتسليم لأمر الله تعالىٰ ورجاء إخلافه عليها ما فات منها، إذ لو أعلمت أبا طلحة رضي الله عنه بالأمر في أول الحال تنكد عليه وقته، ولم تبلغ الغرض الذي أرادته، وقد أبلغها الله مناها بصدق نيتها وأصلح لها ذريتها.

- وفي قصة أم سليم رضي الله عنها: جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عند المصائب، وفيه ذكاء أم سليم رضي الله عنها، وأنها امرأة عاقلة صابرة محتسبة، وإلا فالأم كالأب ينالها من الحزن علىٰ ولدها مثل ما ينال الأب، وربما تكون أشد؛ لضعفها وعدم صبرها.

- **(ثم أصاب منها..)**: كناية عن الجماع، وهو أمر مُحبب للرجال، وكنَّىٰ به لأنه أمر يُستحيا منه، وهذا من الآداب الإسلامية العظيمة، وهو مستحب عند الأشياء التي يُستحيا منها أو تُستقذر، وفيه تزيُّن المرأة لزوجها، وتعرضها له لطلب الجماع، واجتهاد الزوجة في خدمة زوجها وإدخال السرور علىٰ نفسه، وفيه بيان حال أم سليم من التجلد وقوة الصبر، وجودة الرأي، وقوة العزم.

- **(فلما أصبح أبو طلحة..)**: ولمسلم: (تركتني حتىٰ تلطخت ثم أخبرتني بابني؟) وفيه بيان حال أبي طلحة وتألمه لفقد ولده، وفيه أن الابتلاء بفقد الأحبة من أعظم البلاء، وفي مقدمته فقد الولد، وهذا الابن المذكور هو أبو عُمير، الذي كان النبي ﷺ يمازحه ويقول له: (يا أبا عُمير، ما فعل النغير).

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه *

١٢٢٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ[(١)]، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْم: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ (وَفِي رِوَايَةٍ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ). فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى[(٢)]، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ[(٣)] أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: **أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟** قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا.**[(٤)] فَوَلَدَتْ غُلَامًا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ. فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: **أَمَعَهُ شَيْءٌ؟** قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ[(٥)]. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، وَحَنَّكَهُ بِهِ[(٦)]، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى...

(٤) وَلِمُسْلِمٍ: فَحَمَلَتْ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى! قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا. قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا.

(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ.

(٦) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ.**

- **(وحنَّكه به..)**: وفيه تحنيك المولود بالتمر، لكن يُنظر للدافع من التحنيك: إن كان المقصود منه التبرك، فهذه سنة قد انقطعت وانتهت بموته ﷺ، ولا تشرع مع غيره من الصالحين، وإن كان المقصود هو فائدة التمر ودخوله إلىٰ معدة الطفل حتىٰ يرطب معدته، فهذه سنة لم تنقطع.

- **(وسماه عبدالله)**: فيه استحباب التسمية بعبدالله، وفيه استحباب اختيار الإنسان لأبنائه أحسن الأسماء، لينال بذلك الأجر، وليكون محسنًا لأبنائه.

- ولمسلم: (فحملت، فكان رسول الله في سفر وهي معه..): هذه الرواية هي الشاهد لترجمة الباب، وفيها منقبة وكرامة لأبي طلحة رضي الله عنه، حيث استجاب الله دعاءه، فهوَّن الله علىٰ زوجته الطلق، وبقي مع النبي ﷺ حتىٰ دخلوا المدينة، ووضعت أم سليم يوم وصلوا.

(وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ).

بَابُ مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه

١٢٣٠ ـ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي.

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ: وَنَحْنُ وَرِثْنَاهُ).

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه

١٢٣١ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الْآخَرُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ. فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ، وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ، فَرَآهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ

- ٤٧ -

المفردات

- **جَمَعَ القرآن**: أي: استظهره حفظًا.
- **إلى هذا الوادي**: أي: وادي مكة.
- **ما شَفَيْتَني**: أي: ما بلغت مرادي.
- **شنَّة**: هي القِرْبة العتيقة.
- **أما نَال للرجل**: أي: أما حان.
- **أن يعلم منزله**: أي: مقصده.

الفوائد

- **(فرأيت لها تسعة أولاد..)**: ظاهره أنه من ولدهما بغير واسطة، وإنما المراد من أولاد ولدهما المدعو له بالبركة، وهو عبدالله بن أبي طلحة، وفيه بركة دعاء النبي ﷺ، وفيه من ترك شيئًا عوضه الله خيرًا منه، وفيه فضل الصبر وعاقبته الحسنة في الدنيا قبل الآخرة.

• **باب مناقب زيد بن ثابت رضي الله عنه**

- **(جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة..)**: وفي رواية: (..ولم يجمع القرآن غير أربعة..) وفيها التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، ولا يلزم من ذلك الحصر مطلقًا؛ لأن التقدير: أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة رضي الله عنهم وتفرقهم في البلاد.

قال القرطبي: وإنما خصَّ أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم ا.هـ.

- في رواية البخاري في الباب ذَكَر أبا الدرداء بدل أبيّ بن كعب رضي الله عنهما، والجمع بينهما: يحتمل أن يكون أنس رضي الله عنه حدَّث بهذا الحديث في وقتين: فذكر مرة أبيَّ بن كعب ومرة بَدَله أبا الدرداء، ويشهد لذكر أبي الدرداء رضي الله عنه ما رواه ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي: (جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار..) وإسناده حسن مع إرساله، وفي رواية: (ستة) وإسناده صحيح مع إرسالة، وذكر منهم أبا الدرداء رضي الله عنه.

- في حديث الباب منقبة ظاهرة لزيد بن ثابت رضي الله عنه والمذكورين معه.

• **باب مناقب أبي ذر رضي الله عنه**

- **(فرآه علي رضي الله عنه)**: هذا يدل علىٰ تقدم إسلام أبي ذر رضي الله عنه، لكن الظاهر أن ذلك كان بعد المبعث بمدة طويلة، بحيث يتهيأ لعلي رضي الله عنه أن يَسْتَقِلَّ بمخاطبة الغريب ويضيِّفه، فإن الأصح في سن علي رضي الله عنه حين المبعث كان عشر سنين.

المفردات

- **يَقْفُوه**: أي: يَتْبَعُه.
- **الجِعْرانـة**: موضـع بـين الطـائف ومكـة، وإلـىٰ مكـة أقرب.

الفوائد

- **(فسمع من قـوله، وأسـلم مكانـه)**: كأنـه كـان يعـرف علاماته ﷺ، فلما تحقَّقها لم يتردد في الإسلام.
- **(ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري..)**: وفي رواية: (اكتم هذا الأمر، وارجع إلىٰ قومك فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل) وفيه حرص النبي ﷺ علىٰ أصحابه، وخشـيته علـيهم أذىٰ المشـركين، وفيـه تـوخي الحـذر واستعمال الكتمان ليسلم المؤمن في دينه ونفسه، وهـذا لا يتنافىٰ مع التوكل، بل هو من استعمال الأسباب مع توكـل القلب علىٰ الله في دفع الشرور.
- **(لأصرخن بها بين ظهرَانيْهم)**: أي: بكلمـة التوحيـد، والمراد أنه يرفع صوته جهارًا بين المشركين، وكأنـه فهـم أمر النبي ﷺ ليس علىٰ الإيجاب بـل علىٰ سـبيل الشـفقة عليه، فأعلمه أن به قوة علىٰ ذلك، ويؤخذ منه جـواز قـول الحـق عنـد مـن يخشـىٰ منـه الأذيـة لمـن قالـه وإن كـان السكوت جـائزًا، والتحقيـق أن ذلـك مختلـف بـاختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلـك يترتـب وجـود الأجـر وعدمه.
- **(وَيْلكـم ألستم تعلمون أنه من غفار..)**: فيه ما يـدل علىٰ حسن تأني العباس رضي الله عنه، وجودة فطنته، حيث توصل إلىٰ تخليصه منهم بتخويفهم من قومه أن يقاصُّـوهم بـأن يقطعوا طرق متجرهم، وكان عيشهم من التجارة، فلـذلك بادروا بالكف عنه.
- والحديث فيه حرص أبي ذر رضي الله عنه علىٰ الهداية وبلوغ الحق، وفيه توفيق الله له بسرعة إسلامه وعدم تردده بعد ما سـمع مـن النبـي ﷺ، وفيـه شـجاعته وقوتـه بإغاظتـه للمشـركين في عقـر دارهـم، وصـدعه بكلمـة التوحيـد بـين ظَهرانَيْهم ف رضي الله عنه وأرضاه.

الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ. فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي، حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي. فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ.

- (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ. وَفِيهِ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي، وَامْضِ أَنْتَ. وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ**).

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه*

١٢٣٢ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ: **أَبْشِرْ**. فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ! فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ، فَقَالَ: **رَدَّ الْبُشْرَى، فَاقْبَلَا**

- ٤٨ -

• باب مناقب أبي موسى رضي الله عنه

- **(ألا تَنْجز لي مـا وعـدتني؟)**: يحتمـل أن الوعـد كـان خاصًا به، ويحتمل أن يكون عامًا، وكان طلبه أن يُعجِّل لـه نصيبه من غنائم حُنين، فإنـه ﷺ كـان أمـر أن تجمـع غنـائم حنين بالجعرانة، وتوجَّه هو والعسكر إلىٰ الطـائف، فلمـا رجـع منهـا قسـم الغنـائم حينئـذٍ بالجعرانـة، ولهـذا وقـع في كثيـر ممـن كـان حـديث عهـد بالإسـلام اسـتبطاء الغنيمـة واستنجاز قسمتها.
- **(فقال له: أبشر)**: أي: كن مُستبشرًا بقـرب القسـمة أو بالثواب الجزيل علىٰ الصبر، وفيه استحباب قـول المسـلم لأخيه: أبشر، وفيه حسن خلق النبي ﷺ وتَلَطُّفِه بالأعراب لما يعلم من جهلهم وجفوتهم.
- **(رد البشـــرى)**: وهـذا مـن جفـاء الأعرابي، وغلظتـه وعدم مراعاته لمقام النبي ﷺ، وإيثاره الدنيا علىٰ الآخـرة وتعلق قلبه بها.

أَنْتُمَا. قَالَا: قَبِلْنَا. ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا، وَأَبْشِرَا**. فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلَا، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلَا لِأُمِّكُمَا! فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ

١٢٣٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ. قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا عَمِّ، مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي. فَقَصَدْتُ لَهُ، فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟![1] أَلَا تَثْبُتُ؟! فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**. وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**[2] **مِنَ النَّاسِ**. فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟!.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: أَوْ...

- ٤٩ -

المفردات

- **أَفْضِلا لأُمِّكُمَا**: أي: بقيَّة.
- **بَعَثَ أبا عامر**: أبو عامر هو عم أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما.
- **أُوْطَاس**: وادٍ في ديار هوازن، وهو غير وادي حُنَين علىٰ الراجح.
- **دُرَيْدَ بن الصِّمة**: الصِّمة لقب لأبيه، واسمه الحارث بن بكر بن علقمة.
- **جُشَمِيٌّ**: أي: رجل من بني جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن.
- **نَزَا منه الماء**: أي: انصَبَّ من موضع السهم ولم ينقطع.
- **مُرْمَلٍ**: أي: معمول بالرمال، وهي حبال الحُصر التي تضفَّر بها الأسِرَّة.
- **فوق كثير من خلقك**: أي: في المرتبة.

الفوائد

- **(قالا: قَبِلْنَا)**: فيه بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم علىٰ قبول بُشريات النبي ﷺ، وفيه منقبة لأبي موسىٰ وبلال وأم سلمة رضي الله عنهم جميعًا، وفيه التبرك بآثار النبي ﷺ، وهو خاصٌّ به، ولا يجوز ذلك في حق غيره ﷺ، وفيه استحباب البشارة، واستحباب الازدحام فيما يتبرك به، وطلبه ممَّن هو معه والمشاركة فيه.

• باب مناقب أبي عامر الأشعري رضي الله عنه

- حديث الباب فيه منقبة ظاهرة لأبي عامر، باجتهاد النبي ﷺ في الدعاء له حتىٰ ظهر بياض إبطيه من شدة رفعه ليديه وابتهاله لربه في طلب المغفرة لأبي عامر ورفع مرتبته يوم القيامة، وفيه حرص أبي عامر رضي الله عنه علىٰ رضا الله ورسوله، ورغبته فيما عند الله، وفيه شجاعة أبي موسىٰ رضي الله عنه.
- **(فانزع هذا السهم)**: فيه جواز نزع السهم من البدن، وإن كان في عاقبة ذلك الموت، وليس ذلك من الإلقاء بالنفس إلىٰ التهلكة، إذا كان يرجو الانتفاع بذلك، ومثله الكي أو الفصد أو غير ذلك من الأمور التي يُتداوىٰ بها.
- **(فدعا بماء فتوضأ..)**: يستفاد منه استحباب التطهر لإرادة الدعاء، ورفع اليدين في الدعاء خلافًا لمن خصَّ ذلك بالاستسقاء.
- قال النووي رحمه الله: ثبت رفع يديه ﷺ في الدعاء في مواطن غير الاستسقاء، وهي أكثر من أن تُحصىٰ، وقد جمعت منها نحوًا من ثلاثين حديثًا من الصحيحين وذكرتها في شرح المهذب في أواخر باب الصلاة ا.هـ.
- وفيه كذلك شدة عيش النبي ﷺ وتواضعه، وفيه رحمته وشفقته واجتهاده فيما ينفع أصحابه في الدنيا والآخرة.

لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.

بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه *

١٢٣٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ! وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: **لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا.** فَبَسَطْتُ نَمِرَةً (ـ لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا ـ) حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، (فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ) مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، (وَاللهِ) لَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾.

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي، حَتَّى لَا آكُلُ الْخَمِيرَ، وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فُلَانَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِي كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا، فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا).

(وَفِي رِوَايَةٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا

- ٥٠ -

المفردات

- **يُكْثِرُ الحديث**: أي: من الحديث عن رسول الله ﷺ.
- **والله المَوْعِد**: فيه حذف تقديره: عند الله الموعد، ومراده أن الله تعالىٰ يحاسبني إن تعمدت كذبًا، ويحاسب من ظنَّ بي ظنَّ السَّوْء.
- **الصَّفق بالأسواق**: كناية عن التبايع، وكانوا اعتادوا عند لزوم البيع ضرب كفَّ أحدهما بكفِّ الآخر، ولذلك سُميت البيعة صفقة.
- **عَمَل أموالهم**: أي: القيام علىٰ مصالح زرعهم.
- **على ملءِ بطني**: أي: بسبب شِبَعِي.
- **نَمِرة**: أي: كساءً ملونًا.
- **الحَبِير**: الحَبير من البُرُد: ما كان موشَّىٰ مخططًا.
- **العُكَّة**: هي وعاء السَّمن.

الفوائد

- **(اللَّهمَّ اغفر لعبدالله بن قيس..)**: فيه منقبة ظاهرة لأبي موسىٰ رضي الله عنه.

• **باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه**

- حديث الباب فيه فضيلة ظاهرة لأبي هريرة رضي الله عنه، وعلامة واضحة من علامات النبوة؛ لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة رضي الله عنه بأنه كان يكثر منه، ثم تخلَّف عنه ببركة النبي ﷺ.
- **(وكنت امرأ مسكينًا، ألزم رسول الله ﷺ..)**: أي: ألازمه وأقنع بِقُوتي، ولا أجمع مالاً لذخيرة ولا غيرها، ولا أزيد علىٰ قُوتي، ولم يكن لي مالٌ أتَّجر فيه، ولا أرض أزرعها.

وفيه بيان سبب ملازمته للنبي ﷺ وعدم الانقطاع عنه، ولهذه الملازمة حصل له من سماع الأقوال، ورواية الأفعال ما لا يحصل لغيره ممن لم يلازمه ملازمته، وأعانه علىٰ استمرار حفظه لذلك ما أشار إليه من بركة رسول الله ﷺ.

- وفيه أن سبب إكثاره عن غيره أن المهاجرين والأنصار كان يشغلهم المعاش، وفي ذلك فضيلة التَّكسُّب لمن كان له عيال، وفيه فضيلة حفظ العلم، وفيه أن التقلل من الدنيا أمكن لحفظ العلم، وفيه جواز إخبار المرء بما فيه من فضيلة إذا اضطر لذلك وأمن من الإعجاب.
- **(حتى أقضي مقالتي..)**: قال ابن حجر رحمه الله: المقالة المشار إليها في الحديث أُبهمت في جميع طرقه، وقد وجدتها مصرحًا بها في الحلية لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من رجل يسمع كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا مما فرض الله، فيتعلمهن ويعلمهن إلا دخل الجنة) فذكر الحديث.
- **(لولا آيتان)**: المراد: لولا أن الله تعالىٰ ذم الكاتمين للعلم، ما حدَّث أصلاً، لكن لما كان الكتمان حرامًا وجب الإظهار، فلهذا حصلت الكثرة؛ لكثرة ما عنده من الحديث بسبب ما سبق ذكره.
- **(كي يَنْقَلِبَ بي فَيُطْعِمَني)**: وللترمذي عن أبي هريرة: (إن كنت لأسأل الرجل عن الآية، أنا أعلم بها منه ما أسأله إلا ليطعمني شيئًا) وفي رواية للترمذي: (وكنت إذا سألت جعفر بن أبي طالب لم يجبني حتىٰ يذهب بي إلىٰ منزله) وفيه فضيلة جعفر رضي الله عنه وكرمه وشفقته علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ.
- **(ليخرج إلينا العُكَّة)**: وفي رواية الترمذي: (ليقول لامرأته أسماء بنت عميس أطعمينا، فإذا أطعمتنا أجابني، وكان جعفر يحب المساكين، ويسكن إليهم، وكان النبي ﷺ يكنِّيه بأبي المساكين) وإنما كان يجيبه عن سؤاله مع معرفته بأنه إنما سأله ليطعمه ليجمع بين المصلحتين، وفيه حياء أبي هريرة رضي الله عنه، وفطنة جعفر وكرمه رضي الله عنه.

أَنْسَاهُ! قَالَ: ابْسُطْ رِدَاءَكَ. فَبَسَطْتُهُ. قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ضُمَّهُ. فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: يَقُولُ النَّاسُ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ! فَلَقِيتُ رَجُلًا فَقُلْتُ: بِمَ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْبَارِحَةَ فِي الْعَتَمَةِ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَقُلْتُ: لَمْ تَشْهَدْهَا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: لَكِنْ أَنَا أَدْرِي: قَرَأَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا).

بَابُ مَنَاقِبِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه *

١٢٣٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾. قَالَ: (قُلْتُ)(١): مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ، حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ (أَوْ رَجُلٌ) مِنْ هَؤُلَاءِ(٢).

بَابُ مَنَاقِبِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه *

١٢٣٦ ـ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: مَرَّ عُمَرُ رضي الله عنه فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ(٣)، فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ! أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ رَجُلٌ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ، أَوْ قَالَ: مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَلَحَظَ إِلَيْهِ.

- ٥١ -

المفردات

- **فَبَثَثْتُه**: أي: أذعتُه ونَشرتُه.
- **البُلْعُوم**: هو مجرىٰ الطعام، وكنىٰ به عن القتل.
- **البَارِحة**: أقرب ليلة مضت.
- **العَتَمة**: العِشاء.
- **الثُّريا**: هي نجم معروف يُضرب به المثل في البُعد.
- **أَنْشُدَك**: أي: أسألك.
- **بِـرُوح القـدس**: هـو جبريـل عليه السلام، وتؤيـده الروايـة التاليـة: (وجبريل معك).

الفوائد

- **(حفظت من رسول الله ﷺ)**: وفي رواية: (عن) بدل من، ورواية الباب أصرح في تلقيه من النبي ﷺ بلا واسطة.
- **(وعائين)**: أي: ظرفين، أطلق المحل وأراد به الحالَّ، أي: نوعين من العلم، وهذا لا يُعارض قوله في الحديث الآخر: (كنت لا أكتب) وإنما مراده أن محفوظه من الحديث لو كُتب لملأ وعاءين.
- **(وأما الآخر فلو بَثَثْتُه قطع هـذا البلعوم)**: حمل العلماء الوعاء الـذي لـم يبثـه علىٰ الأحاديث التـي فيهـا تبيين أسـماء أمـراء السـوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يكنِّي عن بعضه ولا يصرِّح به خوفًا علىٰ نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلىٰ خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة رضي الله عنه فمات قبلها بسنة.
- ويحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به.
- وفيه دلالة علىٰ أنه لم يحدِّث بجميع محفوظه، ومع ذلك فالموجود من حديثه أكثر من الموجود من حديث غيره من المكثرين، فـ رضي الله عنه وأرضاه.
- هـذا الحديث لا حجة فيه للباطنية الـذين اتخذوه ذريعة لتصحيح باطلهم، من أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، والتحقيق أن باطنهم هذا حاصله الانحلال من الدين؛ لأن مراد أبي هريرة بقوله: قُطع أي: قطع أهل الجور المذكور صفتهم في الأحاديث رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها؛ لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة علىٰ ذم كتمان العلم.
- **(لكـن أنـا أدري)**: فيه دليل علىٰ ضبط أبي هريرة وجودة حفظه وتميزه في ذلك علىٰ غيره، وفي هذه القصة حجة علىٰ من اتهمه بالإكثار عن رسول الله ﷺ.

• باب مناقب سلمان الفارسي رضي الله عنه

- حديث الباب فيه منقبة عظيمة لسلمان رضي الله عنه، لثناء النبي ﷺ عليه، وذلك لما عُرف به من العلم والرأي المُصيب، مع غاية الديانة المتينة، والإيمان بالله ورسوله.
- **(لو كان الدين عند الثريا..)**: ورواه أبو نُعيم في الحلية عن أبي هريرة بلفظ: (لو كان العلم معلقًا في الثريا لتناوله قوم من أبناء فارس) قال القرطبي: وقع ما قاله ﷺ عيانًا، فإنه وُجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار، والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم ا.هـ.
- **(لَنَالَه رجال -أو رجل- من هـؤلاء)**: جَمَعَ الإشارة والمشار إليه سلمان وحده إرادة للجنس، ويحتمل أن يراد به العجم كلهم لوقوعه مقابلاً للأميين -وهم العرب- أو يُراد به أهل فارس.
- وفيه فضيلة ظاهرة لهم، وجواز استعمال المجاز والمبالغة في مواضعها.

• باب مناقب حسان بن ثابت رضي الله عنه

* **حديث سعيد بن المسيب:**

- **(أجب عني: اللهُمَّ أيده بروح القدُس)**: المراد بالإجابة: الرد علىٰ الكفار الـذين هجوا النبي ﷺ وأصحابه. وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ ينصب لحسان منبرًا في المسجد، فيقوم عليه يهجو الكفار) وفيه منقبة ظاهرة لحسان رضي الله عنه، وفيه دعاء النبي ﷺ له، وفيه جواز إنشاد الشعر في المسجد إذا كان مباحًا أو مستحبًّا.

١٢٣٧ ـ عَنِ الْبَرَاءِ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: يَوْمَ قُرَيْظَةَ) لِحَسَّانَ: **اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ -، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ.**

١٢٣٨ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ ﵂ وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْرًا، يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ، وَقَالَ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى؟ قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ، أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ[1].

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **اهْجُوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ.** فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: **اهْجُهُمْ.** فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ. ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي.** فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: **إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ.** وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى.** قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

- ٥٢ -

المفردات

- **اهْجُهُمْ**: الهِجَاء: هو أحد أغراض الشعر، ويكون فيه مهاجمة الرذيلة والحمق، أو سلب للفضائل ورمي بالرذائل ونحو ذلك.
- **يُشَبِّب**: التَّشبِيب: أصله الغزل وترقيق الشعر بالنساء، والمراد هنا ذكر فضائلها.
- **حَصَانٌ**: المراد هنا العفاف، أي: محصنة عفيفة.
- **رَزَانٌ**: من الرَّزانة: وهي من قلة الحركة، والمراد هنا: الوقار وكمال العقل.
- **تُزَنُّ**: أي: تُرمىٰ أو تُتهم.
- **غَرْثَىٰ**: أي: خميصة البطن، والمراد: لا تغتاب أحدًا، وهي إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[الحجرات:١٢].
- **الغوافل**: جمع غافلة، وهي العفيفة الغافلة عن الشر.
- **يُنَافِح**: أي: يدافع ويخاصم.

الفوائد

- حديث البراء ﵁ فيه استحباب إنشاد الشعر إذا كان في مدامح الإسلام وأهله، أو في هجاء الكفار والتحريض علىٰ قتالهم، أو تحقيرهم ونحو ذلك، وهكذا كان شعر حسان ﵁، وفيه استحباب الدعاء لمن قال شعرًا من هذا النوع، وفيه جواز الانتصار من الكفار، ومن غيرهم بشرطه، وفيه منقبة لحسان ﵁.

* **حديث مسروق** ﵀:

- فيه مدح حسان ﵁ أم المؤمنين عائشة ﵂، والثناء عليها بأعلىٰ الفضائل، وتنزيهها عن المعايب، وفيه إشارة إلىٰ تبرأته لها مما رُميت به ﵂ وأرضاها، وخروجه مما قد زلَّ به لسانه ﵁ في حادثة الإفك غفر الله له ورضي عنه وعن الصحابة أجمعين.
- **(لكنك لست كذلك)**: فيه دليل علىٰ أن حسان ﵁ كان ممن تكلم في ذلك.
- **(لم تأذنين له أن يدخل عليك..)**: فيه إشكال؛ لأن ظاهره أن المراد بقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾[النور:١١] هو حسان بن ثابت، والصحيح أن الذي تولىٰ كبره أي: الذي كان يجمعه ويذيعه هو عبدالله بن أبيٍّ بن أبي سلول قبَّحه الله، وهذا هو المعتمد عند الأكثر.
- وفيه سبب إذن عائشة ﵂ لحسان ﵁، وهو حفظها وتقديرها لما كان يفعله من دفاعه عن رسول الله ﷺ، وهذه منقبة عظيمة له ﵁، وفضيلة عظيمة تنغمر فيها تلك الزلة التي تاب منها، وقد ورد في سنن أبي داود من حديث عائشة وفيه أنها قالت: (لما نزل عذري قام النبي ﷺ علىٰ المنبر فذكر ذاك وتلا -تعني القرآن- فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدَّهم) والحد كفارة لصاحبه، ولذلك كانت عائشة ﵂ تكره أن يُسبَّ عندها حسان ﵁ كما ورد في رواية الباب، وفي ذلك سلامة صدرها، ورجاحة عقلها، وحفظها الفضل لذي الفضل وهذا من كريم خلقها ﵂.

المفردات

- **لَأَسُلنَّك منهم:** أي: لأخَلِّصن نسبك من نسبهم، بحيث يختص الهَجْوُ بهم دونك.
- **كما تُسَلُّ الشعرة من العجين:** أشار بذلك إلىٰ أن الشعرة إذا أُخرجت من العجين لا يتعلق بها منه شيء لنعومتها.
- **ما حَجَبني:** أي: ما منعني من الدخول إليه إذا كان في بيته فاستأذنت عليه.
- **ذي الخَلَصَة:** اسم للبيت الذي كان فيه الصنم.
- **خَثْعَم:** قبيلة شهيرة ينسبون إلىٰ خَثْعَم بن أنمار.
- **كَعْبَة اليَمَانِيَة:** أي كعبة الجهة اليمانية سموها بذلك تميزًا لها عن الكعبة التي بمكة والتي كانت تُسمىٰ الكعبة الشامية.

الفوائد

* حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- **(استأذن حسان):** سبب هذا الاستئذان مُبيَّنٌ في رواية مسلم: قال رسول الله ﷺ: (اهجوا المشركين، فإنه أشد عليهم من رشق الإبل) فأرسل إلىٰ ابن رواحه... الحديث.
- **(كيف بِنَسَبي فيهم؟):** أي: كيف تهجو قريشًا مع اجتماعي معهم في نسب واحد، وفي هذا إشارة إلىٰ أن معظم طرق الهجاء الغض من الآباء.
- **(لأَسُلَنَّك منهم):** وفي رواية مسلم: (فقال: ائت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتىٰ يخلِّص لك نسبي، فأتاه حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم رجع فقال: قد لخَّص لي نسبك).
- في الحديث جواز سب المشرك جوابًا عن سبِّه للمسلمين، ولا يعارض ذلك معارض النهي عن سبِّ المشركين لئلا يسبوا المسلمين؛ لأنه محمول علىٰ البداءة به، لا علىٰ من أجاب منتصرًا.

• **باب مناقب جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

- **(ما حَجَبَني رسول الله ﷺ..):** فيه فضيلة ظاهرة لجرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمكانته عند النبي ﷺ وإكرامه بالإذن له بالدخول عليه كلما استأذن، ولطفه معه وبشاشته عند لقائه.

١٢٣٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: **كَيْفَ بِنَسَبِي؟**(١) فَقَالَ حَسَّانُ: لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ(٢).

بَابُ مَنَاقِبِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ*

١٢٤٠ ـ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي.

١٢٤١ ـ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ!** وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ

= فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ فِي كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ حَسَّانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ: **كَيْفَ بِقَرَابَتِي مِنْهُ؟**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ حَسَّانُ:
وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
قَصِيدَتَهُ هَذِهِ.

- **(ألا تُرِيحَني من ذي الخَلصَة):** طلب يتضمن الأمر، وخصَّ جريرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك، لأنها كانت في بلاد قومه، وكان هو من أشرافهم، والمراد بالراحة: راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يُشرك به من دون الله تعالىٰ.

فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ (ـ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ ـ)، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي (حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي)، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ). فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا، وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ، يُكْنَى: أَبَا أَرْطَاةَ ـ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ) مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ (أَجْوَفُ أَوْ) أَجْرَبُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ ـ. فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَا هُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ! قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ! قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ).

بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا

١٢٤٢ ـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ ـ، فَقَالَ: **انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً ـ وَفِي رِوَايَةٍ: مِنَ الْمُشْرِكِينَ ـ مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا**. فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ! فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ! (وَفِي رِوَايَةٍ: فَابْتَغَيْنَا فِي رَحْلِهَا، فَمَا وَجَدْنَا شَيْئًا، قَالَ صَاحِبَايَ: مَا نَرَى كِتَابًا! قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ! لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَأُجَرِّدَنَّكِ)، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ

- ٥٤ -

المفردات

- **أَحْمُس**: هم رهط جرير رضي الله عنه، ينتسبون إلىٰ أحمس بن الغَوْث بن أنمار.
- **وكانوا أَصْحَاب خيل**: أي: يثبتون عليها، لقوله بعدها، وكنت لا أثبت علىٰ الخيل.
- **فكَسَرها وحرَّقها**: أي: هدم بناءها، ورمىٰ النار فيما فيها من الخشب.
- **يَسْتَقْسِمُ**: أي: يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شر.
- **بِالأَزْلَام**: جمع زلم، وهي سهام كان أهل الجاهلية يقترعون بها.
- **رَوْضة خَاخٍ**: موضع بقرب حمراء الأسد، بين مكة والمدينة.
- **ظَعِينة**: أي: امرأة.
- **تَعَادَى بنا خَيلُنا**: أي: تجري.
- **فَابْتَغَيْنَا فِي رَحلِها**: أي: طلبنا، كأنهما فَتَّشَا ما معها ظاهرًا.
- **عِقَاصِها**: ضفائرها.

الفوائد

- **(فَكَسَرها وحرَّقها)**: فيه مشروعية إزالة ما يفْتَتِن به الناس من بناء وغيره، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا، مع مراعاة المصالح والمفاسد المترتبة علىٰ ذلك.
- **(كأنها جمل (أجوف أو) أجرب)**: هو كناية عن نزع زينتها، وإذهاب بهجتها، وقال الخطابي: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلي بالقطران من جَرَبه، إشارة إلىٰ أنها صارت سوداء لما وقع فيها من التحريق، والمبالغة في نكاية العدو.
- **(فَبَارك في خيل أَحْمُس ورجالها)**: أي: دعا لهم بالبركة، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم حيث أَمَّرَ جريرًا علىٰ قومه من رجال أحمس؛ والاستمالة بالدعاء والثناء، والبشارة في الفتوح حيث أرسل جريرٌ رسولاً إلىٰ النبي ﷺ يبشره، وفيه فضل ركوب الخيل في الحرب، وقبول خبر الواحد، وفيه منقبة ظاهرة لجرير وقومه.
- **(خمس مرات)**: فيه أنه كان يدعو وترًا وقد يجاوز الثلاث، وفيه تخصيص لعموم قول أنس رضي الله عنه (كان إذا دعا دعا ثلاثًا) فيُحمل علىٰ الغالب، وكأن الزيادة لمعنىٰ اقتضىٰ ذلك، وهو ظاهر في أحمس من دحضهم الكفر ونصرتهم الإسلام، لاسيما مع القوم الذين هم منهم.
- **(ولما قدم جرير)**: يشعر باتحاد قصته في غزوة ذي الخلصة بقصة ذهابه إلىٰ اليمن، وكأنه لما فرغ من أمر ذي الخلصة، وأرسل رسوله مبشرًا، استمر ذاهبًا إلىٰ اليمن.
- **(إن قدر عليك ضرب عنقك)**: فيه مشروعية استخدام الترهيب في مخاطبة الأعداء.
- **(لَتَكْسِرَنَّها ولَتَشهَدن أن لا إله إلا الله)**: فيه استتابة المشرك قبل قتله وبيان الحزم في ذلك.

• باب فضل من شهد بدرًا

- أي: مع النبي ﷺ من المسلمين مقاتلاً المشركين، وكأن المراد بيان أفضليتهم لا مطلق فضلهم.
- **(فإن بها ظعينة معها كتاب)**: فيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ.
- **(لتُخرِجَنَّ الكتاب أو لأُجَرِدَنَّك)**: فيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً أو امرأة، وفيه هتك ستر المُفْسِدَة إذا كان فيه مصلحة، أو كان في الستر مفسدة، وإنما يستحب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا يفوت به مصلحة، وعلىٰ هذا تُحمل الأحاديث الواردة في الندب إلىٰ الستر، وفيه جواز النظر إلىٰ عورة المرأة للضرورة التي لا يجد بُدًّا من النظر إليها.

الفوائد

- **(يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ):** في مرسل عروة: (يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر بالسير إليهم، وجعل لها جُعلاً علىٰ أن تُبلغه قريشًا).

- **(كنت امرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم):** قال ابن حجر ﷺ: أنه منهم بمعنىٰ أنه حليفهم، وقد ثبت حديث: (حليف القوم منهم)، وعبَّر بقوله: (ولم أكن منهم) لإثبات المجاز، وعند ابن إسحاق: (ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة).

- **(أَصْطَنِع إليهم يدًا):** أي: منَّة أدفع بها عن أهلي ومالي، وفيه بيان عذره فيما فعل، وقد كان متأولاً رضي الله عنه، ظنًّا منه أنه لا ضرر فيه، وفيه أن من أخطأ لا ينبغي له أن يجحد، بل يعترف ويعتذر؛ لئلا يجمع بين ذنبين.

- **(دعني يا رسول الله فأضرب عنقه):** إنما قال ذلك عمر رضي الله عنه مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب رضي الله عنه فيما اعتذر به؛ لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين، وبغض من يُنسب إلىٰ النفاق، وظن أنه من خالف ما أمر به رسول الله ﷺ استحق القتل.

- لم يجزم عمر رضي الله عنه بنفاق حاطب رضي الله عنه، ولكن أطلق عليه وصف النفاق لكونه أبطن خلاف ما أظهر، ولذلك استأذن في قتله، وفيه أنه لا يحدُّ العاصي ولا يُعزَّر إلا بإذن الإمام، وفيه إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه، كما أشار عمر بضرب عنق حاطب، والشافعية علىٰ أن الجاسوس المسلم يُعزَّر ولا يجوز قتله، وقال الإمام مالك يجتهد فيه الإمام، وقيل غير ذلك.

- **(فقال: إنه شهد بدرًا، وما يدريك..):** أرشد إلىٰ علَّة ترك قتله بأنه شهد بدرًا، فكأنه قيل: وهل يُسقط عنه شهود بدرٍ هذا الذنب العظيم؟ فأجاب: (وما يدريك..) إلىٰ آخره.

- **(لعل الله اطَّلَع..):** قال العلماء: إن الترجي في كلام الله ﷻ وكلام رسول الله ﷺ للوقوع، وقد ورد عند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بالجزم ولفظه: (إن الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال النووي ﷺ معناه: الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجَّه علىٰ أحد منهم حدٌّ أو غيره أقيم عليه في الدنيا، وقد نقل القاضي عياض الإجماع علىٰ إقامة الحد، وأقامه عمر رضي الله عنه علىٰ بعضهم، وضرب النبي ﷺ مسطحًا الحدَّ وكان بدريًّا ا.هـ، وفيه جواز غفران ما تأخر من الذنوب.

- وفيه أن المؤمن ولو بلغ من الصلاح لا يقطع له بالجنة، ولا يُعصم من الوقوع في الذنب؛ لأن حاطبًا رضي الله عنه دخل فيمن أوجب الله ﷻ لهم الجنة، ووقع منه ما وقع؛ وفيه ردٌّ علىٰ من تأوَّل أن المراد بقوله: (اعملوا ما شئتم) أنهم حُفظوا من الوقوع في شيء من الذنوب.

- وفيه الرد علىٰ من كفَّر المسلم بالمعصية، وعلىٰ من جزم بتخليده في النار، وعلىٰ من قطع بوجوب تعذيبه.

أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ (وَفِي رِوَايَةٍ: بِمَسِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟** قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ (وَأَمْوَالَهُمْ) بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي (وَفِي رِوَايَةٍ: وَلَا ازْدَدْتُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا حُبًّا). فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا**). فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ـ. فَقَالَ: **إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ ﷻ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.** (وَفِي رِوَايَةٍ: فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ). قَالَ (عَمْرٌو)[1]: وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾. (وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾)[2].

بَابُ مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ

١٢٤٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **قُرَيْشٌ، وَالْأَنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَأَشْجَعُ، وَغِفَارُ[3]؛ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ.**

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ: سُفْيَانُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَذَبْتَ؛ لَا يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ.**

(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه: **وَمَنْ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ.**

- ٥٥ -

- **(فَدَمَعَتْ عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم):** وفيه أدب عمر رضي الله عنه ووقوفه عند قول الله ورسوله، وفيه منقبة لعمر ولأهل بدر كلهم، وفيه البكاء عند السرور، ويحتمل أن يكون بكاء عمر حينئذٍ لما لحقه من الخشوع والندم علىٰ ما قاله في حق حاطب رضي الله عنه.

- وفي الحديث سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[الممتحنة:١] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة:١٠٨].

• باب مناقب قريش

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه الأول فيه فضيلة قريش والأنصار، وفيه فضيلة القبائل الخمس المذكورة، وهذه القبائل كانت في الجاهلية في القوة والمكانة دون غيرهم من القبائل، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولًا فيه من غيرهم، فانقلب إليهم الشرف بسبب ذلك، وقيل: لأنهم بادروا إلىٰ الإسلام فلم يُسبوا كما سُبي غيرهم.

- **(مواليّ):** أي موالي الله ورسوله، ويدل عليه قوله: (ليس لهم مولىٰ دون الله ورسوله) وهذه فضيلة ظاهرة لهذه القبائل، والمراد من آمن منهم، والشرف يحصل للشيء إذا حصل لبعضه، والمراد: أنه وليهم والمتكفل بهم وبمصالحهم، وهم مواليه أي: ناصروه والمختصون به.

١٢٤٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ[١] قَالَ: **خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ـ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**. وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ: وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ.

مَنَاقِبُ الْأَنْصَارِ رضي الله عنهم*

بَابُ وَلَايَةِ اللهِ عز وجل لَهُمْ*

١٢٤٥ ـ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بَنِي سَلِمَةَ، وَبَنِي حَارِثَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

بَابُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ*

١٢٤٦ ـ (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: حَزِنْتُ عَلَى مَنْ أُصِيبَ بِالْحَرَّةِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ) زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رضي الله عنه (ـ وَبَلَغَهُ شِدَّةُ حُزْنِي ـ يَذْكُرُ أَنَّهُ) سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ**.[٢] (فَسَأَلَ أَنَسًا بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللهُ لَهُ بِأُذُنِهِ؟**).

(وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِكُلِّ نَبِيٍّ أَتْبَاعٌ، وَإِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا. فَدَعَا بِهِ).

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: خَطَبَ أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَلِي عِيَالٌ!.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لِلْأَنْصَارِ، وَلِذَرَارِيِّ الْأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ.

- ٥٦ -

المفردات

- **أَحْنَاه**: أي: أكثر شفقة.
- **أَرْعَاه**: من الرعاية وهي الإبقاء.
- **على زوج في ذات يدٍ**: أي: في ماله، والمراد: أحفظ وأصون لماله في الأمانة فيه وترك التبذير في الإنفاق.

الفوائد

- **(خير نساء ركبن الإبل نساء قريش)**: وقع في أوله عند مسلم بيان سبب الحديث ولفظه: (أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت، ولي عيال) فذكر الحديث، وفيه الحث على نكاح الأشراف خصوصًا القرشيات، ومقتضاه أنه كلما كان نسبها أعلى تأكد الاستحباب، ويؤخذ منه اعتبار الكفاءة في النسب.
- قال القرطبي: هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة؛ لأنهم أصحاب الإبل غالبًا، ولذلك قال أبو هريرة في الحديث: (لم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط) أي أن التفضيل خاص بنساء العرب، وقد عُلِم أن العرب خير من غيرهم في الجملة، وأما الأفراد فيدخل بها الخصوص.
- **(صالح نساء قريش)**: وفي رواية: (نساء قريش) والمطلق يُحمل على المقيد، فالمحكوم له بالخيرية الصالحات من نساء قريش لا على العموم، والمراد بالصلاح هنا: صلاح الدين، وحسن المخالطة مع الزوج ونحو ذلك.
- الحديث فيه فضل نساء قريش، وفضل هذه الخصال، وهي الحنوة على الأولاد والشفقة عليهم وحسن تربيتهم، والقيام عليهم إذا كانوا يتامى، ومراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والأمانة فيه، وحسن تدبيره في النفقة وغيرها، وصيانته ونحو ذلك.

مناقب الأنصار رضي الله عنهم

• باب ولاية الله عز وجل لهم

- حديث الباب فيه منقبة للأنصار رضي الله عنهم، وفيه سبب لنزول قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران:١٢٢] وأنها نزلت في الأنصار في قوم جابر رضي الله عنه بني سَلِمة وهم الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة وهم من الأوس.
- **(وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران:١٢٢])**: أي أن الآية وإن كان في ظاهرها غضٌّ منهم، لكن في آخرها غاية الشرف لهم، قال ابن إسحاق: قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران:١٢٢] أي: الدافع عنهم ما همُّوا به من الفشل؛ لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان، من غير وهنٍ منهم في دينهم.

• باب دعوة النبي ﷺ لهم بالمغفرة

- **(حزنت على من أصيب بالحرَّة..)**: كانت موقعة الحرة سنة ثلاث وستين، وسببها أن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد، فأرسل إليهم يزيد جيشًا فهزمهم، واستباحوا المدينة، وقتلوا من الأنصار شيئًا كثيرًا جدًّا، وكان أنس رضي الله عنه يومئذٍ بالبصرة، فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار، فكتب إليه زيد بن أرقم رضي الله عنه يبشره ويسليه بدعاء النبي ﷺ للأنصار وأبنائهم وأبناء أبنائهم بالمغفرة، ومحصَّل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله عز وجل لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس رضي الله عنه فيهم.
- **(هذا الذي أوفى الله له بأُذنه؟)**: أي: بسمعه، والمراد هنا زيد بن أرقم رضي الله عنه لما سمع قول ابن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[المنافقون:٨] فأبلغ رسول الله ﷺ ذلك فجاء ابن أبيّ يعتذر ويحلف: ما قال، فسكت عنه رسول الله ﷺ، فأنزل الله تصديق زيد في سورة المنافقين، فقال له النبي ﷺ: (أبشر فقد صدَّقك الله) وأخذ بإذنه ثم قال: (هذا الذي وفى الله له بأذنه)، كأنه جعل أذنه ضامنة بتصديق ما ذكرت أنها سمعت، فلما صدّقه القرآن صارت كأنها وافية بضمانها.
- **(أن يجعل أتباعنا منا)**: أي: يقال لهم الأنصار حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان ونحو ذلك.

المفردات

- **مُمْثِلاً**: أي: منتصبًا.

- **مُمْتَنًّا**: أي: قام قيامًا قويًّا، مأخوذ من المنَّة وهي القوة، والمراد: قام قيامًا مُسرعًا مشتدًّا فرحًا بهم، وقيل: مُتَفَضِّلًا عليهم.

- **كَرِشِي وعَيْبَتِي**: أي: بطانتي وخاصتي، ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي به نماؤه، والعَيْبَة: ما يُحرِز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد: أنهم موضع سره وأمانته.

الفوائد

• باب قول النبي ﷺ للأنصار: «أنتم أحب الناس إلي»

- وهذا علىٰ طريق الإجمال: أي مجموعكم أحبَّ إلي من مجموع غيركم، فلا يعارض قوله في الحديث الآخر في جواب: (مَنْ أحب الناس إليك؟ قال: أبو بكر) الحديث، وفي رواية: (من أحب الناس إليّ).

- حديثا الباب فيهما: منقبة عظيمة للأنصار رضي الله عنهم، وإكرام النبي ﷺ لهم بالفعل وذلك بقيامه وإسراعه إليهم وفرحه بهم، وبقوله: (اللهم أنتم من أحبِّ الناس إليَّ) وفيه تواضع النبي ﷺ، ووفاؤه وحفظه للعهد واعترافه بفضل الأنصار رضي الله عنهم في نصرة الإسلام، وفيه استحباب التعبير عن مشاعر الحب والفرح بالفعل والقول؛ لأن في ذلك تقوية لأواصر المحبة والألفة بين المسلمين، والاعتراف بالفضل لذوي الفضل تثبيتًا لهم علىٰ العمل الصالح.

- **(اللَّهُمَّ أنتم من أحب الناس إليّ)**: تقديم لفظ (اللهمَّ) يقع للتبرك، أو للاستشهاد بالله ﷻ في صِدْقِهِ ﷺ.

- **(فخلا بها)**: أي: في بعض الطرق، وليس المراد أنه خلا بها بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس رضي الله عنه آخر الكلام فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما؛ لأنه لم يسمعه.

- وفيه سعة حلم النبي ﷺ وتواضعه، وصبره علىٰ قضاء حوائج الصغير والكبير.

• باب وصية النبي ﷺ بهم

- وفيه منقبة للأنصار رضي الله عنهم وبيان لمكانتهم وعناية النبي ﷺ بهم وحبه لهم.

- **(والناس سيكثُرون ويقِلُّون)**: أي: أن الأنصار يقلُّون، وفيه إشارة إلىٰ دخول قبائل العرب والعجم في الإسلام، وهم أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فُرض في الأنصار من الكثرة بالتناسل، فهم أبدًا بالنسبة إلىٰ غيرهم قليل، ويحتمل أنه ﷺ

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلأَنْصَارِ: «أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»

١٢٤٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأى النَّبِيُّ ﷺ النِسَاءَ وَالصِبْيَانَ مُقْبِلِينَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مُمْثِلًا (وَفِي رِوَايَةٍ: مُمْتَنًّا)، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ**. قَالَهَا (ثَلَاثَ مِرَارٍ)[1].

١٢٤٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ (مَعَهَا أَوْلَادٌ لَهَا) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَخَلَا بِهَا ـ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**. قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ.

بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِهِمْ*

١٢٤٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**.

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا. فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ...، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ**).

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ**. فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ).

(١) وَلِمُسْلِمٍ: مَرَّتَيْنِ. يَعْنِي الْأَنْصَارَ.

ـ ٥٧ ـ

يكون أُطْلِعَ علىٰ أنهم يقلون مطلقًا، فَأَخبر بذلك، فكان كما أخبر ﷺ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

- **(وتجاوزوا عن مُسيئهم)**: أي: في غير الحدود وحقوق الناس، لأن هذه الأمور لا محاباة فيها لأحد.

- **(ذكرنا مجلس النبي ﷺ)**: أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ، فخشوا أن يموت من مرضه، فيفقدوا مجلسه، فبكوا حزنًا علىٰ فوات ذلك.

- **(فدخل)**: رَجَّح ابن حجر رحمه الله أنه العباس رضي الله عنه، وأنه هو من خاطبهم: (ما يبكيكُم) ويؤيد ذلك رواية ابنه للحديث، وكأنه سمع ذلك منه.

- **(وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم)**: يشير إلىٰ ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا علىٰ أن يؤوا النبي ﷺ، وينصروه علىٰ أن لهم الجنة، فوفوا بذلك رضي الله عنهم وأرضاهم.

- **(بمنزلة الملح في الطعام)**: أي: في القِلَّة؛ لأنه جعل غاية قلتهم الانتهاء إلىٰ ذلك، والملح بالنسبة إلىٰ جملة الطعام جزء يسير منه، والمراد بذلك المعتدل.

المفردات

- **يَصْنَعون شيئًا**: أي: من تعظيم رسول الله ﷺ.
- **ومنهم حَكِيم**: قيل: هو صفة لرجل منهم، وقيل: اسم علم على رجل منهم.
- **أَرْمَلوا**: أي: فني زادهم.
- **رُفْقَة الأشعريين**: الرفقة: الجماعة المترافقون.

الفوائد

• باب تأكد إكرامهم وخدمتهم

- **(فكان يخدمني وهو أكبر من أنس)**: فيه التفات وتجريد؛ لأنه قال: (من أنس) ولم يقل: (مني)، وفي رواية مسلم: (وكان جرير رضي الله عنه أكبر من أنس رضي الله عنه) ولعل هذه الجملة من قول ثابت البناني الراوي عن أنس، وزاد مسلم: (فقلت: لا تفعل).

وفي هذا الحديث فضل الأنصار رضي الله عنهم، وفضل جرير رضي الله عنه، وتواضعه ومحبته للنبي ﷺ وإكرامه للنبي ﷺ بإحسانه لكل من أكرم النبي ﷺ، وفيه دليل لاستحباب إكرام المحسن وإن كان أصغر سنًّا.

• باب مناقب الأشعريين رضي الله عنهم

- حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فيه فضيلة الأشعريين، وفيه: أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم، أو لمصلٍّ أو لغيرهما ولا رياء.
- **(حين يدخلون بالليل)**: المراد: يدخلون منازلهم إذا خرجوا إلى المسجد أو إلى شغل ثم رجعوا.
- **(إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم)**: قال ابن التِّين: معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال في سبيل الله ﷻ، ولا يبالون بما يصيبهم.
- وفي حديثه الثاني: فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم.
- **(فهم مني وأنا منهم)**: أي: هم متصلون بي، وقيل: المراد فعلوا فعلي في المواساة، وقال النووي: معناه: المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى.
- حديثا الباب فيهما: جواز تحديث الإنسان بمناقبه إذا كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم يكن من باب الرياء ولا السمعة.

بَابُ تَأَكُّدِ إِكْرَامِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ*

١٢٥٠ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَحِبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، فَكَانَ يَخْدُمُنِي. وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنَسٍ، قَالَ جَرِيرٌ رضي الله عنه: إِنِّي رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ يَصْنَعُونَ شَيْئًا[١] لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا (أَكْرَمْتُهُ)[٢].

بَابُ مَنَاقِبِ الْأَشْعَرِيِّينَ رضي الله عنهم*

١٢٥١ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ** ـ أَوْ قَالَ: **الْعَدُوَّ ـ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ.**

١٢٥٢ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ.**

بَابُ ذِكْرِ أَسْلَمَ، وَغِفَارَ، وَمُزَيْنَةَ، وَجُهَيْنَةَ، وَأَشْجَعَ

١٢٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:[٣] **أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا**[٤].

(١) وَلِمُسْلِمٍ: بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: خَدَمْتُهُ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: **اِئْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ...**
(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا، وَلَكِنْ قَالَهَا اللهُ ﷻ.**

- ٥٨ -

• باب ذكر أسلم، وغفار، ومُزينة، وجهينة، وأشجع

- **(أسلم سالمها الله)**: قال العلماء: من المسالمة وترك الحرب، وهو خبر بمعنى الدعاء، قال القاضي: هو من أحسن الكلام، مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروهًا، فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم، فيكون سالمها بمعنى سلمها.
- **(وغفار غفر الله لها)**: هو لفظ خبر يُراد به الدعاء، قال ابن التين: أن بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية، فدعا لهم النبي ﷺ بعد أن أسلموا ليمحوا عنهم ذلك العار.
- في الحديث: من استعمال جناس الاشتقاق ما يَلَذُّ على السمع لسهولته وانسجامه، وهو من الاتفاقات اللطيفة، وفيه الدعاء بما يشتق من الاسم، وفيه اختصاص هاتين القبيلتين بهذا الدعاء؛ لأن غفار أسلموا قديمًا وأسلم سالموا النبي ﷺ.

١٢٥٤ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ: أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ، وَغِفَارَ، وَمُزَيْنَةَ، وَجُهَيْنَةَ! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، وَجُهَيْنَةُ؛ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَأَسَدٍ، وَغَطَفَانَ؛ خَابُوا وَخَسِرُوا؟** قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِنْهُمْ.**

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: **خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ هَوَازِنَ**[1].

بَابُ مَنَاقِبِ دَوْسٍ*

١٢٥٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ[2] وَأَبَتْ؛ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ! قَالَ: **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ.**

بَابُ مَنَاقِبِ بَنِي تَمِيمٍ*

١٢٥٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ**[3]. قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا.** وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: **أَعْتِقِيهَا؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.**

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَطَيِّئٍ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **وَبَنِي عَامِرٍ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: كَفَرَتْ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ قِتَالًا فِي الْمَلَاحِمِ.**

ـ ٥٩ ـ

المفردات

- **بَني تَميم:** أي القبيلة الكبيرة المشهورة ينتسبون إلىٰ إلياس بن مُضر.
- **سَبيَّة:** أي: جارية مسبية.

الفوائد

* **حديث أبي بكرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- **(لخيرٌ منهم):** المراد: خيرية المجموع علىٰ المجموع، وإن جاز أن يكون في المفضولين فردٌ أفضل من فرد علىٰ الأفضَلِين وإنما كانوا خيرًا منهم؛ لأنهم سبقوهم إلىٰ الإسلام، والمراد: الأكثر الأغلب.

* **حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- **(يوم القيامة):** لأن المعتبر بالخير والشر إنما يظهر في ذلك الوقت.

• باب مناقب دوس

- **(طُفيل بن عمرو الدَّوسي):** كان يُقال له ذو النور؛ لأنه لما أتىٰ النبي ﷺ وأَسْلَمَ بعثه إلىٰ قومه، فقال: اجعل لي آية، فقال: اللهم نوِّر له، فسطع نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا: إنه مُثلة، فتحول إلىٰ طرف سوطه، وكان يضيء له في الليلة المظلمة، فدعا قومه إلىٰ الإسلام، فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده، وذُكر أن الطفيل استُشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وجزم ابن سعد بأنه استشهد باليمامة، وقيل: باليرموك.
- **(اللَّهُمَّ اهد دوسًا..):** فيه جواز الدعاء للمشركين بالهداية، وقد بوَّب البخاري علىٰ حديث الباب: (باب الدعاء للمشركين بالهداية ليتألفهم) وهو ظاهر فيما ترجم له، وقوله: (ليتألفهم) من تفقُّه المصنف، إشارة منه إلىٰ الفرق بين المقامين، وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم، وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولىٰ: حيث تشتد شوكتهم، ويكثر أذاهم، والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم، ويرجىٰ تألفهم، كما في قصة دوس.

• باب مناقب بني تميم

- **(منذ ثلاث):** أي: من حيث سمعت الخصال الثلاث، زاد أحمد: (وما كان قوم من الأحياء أبغض إليَّ منهم، فأحببتهم) وكان ذلك لما كان يقع بينهم وبين قومه في الجاهلية من العداوة.
- **(هم أشد أمتي على الدَّجَّال):** وفي رواية لمسلم: (هم أشد الناس قتالًا في الملاحم) وهي أعم من رواية الباب، ويمكن حمل العام علىٰ الخاص، فيكون المراد بالملاحم أكبرها: وهو قتال الدَّجَّال، أو ذَكر الدجال ليدخل غيره بطريق الأولىٰ.
- **(هذه صدقات قومنا):** إنما نسبهم إليه لاجتماع نسبهم بنسبه ﷺ في إلياس بن مضر.
- في الحديث فضيلة ظاهرة لبني تميم، وكان فيهم في الجاهلية وصدر الإسلام جماعة من الأشراف والرؤساء، وفيه الإخبار عما سيأتي من الأحوال الكائنة في آخر الزمان من ذكره الملاحم والدَّجَّال.

بَابُ مُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ*

١٢٥٧ ـ عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَبَلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ؟**[1] فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِي[2].

بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

١٢٥٨ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ**[3] **رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ.**

١٢٥٩ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.** قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ**[4]**، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: آخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: رَأَى.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.**

- ٦٠ -

المفردات

- **حِلْفَ**: أصل الحلف أنهم كانوا يتعاقدون ويتحالفون علىٰ نصر بعضهم بعضًا، ويضعون أيديهم جميعًا في جَفنة فيها طيب أو غيره.
- **فِئَام**: أي: جماعة.
- **قَرْنِي**: أي: أهل قرني، والقرن: أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، والأشهر أن مدة القرن: مائة سنة، وقيل غير ذلك.

الفوائد

• **باب فضائل أصحاب النبي ﷺ**

- **(لا حِلْـفَ في الإســلام؟)**: المـراد: أنهـم لا يتعاهـدون في الإسلام علىٰ الأشياء التي كـانوا يتعاهـدون عليها في الجاهلية. وكأن عاصمًا يشير بـذلك إلىٰ مـا رواه جُبير بـن مُطعـم رضي الله عنه في صـحيح مسـلم: (لا حـلـف في الإسـلام، وأيمـا حلـف كـان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة).
- **(قد حـالـف رسـول الله ﷺ)**: قـال الطبري: مـا استدل بـه أنس رضي الله عنه علىٰ إثبات الحلف لا ينافي حديث جبير بـن مطعم رضي الله عنه في نفيه، ويمكـن الجمع بـأن المنفي مـا كـانوا يعتبرونـه في الجاهلية من نصر الحليف ولو كان ظالمًا، ومـن أخذ الثأر مـن القبيلـة بسـبب قتـل واحـد منهـا، ومـن التـوارث ونحـو ذلـك، والمثبت ما عدا ذلك مـن نصر المظلوم، والقيـام في أمر الـدين ونحـو ذلـك مـن المسـتحبات الشـرعية كالمصـادقة والمـوادَدَة وحفظ العهد.

• **باب فضائل أصحاب النبي ﷺ**

* **حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه**:

- **(فيفتح لهم)**: فيه إشارة إلىٰ أن الفتح قـد يكـون صـلحًا مـن غير حرب، وفيه دلالة علىٰ أن كثيرًا من البلدان فُتحت مـن غـير حرب، ومنها بلاد دخلت في الإسـلام تـأثرًا بمـا عرفـه أهلهـا مـن حسـن أخـلاق المسـلمين وتواضـعهم لله ﷻ، وفيـه جلالـة قـدر الصحابة رضوان الله عليهم، وأنهم كانوا سببًا في نشر الإسلام.
- **(هل فيكم مَنْ صاحب أصـحاب رسـول الله ﷺ..)**: فيـه فضيلة التابعين، وفضيلة تابعي التـابعين، وأنهـم خير النـاس بعـد الصـحابة رضي الله عنهم، وفيـه منقبـة لهـم لجهـادهم في سـبيل الله ونشـر الإسلام.
- وفي الحـديث علـم مـن أعـلام نبوتـه ﷺ حيـث بشَّـر بهـذه الفتوحات وكانت علىٰ ما ذكرها ﷺ.

* **حديث عمران بن حصين رضي الله عنه**:

- **(خيركم قرني)**: وفي حديث ابـن مسـعود رضي الله عنه: (خـير أمتـي قـرني) وفي روايـة: (خـير النـاس قـرني): قـال النـووي رحمه الله: اتفـق العلمـاء علىٰ أن خـير القـرون قرنـه ﷺ والمـراد أصـحابه، وقـد قدَّمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كـل مسـلم لقـي النبـي ﷺ ولو ساعة ومات علىٰ ذلك فهو من أصـحابه، وروايـة (خـير النـاس) علىٰ عمومها، والمراد منه جملـة القـرون، ولا يلـزم منـه تفضيل الصحابي علىٰ الأنبياء صلوات الله علـيهم وسـلامه، ولا أفراد النساء علىٰ مريم وآسية وغيرهما، بـل المـراد جملـة القـرن بالنسبة إلىٰ كل قرن بجملته.
- في الحـديث فضـيلة الصـحابة رضي الله عنهم، والتـابعين، وتـابعي التـابعين، وجمهـور العلمـاء علـىٰ أن فضـيلة الصـحبة لا يعـدلها عمل.
- **(ويشهـدون ولا يُستشهدون)**: أي يسـبق إلىٰ أداء الشـهادة بدون طلـب صـاحبها، ويخـرج مـن ذلـك مـن كـان عنـده شـهادة بحق لا يعلم صاحبها بها، أو شهادة في حق من حقوق الله ﷻ.
- **(ويظهـر فـيهم السِّـمن)**: أي: يحبـون التوسـع في المآكـل والمشارب وهي أسباب السِّمن، والمذموم منه مـن يستكسـبه، وأما من هو في خلقه فلا يُذم، وإنمـا كـان الأول مذمومًا لأن مـن كان هذا حاله يثقل عن العبادة ويكون بليد الفهم دنيء الهمة.

المفردات

- **رَأْسِ مِائَةٍ**: أي: عند انتهاء مائة سنة.
- **فَوَهِلَ النَّاسُ**: أي: غلطوا أو توهموا.
- **في مقالةِ**: في رواية: (من مقالة).
- **ولا نَصِيفَه**: النَّصيف: هو النِّصف.

الفوائد

* **حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**

- **(تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته):** هذا ذمٌّ لمن يشهد ويحلف مع شهادته، واحتجَّ به بعض المالكية في ردِّ شهادة من حلف معها، وجمهور العلماء علىٰ أنها لا تردُّ.

والمراد هنا: أنه يجمع بين اليمين والشهادة، فتارة تسبق هذه وتارة هذه، وفي رواية: (تبدر شهادة أحدهم) وهو بمعنىٰ تسبق.

- قال ابن الجوزي رحمه الله: المراد أنهم لا يتورعون ويستهينون بأمر الشهادة واليمين.

وقال الطحاوي رحمه الله: أي: يكثرون الأيمان في كل شيء حتىٰ يصير لهم عادة، فيحلف أحدهم حيث لا يُراد منه اليمين ومن قبل أن يُستحلف.

- في الحديث: تعديل أهل القرون الثلاثة، وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول علىٰ الغالب والأكثرية، فقد وُجد فيمن بعد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من القرنين من وُجد فيه الصفات المذمومة لكن بقلَّة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة، فإن ذلك كثر فيهم واشتهر.

• باب من حدَّد قرن النبي ﷺ

- **(فَوَهِلَ الناسُ في مقالة رسول الله ﷺ):** لأن بعضهم كان يقول: إن الساعة تقوم عند تقضِّي مئة سنة، كما روىٰ ذلك الطبراني وغيره من حديث أبي مسعود البدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وردَّ ذلك عليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- وقد بيَّن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في حديث الباب مراد النبي ﷺ، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك يَنْخَرِم ذلك القرن، فلا يبقىٰ أحدٌ ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضُبط أمره ممن كان موجودًا حينئذٍ أبو الطُّفيل عامر بن واثلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد أجمع أهل الحديث علىٰ أنه كان آخر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ موتًا، وغاية ما قيل فيه أنه بقي إلىٰ سنة عشر ومائة، وهي رأس مئة سنة من مقالة النبي ﷺ، والله أعلم.

- قال ابن بطال: إنما أراد رسول الله ﷺ أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة.

• وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ.**

• (وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**).

بَابُ مَنْ حَدَّدَ قَرْنَ النَّبِيِّ ﷺ*

١٢٦٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **مِنْهَا** ـ **لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ.**[1] فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ**. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَخْرِمُ ذَلِكَ الْقَرْنَ.

بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ*

١٢٦١ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:[2] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي[3]؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: **تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ؟ وَأُقْسِمُ بِاللهِ! مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ.**
وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ سَالِمٌ: تَذَاكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَهُ: إِنَّمَا هِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ يَوْمَئِذٍ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!...**

• باب تحريم سَبِّ أصحاب رسول الله ﷺ

- **(لا تَسُبُّوا أصحابي):** وقع في رواية مسلم ذكر سبب هذا الحديث، وهو ما وقع في أوله قال: كان بين خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف شيء فسبَّه خالد، فذكر الحديث.

- **(فلو أن أحدكم..):** فيه إشعار بأن المراد بقوله أولاً: (أصحابي) أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وفي نهي بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سَبِّ من سَبَقه يقتضي زجر من لم يُدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سبِّ من سَبَقه من باب الأولىٰ.

- **(مُدَّ أحدكم ولا نصيفه):** المراد: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُدِّ طعام أو نصيفِه. وسبب التفاوت ما يقارِن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية؛ وأعظم منه عِظَمُ موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وقد وقعت الإشارة إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[الحديد:١٠].

- واختلف في ساب الصحابي والجمهور علىٰ أنه يُعزَّر، وبعض المالكية قالوا بقتله، وخصَّ بعض العلماء ذلك بالشيخين والحسن والحسين، وكذا مَنْ كفَّر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ.

المفردات

- رَاحِلَة: الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف، فإذا كانت في إبل عُرفت.

الفوائد

• باب الناس بعد القرون المفضلة

- المراد بحديث الباب: أن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جدًّا، فهم بمنزلة الراحلة في الإبل الحَمُولة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

- قال القرطبي ﷺ: الذي يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس الحمالات عنهم ويكشف كُربهم عزيز الوجود، كالراحلة في الإبل الكثيرة.

- أشار ابن بطال ﷺ إلىٰ أن المراد بالناس في الحديث: من يأتي بعد القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابعيهم، حيث يصيرون يخونون ولا يؤتمنون.

- من دقائق ما يرشد إليه هذا الحديث: حرص المسلم علىٰ انتخاب الرفيق والبحث عنه بين ركام البشر؛ لندرته وعزة وجوده، ما يضاعف مهمة البحث والاصطفاء، فإن الصحبة فيها من حمل الصاحب وملاينته، وقضاء حوائجه، واحتمال نقصه ومعايبه، ما لا تتهيأ له نفوس كثير من الناس، ولذلك قال القائل:

وإذا صفا لك من زمانك واحد
فهو المراد وأين ذاك الواحد

- وفيه حث للمسلم علىٰ النجابة وتطويع النفس لبلوغ هذه المنزلة بالترفع عن الدوران حول الذات، والسمو نحو التميز عن عامة الناس بحمل همومهم، والانشغال بهدايتهم وإصلاح شؤونهم، وتلك مقامات الخُلَّص من الخلق من الأنبياء وورثتهم من أهل العلم والصلاح الذين كانوا رحمةً للخلق، وملاذًا للضعفاء والمحتاجين، وهداية للحائرين. اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

بَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ*

١٢٦٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا) النَّاسُ[١] كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا (تَكَادُ) تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً.



(١) وَلِمُسْلِمٍ: تَجِدُونَ النَّاسَ. . .

كتاب البر والصلة

المفردات

- **المُومِسات**: جمع مُومِسة وهي الزانية.
- **صَوْمَعتِه**: الصومعة هي البناء المرتفع المحدَّد أعلاه.

الفوائد

• **باب بر الوالدين**

– حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيه الحث على بر الوالدين، وتقديم الأم في البر. قال ابن بطال رحمه الله: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية.

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] فسوَّى بينهما في الوصاية، وخصَّ الأم بالأمور الثلاثة ا.هـ.

قال القرطبي: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتُقدَّم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة ا.هـ.

قال النووي رحمه الله: فيه الحثُّ على بر الأقارب وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب ا.هـ.

* **حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ**

– قال النووي رحمه الله: فيه قصة جُريج وأنه آثر الصلاة على إجابة أمه فدعت عليه فاستجاب الله لها. قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها، لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوعٌ لا واجب، وإجابة الأم وبرُّها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته، فلعلَّه خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه ا.هـ.

– **(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)**: قال النووي رحمه الله: فذكرهم وليس فيهم الصبي الذي كان مع المرأة في حديث الساحر والراهب، وقصة أصحاب الأخدود، وجوابه: أن الصبي لم يكن في المهد، وإن كان صغيرًا (ا.هـ باختصار).

– **(اللَّهم أمي وصلاتي)**: أي: اجتمع عليَّ إجابة أمي، وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما، وفي رواية: (أمي وصلاتي لربي، أوثر صلاتي على أمي، ذكره ثلاثًا)، وكل ذلك محمول على أنه قاله في نفسه لا أنه نطق به، ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره؛ لأن الكلام كان مباحًا عندهم، وكذلك كان في صدر الإسلام.

– **(اللَّهُمَّ لا تُمِته حتى تُريه وجوه المومسات)**: ولمسلم في رواية: (ولو دَعَت عليه أن يُفتن لفتن) وفيه عظم بر الوالدين، وإجابة دعائهما، ولو كان الولد معذورًا، لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد. وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب؛ لأن أم جُريج مع غضبها منه لم تَدْعُ عليه إلا بما دعت

كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ

بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ*

١٢٦٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:[1] **أُمُّكَ**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أُمُّكَ**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أُمُّكَ**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَبُوكَ**[2].

١٢٦٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ**[3]، كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: **أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي؟** ـ وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): **قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي!**[4] **قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي!**[5] **قَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ.**[6] ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا**[7] ـ، **وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **نَعَمْ وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **وَكَانَ عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً**.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: **فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ؛ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي**.
(٥) وَلِمُسْلِمٍ: **فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ؛ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي**.
(٦) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ**.
(٧) وَلِمُسْلِمٍ: **تَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ**.

ـ ٦٣ ـ

به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. وفيه أن صاحب الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ لا تضره الفتن.

– فيه إشارة إلى أن جريجًا كان معروفًا بعفته وعدم التفاته للنساء، حتى اختارت الأم هذه الدعوة. وفيه أنه ينبغي على المسلم أن يوازن في أوقاته بين العبادة، والوالدين، والزوجة والأولاد، وغيرهم من أصحاب الحقوق.

– **(فقالت امرأة: لأفتنن جُريجًا)**: ولمسلم: (تذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته..) وفيه أن الحسد قد يكون في كل شيء حتى في العبادة، فصاحب العبادة يحسده البعض على حسن خلقه، وعظيم تقواه، وكثير مدح الناس له، فيسعى الحساد في القدح في سمعته، كما حصل من بني إسرائيل لجريج.

– فيه أن الساقطين في وحل الرذيلة يظنون أن الناس مثلهم يتساقطون في الشهوات، ولا يعرفون أن من عباد الله من يستعلي بتقواه لله على كل المتع الدنيوية، وأن الله تعالى يلطف بأوليائه ويحميهم من الفتن برحمته وإحسانه.

– ولمسلم: (وكانت امرأة بغي يُتمثل بحسنها..): وقد كان الزنا وانتشار البغايا معروفًا في بني إسرائيل، فأول ما فُتنوا به النساء كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ.

وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ، فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ[1]، (وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ) وَصَلَّى[2]، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ[3]، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي.[4] قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ! فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ ـ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ـ، ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا ـ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ! فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ! وَلَمْ تَفْعَلْ. وَفِي رِوَايَةٍ: يَقُولُونَ لَهَا: تَزْنِي. وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ. وَيَقُولُونَ: تَسْرِقُ. وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ.

بَابٌ: لَا يُجَاهِدُ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَبَوَيْنِ

١٢٦٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ[5].

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ!.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. فَتَبَسَّمَ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ: فَأَقْبَلُوا يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ.

(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ؛ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ. قَالَ: فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: =

- ٦٤ -

المفردات

- **رَجُلٌ رَاكِب**: في رواية عند أحمد: (فارس متكبر).
- **ذُو شَارَة**: أي: صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن، يُتَعجَّب منه ويشار إليه.
- **تُجَرَّر**: أي يجرُّونها من مكان إلىٰ مكان.

الفوائد

- **(وكلمته فأبى)**: وفيه عفة وإعراض جُريج عن هذه المرأة الخبيثة وعصمة الله له.

وهذا الإعراض ترك في قلبها حقدًا، وأصرت علىٰ إغوائه، فمكرت له مكرًا عظيمًا، لتنتقم منه حيث مكنت الراعي من نفسها فحملت، ولما ولدت ادعت أنه من جُريج.

- استدل بذلك بعضهم علىٰ أن بني إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تُصدَّق فيما تدَّعيه علىٰ الرجال من الوطء ويلحق به الولد، وأنه لا ينفعه جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها.
- **(فأتوه وكسروا صومعته، وأنزلوه)**: فيه أسف الناس عندما يرون صاحب التقوىٰ والصلاح وهم يثقون به، ثم يكتشفون أنه فاجر، لذلك ذهبوا إليه فهدموا صومعته وأنزلوه؛ لأنه في نظرهم يدَّعي العبادة، ولكنه يرتكب الفاحشة، ومرتكب الفاحشة لا حرمة له.
- **((وسبُّوه فتوضأ) وصلى)**: فيه أن المفزع في الأمور المهمة إلىٰ الله ﷻ يكون بالتوجه إلىٰ الصلاة، وفيه أن الوضوء كان معروفًا في شرع من قبلنا، وأن الوضوء لا يختص بهذه الأمة، خلافًا لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة.
- **(من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي)**: قد يُقال: إن الزاني لا يلحقه الولد، وجوابه من وجهين: أحدهما: لعله كان في شرعهم يلحقه. والثاني: المراد: من ماء من أنت؟ وسماه أبًا مجازًا.
- فيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة، وفيه أن كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الله تعالىٰ يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم بالشدائد غالبًا، وقد يجري عليهم الشدائد بعض الأوقات زيادة في أحوالهم وتهذيبًا لهم، فيكون لطفًا.
- وفيه قوة جُريج، وصحة رجائه؛ لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.
- **(فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة..)**: فيه أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر، فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق، فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة، فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة، كما قال تعالىٰ حكاية عن أصحاب قارون حين خرج عليهم: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[القصص:٧٩-٨٠].
- وفيه أن البشر طبعوا علىٰ إيثار الأولاد علىٰ الأنفس بالخير، لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنهم ولم تذكر نفسها.

• بابٌ: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين

- حديث الباب فيه أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد، وفيه فضل بر الوالدين، وتعظيم حقهما، وكثرة الثواب علىٰ برهما، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به؛ لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه ثم لم يقنع حتىٰ استأذن فيه، فدُلَّ علىٰ ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال ما حصل له العلم بذلك.
- قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرطين: أولهما: أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية. والثاني: إذا تعيَّن الجهاد فلا إذن.

بَابُ تَحْرِيمِ الْعُقُوقِ*

١٢٦٦ ـ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**(١).

بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ*

١٢٦٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: (مَنْ يَلِي) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **مَنِ ابْتُلِيَ** ـ **مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**(٢).

بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ

١٢٦٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**.

= فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**.

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **يَسْخَطُ** ـ **لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ...**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ**، أَوْ: **أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**.

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ: **مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ**. وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.

- ٦٥ -

المفردات

- **ومَنَعَ وَهَاتِ**: أي: منع ما أُمر بإعطائه، وطلب ما لا يستحق أخذه.
- **ويُنْسَأ**: أي يُؤخر.
- **في أَثَرِه**: أي: في أجله.

الفوائد

• باب تحريم العقوق

- **(حرم عليكم عقوق الأمهات)**: قيل: خصَّ الأمهات بالذكر؛ لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، وليُنَبِّه علىٰ أن بر الأم مقدم علىٰ بر الأب في التلطف والحُنُوِّ ونحو ذلك.

- **(ووَأْدَ البنات)**: هو دفن البنات بالحياة، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهةً فيهنَّ، وإنما خَصَّ البنات بالذكر؛ لأنه كان الغالب من فعلهم؛ لأن الذكور مظنة القدرة علىٰ الاكتساب، وكان من العرب فريقٌ ثانٍ يقتلون أولادهم مطلقًا للفقر أو خشية الفقر.

- **(وكره لكم قيل وقال)**: قال المحب الطبري: في (قيل وقال) ثلاثة أوجه: الإشارة إلىٰ كراهة كثرة الكلام؛ لأنها تؤول إلىٰ الخطأ، وإرادة حكاية أقاويل الناس، والبحث عنها ليخبر عنها، وأن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين، وهذا مخصوص بمن ينقل ذلك من غير تثبُّت، ولكن يقلد من سمعه ولا يحتاط له (ا.هـ باختصار).

- **(وكثرة السؤال)**: وهو عام يشمل سؤال المال أو السؤال عن المشكلات، والمعضلات، وكثرة السؤال عن أحوال الناس بلا حاجة، وعن أحوال الزمان ونحو ذلك مما لا فائدة فيه.

- والسؤال للمال إن كان لغير حاجة فهو مكروه كراهة تحريم لظاهر الحديث.

- **(وإضاعة المال)**: الأكثر حملوه علىٰ الإسراف في الإنفاق، وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوىٰ أنه ما أُنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعًا، سواء كانت دينية أو دنيوية؛ لأن الله جعل المال قيامًا لمصالح العباد، وفي تبذيره تفويت تلك المصالح.

- قال الطيبي: هذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق، وهو تتبع جميع الأخلاق الحميدة، والخلال الجميلة.

• باب الإحسان إلى البنات

- حديث الباب فيه تأكد حق البنات، لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بحق أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال.

- قال ابن بطال: وفيه جواز سؤال المحتاج، وسخاء عائشة ﵂ لكونها لم تجد إلا تمرة فآثرت بها، وأن القليل لا يمنع التصدق به لحقارته، وفيه جواز ذكر المعروف إن لم يكن علىٰ وجه الفخر ولا المنَّة.

- **(من ابتلي من هذه البنات شيئًا)**: سماه ابتلاءً؛ لأن الناس يكرهون البنات فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك، ورغَّب في إبقائهن، وترك قتلهن بما ذَكَر من الثواب الموعود به مَن أحسن إليهن، وجاهد نفسه في الصبر عليهن.

ويحتمل أن يكون الابتلاء هنا بمعنىٰ الاختبار، أي: من اختبر بشيء من البنات لينظر ما يفعل أيُحسن إليهن أو يسيء؟ ولهذا قيده في حديث أبي سعيد ﵁ بالتقوىٰ (ولفظه: فأحسن صحبتهن، واتقىٰ الله فيهن).

• باب من بُسِط له في الرزق بصلة الرحم

- حديث الباب فيه فضل صلة الرحم، وفيه أن صلة الرحم سبب لزيادة الرزق وطول العمر، وأَشْكَل ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف] والجمع بينهما علىٰ الصحيح: أن هذه الزيادة حقيقية وما في الآية محمول علىٰ علم الله، وما في الحديث محمول علىٰ علم الملك.

المفردات

- **من وَصَل وَصَلَهُ الله:** أي: من وصل رحمه.
- **فَرَغ من خَلقِه:** أي: أتمَّه.
- **فقال له:** مَهْ!: هو اسم فعل معناه الزجر أي: اكفف.
- **مقام العائذ بك:** أي: هذا قيامي مقام المستعيذ المستجير بك.

شِجْنةٌ: الشِجْنَة هي عروق الشجر المتشابكة.

- **قاطع:** أي: قاطع رحم.
- **يَعُول يتيمًا:** يربيه وينفق عليه.
- **كَافِل اليَتِيم:** القيِّم بأمره ومصالحه.

الفوائد

• بابٌ: من وَصَل وَصَلَهُ الله

- **(فأخذت بحقو الرحمن):** الحقو يطلق علىٰ الإزار كما في حديث أم عطية: (فأعطاها حقوه) فقال: (أشعرنها إياه) يعني إزاره، قال ابن حجر: والحقو في الأصل معقد الإزار وأطلق علىٰ الإزار مجازًا. ا.هـ.
- قال شيخ الإسلام ﷺ: وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي نصَّ الأئمة علىٰ أنه يُمر كما جاء ا.هـ.
- **(هذا مقام العائذ بك من القطيعة):** وظاهره أن الرحم قد تجسدت وتعلقت وتكلمت في هذا الموقف، ولا استحالة في ذلك، فالله ﷻ قادر علىٰ تجسيد المعاني في صورة حسية، كوزن الأعمال يوم القيامة، ومجيء الموت في هيئة كبش يُذبح بين الجنة والنار ونحو ذلك.
- قال القرطبي: مقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالىٰ أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته، وإذا كان كذلك فجار الله تعالىٰ غير مخذول.
- (شِجْنَة من الرحمن): قال الإسماعيلي: معنىٰ الحديث أن الرحم اشتُق اسمها من اسم الرحمن، فلها به عُلْقة، وليس معناه أنها من ذات الله، تعالىٰ الله عن ذلك ا.هـ.
- قال القرطبي: الرحم التي توصل عامَّة وخاصة، فالعامة: رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة فتزيد: النفقة علىٰ القريب، وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك كما في الحديث: (الأقرب فالأقرب) ا.هـ.

بَابٌ: مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ

١٢٦٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ (وَفِي رِوَايَةٍ: قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ!)، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ)[2].

بَابُ إِثْمِ الْقَاطِعِ

١٢٧٠ ـ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ.

بَابُ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا

١٢٧١ ـ (عَنْ سَهْلٍ ﷺ)[3]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا. وَأَشَارَ[4] بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، (وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا).

(١) وَلِمُسْلِمٍ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَقْفَالُهَآ﴾.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ﷺ: الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ.
(٣) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: مَالِكٌ.

- ٦٦ -

• باب إثم القاطع

- حديث الباب فيه تحريم قطع الرحم وأنه من الكبائر لنهي الشارع عنه علىٰ وجه التعظيم، ولترتب عليه عقوبة الحرمان من الجنة، وعند أبي داود كذلك من حديث أبي بكرة ﷺ رفعه: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

• باب فضل من يعول يتيمًا

- حديث الباب فيه فضل من كَفَل يتيمًا، قال ابن بطال ﷺ: حق علىٰ من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبيﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك ا.هـ.
- قال ابن حجر ﷺ: ومثل هذا لا يثبت بالاحتمال، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطىٰ والسبابة إصبع أخرىٰ، وقد وقع عند الطبراني: (معي في الجنة كهاتين) يعني: المسبِّحة والوسطىٰ: (إذا اتقىٰ).

ويحتمل أن يكون المراد: قرب المنزلة حالة دخول الجنة، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول، وعلو المنزلة (ا.هـ. باختصار).

المفردات

- **السَّاعي**: الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين، والأرملة: التي لا زوج لها، وسميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج.
- **المِقة**: المحبة.

الفوائد

• باب الساعي على الأرملة والمسكين

- حديث الباب فيه فضل الساعي على الأرملة والمسكين، وكذلك من لا يجد كفايته، فإن أجره كأجر المجاهد في سبيل الله، وكأجر الصائم القائم.
- وهناك فرق بين الجزاء والإجزاء في أحكام الدنيا، فإذا جاء نص في الشرع على أن طاعة ما تعادل فعل طاعة أخرى سواء مثلها أو مضاعفة فهذا يتعلق بالجزاء أي الثواب، وليس الإجزاء أي: إسقاط الفرض، وهذا بالإجماع. وبناءً على ذلك فإن الساعي على الأرملة والمسكين يعادل الصيام والقيام في الجزاء والثواب، وليس في الإجزاء، ولا يغنيه ذلك عن الصيام الواجب.

• باب علامة حب الله ﷻ

- حديث الباب يقرر مسألة مهمة وهي: أن المرء مع من أحب، وأنه يكون معه يوم القيامة حيث الحشر والنشر، وحيث الجزاء أيضًا، ومما تضمنه هذا الحديث الجليل: التحذير الشديد من محبة أهل الفسوق والعصيان، فإن المحبة دليل على قوة اتصال بين المتحابَيْن، ومناسبة الأخلاق بينهما، وهذا سوء أدب مع الله، لأن الله لا يحب أهل العصيان ولا الكفران، والمحب لهم معاند لله ومحادٌّ لمراده، ولذلك تعظم ندامته وحسرته يوم القيامة كما أخبر ربنا ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[الفرقان:٢٧-٢٩].
- ولا يُقصد في هذا المقام الحب الدنيوي الفطري الذي باعثه القرابة أو الصداقة أو مقتضى من مقتضيات التعايش، ولكن المذموم هو محبة هؤلاء لما هم عليه من الأخلاق والاعتقاد، ومتابعتهم على ما هم فيه من الضلال.
- وهذا الحديث الذي قرر فيه النبي ﷺ هذا الأصل العظيم (المرء مع من أحب) مُؤيد بالقرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[التكوير:٧] أي: جُمع كل شكل إلى نظيره.
- **(أن رجلًا سأل النبي ﷺ)**: عند الدارقطني من حديث أبي مسعود أن الأعرابي الذي بال في المسجد قال: يا محمد، متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ فدل ذلك على أن السائل في حديث أنس رضي الله عنه هو الأعرابي الذي بال في المسجد، وهو ذو الخويصرة اليماني، وهو غير ذي الخويصرة التميمي رأس الخوارج وأولهم الذي اعترض على النبي ﷺ يوم حنين في قسمة الغنائم.
- قال النووي رحمه الله: فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير، الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله

بَابُ السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ

١٢٧٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ.**

بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللهِ ﷻ

١٢٧٣ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَيْلَكَ!** ـ **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟** قَالَ: لَا شَيْءَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ ـ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ. فَقَالَ: **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.** (وَفِي رِوَايَةٍ: فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ). قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ[1] فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.** قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ[2] النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

بَابُ الْمِقَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى

١٢٧٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**[3].

(١) وَلِمُسْلِمٍ: بَعْدَ الْإِسْلَامِ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: اللهَ، وَ...
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ =

- ٦٧ -

امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم ا.هـ. وفيه جواز سكوت العالم عن جواب السائل إذا كانت المسألة لا تُعرف أو كانت مما لا حاجة بالناس إليها، أو كانت مما يخشى منها الفتنة، أو سوء التأويل.

• باب المقة من الله تعالى

- **(إذا أحب الله العبد)**: وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، كما عند الإمام أحمد من حديث ثوبان رضي الله عنه: (إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول: يا جبريل، إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه..)، ويشهد له ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه) الحديث.
- **(فيحبه جبريل)**: وفي تقديم الأمر بذلك لجبريل عليه السلام قبل غيره من الملائكة إظهارٌ لرفيع منزلته عند الله تعالى على غيره منهم.
- **(ثم يوضع له القبول في الأرض)**: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة على محبة الله ﷻ، ويؤيده ما تقدم في الجنائز: (أنتم شهداء الله في الأرض).
- يؤخذ من هذا الحديث: الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها، سنَّتها وفرضها.

المفردات

- **تَدَاعى**: أي: دعا بعضه بعضًا للمشاركة في الألم.
- **الكِير**: هو آلة الحداد التي ينفخ بها.

الفوائد

• **بابٌ: الأرواح جنود مجندة**

- **(الأرواح جنود مجندة)**: قال النووي ﷺ: قال العلماء: معناه جموع أو أنواع مختلفة، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها، وتناسبها في شيمها، وقيل: لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها، فمن وافق بشيمه أَلِفه ومن باعده نافره وخالفه ا.هـ.

- قال ابن الجوزي ﷺ: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة وصلاح، فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعىٰ في إزالته، حتىٰ يتخلص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه.

• **باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا**

- حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: فيه الحث علىٰ معاونة المؤمن لأخيه المؤمن ونصرته، وأن ذلك لابد منه، فهو شيء متأكد كما أن البنيان لا يتم ولا تحصل فائدته ولا يتحقق الغرض منه إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضًا ليشده ويقويه، وإلا تنحل أجزاؤه، وينفرط نظامه.

- قال ابن بطال ﷺ: والمعاونة في أمور الآخرة، وكذلك في الأمور المباحة من الدنيا، مندوب إليها، وقد ثبت حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه).

- **(ثم شبَّك بين أصابعه)**: وهو بيان لوجه التشبيه أي: يشد بعضهم بعضًا مثل هذا الشَّدّ، وفيه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته؛ ليكون أوقع في نفس السامع.

* **حديث النعمان بن بشير** رضي الله عنهما:

- **(ترى المؤمنين في تراحمهم..)**: قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنىٰ لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به: أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به: التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به: إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه. (ا.هـ مختصرًا).

- قال القاضي عياض: فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم، وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض علىٰ تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضًا.

بَابٌ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

١٢٧٥ ـ (عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها مُعَلَّقًا، قَالَتْ)[١]: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**.

بَابُ تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا

١٢٧٦ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**. (ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ).

١٢٧٧ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾

١٢٧٨ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ـ قَالَ: **اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ** (مَا شَاءَ)[٢].

بَابُ مَثَلِ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ*

١٢٧٩ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ**

= جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ.

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَوْصُولًا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: مَا أَحَبَّ.

- ٦٨ -

• **باب قول الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾**

- **(فلتؤجروا)**: الفاء واللام زائدتان للتأكيد، أي: فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأجر، سواء قُبلت شفاعتكم أم لا.

- **(وليقض الله على لسان نبيه ما شاء)**: أي: يظهر الله تعالىٰ علىٰ لسان رسوله ﷺ بالوحي أو الإلهام ما قدَّره في علمه بأنه سيقع.

- في الحديث: الحض علىٰ الخير بالفعل وبالتَّسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلىٰ الكبير في كشف كربةٍ ومعونة ضعيف.

- قال عياض: ولا يستثنىٰ من الوجوه التي تستحب الشفاعة فيها إلا الحدود، وإلا فما لا حدَّ فيه تجوز الشفاعة فيه، ولا سيما ممن وقعت منه الهفوة، أو كان من أهل الستر والعفاف، قال: وأما المصرون علىٰ فسادهم المشتهرون في باطلهم فلا يشفع فيهم؛ ليُزجروا عن ذلك.

• **باب مثل الجليس الصالح**

- حديث الباب فيه النهي عن مجالسة من يُتأذىٰ بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من يُنتفع بمجالسته فيهما، وفيه: ضرب المثل، والعمل في الحكم بالأشباه والنظائر.

المفردات

- **يُحْذِيكَ**: أي: يُعْطِيك.
- **العَشِيرة**: الجماعة أو القبيلة.
- **فحَّاشًا**: الفُحش: كل ما خرج عن مقداره حتىٰ يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة.
- **وَدَعَه الناس**: أي تركوه.

المَعْتَبَه: من المعاتبه، وهي مخاطبة الإدْلَال، ومذاكرة الموجَدة.

- **تَرِب جَبِينُه**: أي: سقط جبينه للأرض، وهي كلمة تجري علىٰ اللسان ولا يُراد حقيقتها.

الفوائد

- **(يُحذيك، وإما أن تبتاع منه..)**: فيه فضل مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع والعلم والأدب؛ لما في مجالستهم من خيري الدنيا والآخرة، لأنهم يدلُّون جليسهم علىٰ الخير ويرغبونه فيه، وينهونه عن الشر، ويرفعون همته للسير في طريق الفلاح، ولو لم يكن في فضل مجالستهم إلا ما ورد في الحديث: (هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم) لكفاهم فضلًا وكرامة.
- **(ونافخ الكير..)**: فيه مضرة جليس السوء، وتجدد ذلك الضرر في صور شتىٰ، فهو بالغ جليسه لا محالة، إما يزين له الشر ويرغبه فيه، أو يضعف همته عن الفضائل ويزهده فيها، أو يخدش مروءته بين الناس، ويجعله موضع شبهة وريبة، فمجالسته قطعة من النار، تعقب الضغائن، وتورث الندامة، لا يستقيم ودُّه، ولا يفي بعهده، ولا يعين علىٰ خير.

• **باب الوصاة بالجار**

- **(أنه سَيُورِّثه)**: أي: يأمرني عن الله بتوريث الجار لجاره، ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر ﷺ في الأدب المفرد، ولفظه: (حتىٰ ظننت أنه يجعل له ميراثًا).
- حديث الباب فيه الحث علىٰ الإحسان إلىٰ الجار بقدر الطاقة، كالهدية والسلام، وتفقُّد حاله ومعاونته، وكف الأذىٰ عنه، واحتمال الأذىٰ منه، وموعظته بالحسنىٰ، والدعاء له بالهداية ونحو ذلك من ضروب الإحسان والخير.

• **باب المداراة مع الناس**

- قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك أقوىٰ أسباب الألفة.
- **(استأذن علىٰ النبي ﷺ رجل)**: قيل: هو عُيَيْنَة بن حصن الفَزَاري، وكان يُقال له الأحمق المُطاع، ورجا النبي ﷺ بإقباله عليه وتألُّفه ليسلم قومه، لأنه كان رئيسهم، وقيل: هو مخرمة بن نوفل والد المسور ﷺ، فيُحمل علىٰ التعدد والله أعلم.
- هذا الحديث أصل في المداراة، وهي غير المداهنة، فالمدارة: هي بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا، أو كلاهما، أما المداهنة: فهي ترك الدين لصلاح الدنيا.
- وفيه ذكر الإنسان بما فيه للتحذير منه؛ ولئلا يُغتر به، وفيه فضل الأدب وحسن الخلق الذي يرفع منزلة العبد عند الله، وبضده

يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.

بَابُ الْوَصَاةِ بِالْجَارِ

١٢٨٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**.

بَابُ الْمُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ

١٢٨١ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: **ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، أَوْ: بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ**. فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ (وَفِي رِوَايَةٍ: تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ! فَقَالَ: **أَيْ عَائِشَةُ!** (وَفِي رِوَايَةٍ: **مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟**) **إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ ـ أَوْ وَدَعَهُ ـ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**.

بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ

١٢٨٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: **إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ**) **أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**.

• (وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: **مَا لَهُ؟ تَرِبَ جَبِينُهُ!**).

بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ

١٢٨٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛**

ـ ٦٩ ـ

سوء الخلق والفحش الذي يجعله عنده في شر منزلة –نسأل الله السلامة والعافية–.

• **باب حسن الخلق**

- حديثا الباب فيهما: الحث علىٰ حسن الخلق وبيان فضل صاحبه، وأنه سبب لحب الله ورسوله، وفيهما بيان لحسن خلق النبي ﷺ، وأنه لم يكن من خلقه الفحش، لا غريزة ولا اكتسابًا وتكلفًا، وإنما كان أعظم الناس وأحسنهم خلقًا ﷺ، وصدق الله العظيم الذي زكاه فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].
- وفيهما بيان للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في رضاه وغضبه، والتحلي بالأدب والأخلاق الفاضلة حتىٰ عند المعاتبة، فالمرء تُعرف حقيقة خلقه عند الغضب؛ لأنه يكون أبعد عن التكلف في هذا الحال.
- وفيه أنه ينبغي للعبد أن يجتهد في اكتساب الأخلاق الفاضلة ويروِّض نفسه عليها حتىٰ تصير له سجيَّة؛ لينال بذلك الخيرية، ومحبة الله ورسوله.

• **باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر**

- **(إياكم والظن)**: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها، لأنه ذريعة للوقوع في المعاصي من الغيبة والتجسس ونحوهما، وهذا الحديث يوافق قوله تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحجرات:١٢].

فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا(١)، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا(٢)، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا(٣).

بَابُ الْهِجْرَةِ

١٢٨٤ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ.

بَابُ الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ

١٢٨٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ(٤).

(وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي! قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ).

بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ

١٢٨٦ ـ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَلَا تَنَافَسُوا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَلَا تَقَاطَعُوا.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا. قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.

- ٧٠ -

المفردات

- **ولا تَنَاجَشُوا**: من النَّجْش، وهو أن يزيد من السلعة وهو لا يريد شراءها؛ ليقع غيره فيها.
- **ولا تَبَاغَضوا**: أي: لا تتعاطوا أسباب البغض.
- **ولا تَدَابروا**: أي: لا تهاجروا، فيهجر أحدكم أخاه.
- **الهجرة**: المراد هنا ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا.

الفوائد

- **(فإن الظن أكذب الحديث)**: وصَفَه بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمِّه والتنفير منه، وإشارة إلىٰ أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض؛ لخفائه غالبًا ووضوح الكذب المحض.
- **(ولا تحسسوا، ولا تجسسوا)**: فيه النهي من البحث عن عيوب الناس وتتبعها، ويستثنىٰ من هذا النهي ما لو تعيَّن طريقًا إلىٰ إنقاذ نفس من الهلاك، كأن يُخبر ثقةٌ بأن فلانًا خلا بشخص ليقتله ظلمًا، أو بامرأة قد غرر بها واستدرجها ليزني بها، فيشرع في هذه الصورة التحسس والبحث عن ذلك حذرًا من فوات استدراكه.
- **(وكونوا عباد الله إخوانًا)**: أي: اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا مما سبق ذكره، وغيره من الأمور المقتضية لذلك إثباتًا ونفيًا.
- في الحديث: تحريم بغض المسلم وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعي، والحسد علىٰ ما أنعم به الله عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، ولا ينقب عن معايبه، سواءً كان حاضرًا أم غائبًا، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذلك.

• **باب الهجرة**

- **(لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث..)**: فيه دليل علىٰ أن من أعرض عن أخيه المسلم، وامتنع من مكالمته والسلام عليه، أثم بذلك؛ لأن نفي الحل يثبت التحريم، ومرتكب الحرام آثم.
- قال ابن عبد البر: أجمعوا علىٰ أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث، إلا لمن خاف من مكالمته ما يُفسد عليه دينه، أو يدخل منه علىٰ نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز، وربَّ هجر جميل خير من مخالطة مؤذية ا.هـ.
- **(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**: وعند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث هشام بن عامر: (فإن كان تصارما فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما علىٰ صرامهما، وأولهما فيئًا، فَسَبْقُهُ بالفيء كفارته، فإن سلَّم عليه فلم يرد عليه، ورد عليه سلامه، ردَّت عليه الملائكة، وردَّ علىٰ الآخر الشيطان، فإن ماتا علىٰ صرامهما لم يجتمعا في الجنة أبدًا).
- والجمهور علىٰ أن الهجرة تزول بمجرد السلام وردِّه، واستدلوا بما رواه الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا وفيه: (ورجوعه أن يأتي فيُسلِّم عليه).
- ويجوز الهجر فوق ثلاث إذا كان لمصلحة شرعية ورُجي نفعه كتأديب أو زجر عن معصية ونحو ذلك، ويدل لذلك هجر النبي ﷺ نساءه شهرًا، وكذلك ما صدر من بعض السلف من هجر بعضهم لبعض مع علمهم بالنهي عن المهاجرة.

• **باب الحذر من الغضب**

- حديثا الباب فيهما النهي عن الغضب، واجتناب أسبابه، وقوله ﷺ: (لا تغضب) من جوامع كلمه؛ لأنه جمع بين خيري الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلىٰ التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلىٰ أن يؤذي المغضوب عليه، فينقص ذلك من الدين.
- وفيهما: الحث علىٰ التحلي بالرفق ومكارم الأخلاق، وحرص المسلم علىٰ النصح والسؤال عن أبواب الخير، وتكرار الكلام حتىٰ يعيه السامع ويدرك أهميته.

• **باب ما ينهى من السِّباب واللَّعن**

- السِّباب: يحتمل أن يكون علىٰ ظاهر لفظه من التفاعل، وعليه فإن الوزر يكون علىٰ من بدأ منهما حتىٰ يعتدي الثاني، كما عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ السَّب وهو الشتم، وهو محرم لما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (سباب المسلم فسوق)، وحديث ثابت بن الضَّحاك رضي الله عنه وفيه: (ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله).

المفردات

- **أَوْدَاجُهُ**: الوَدَج: عرق في العنق.
- **يَهدي**: من الهداية، وهي الدلالة الموصلة إلىٰ المطلوب.
- **البر**: اسم جامع للخيرات كلها، ويطلق علىٰ العمل الخالص الدائم.
- **صِدِّيقًا**: المراد من يتكرر منه الصدق حتىٰ يستحق اسم المبالغة فيه.
- **الفُجُور**: اسم جامع للشر، ويطلق علىٰ الميل إلىٰ الفساد، وعلىٰ الانبعاث في المعاصي.

الفوائد

- **(وانتفخت أَوْدَاجه)**: فيه بشاعة أثر الغضب، وقُبح صورة الغضبان واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد؛ لأنه يولد في القلب الحقد، والحسد والغل، مما يطلق اللسان بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب.

- **(لذهب عنه ما يجد)**: فيه أن علاج الغضب الاستعاذة من الشيطان، وفيه إشارة إلىٰ أن من أسباب الغضب نزغ الشيطان بين الخلق، وحقيقة الاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام بالله تعالىٰ من نزغ الشيطان وشرِّه، وهذا يتطلب حضور القلب وتوجهه إلىٰ الله عند النطق بها.

- **(فقالوا)**: وعند مسلم: (فقام إلىٰ الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ) وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه كما بينته رواية أبي داود ولفظه: (فجعل معاذ رضي الله عنه يأمره).

- **(إني لست بمجنون)**: وزاد البخاري: (اِذْهَب) وهو خطابٌ وزجرٌ من الرجل للرجل الذي أمره بالتعوذ، ويحتمل أن يكون هذا الرجل كافرًا أو منافقًا، أو أنه استحكم منه الغضب حتىٰ غلبه علىٰ عقله فزجر ناصحه، وقيل أنه من جفاة الأعراب، وقد ظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة علىٰ الغضب.

• باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به

- حديث الباب فيه إماطة الأذىٰ عن الطريق، سواء كان هذا الأذىٰ شجر يؤذي، أو غصن شوك، أو حجر يُعثر به، أو قذرًا ونحو ذلك، أو أذىً معنويًّا كإزالة المعاصي والمنكرات التي تؤذي المسلمين وتفتنهم في دينهم.

- وفيه الحث علىٰ كف الأذىٰ عن طرق المسلمين ومرافقهم من باب أولىٰ، وفيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر وعظيم الثواب فضلًا من الله ورحمة، وفيه التنبيه علىٰ فضيلة كل من نفع المسلمين وأزال عنهم ضررًا، وفيه أن الحفاظ علىٰ المرافق العامة وصيانتها طاعة لله تستوجب شكره للعبد ورضاه عنه وغفرانه لذنوبه، ويشترط لتحصيل ذلك الثواب استحضار النية في صيانة المسلمين من الأذىٰ لما في رواية مسلم أن الرجل قال: (والله لأُنَحِّينَّ هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم فأدخل الجنة)؛

وَجْهُهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ـ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**. فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ (وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**). قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ.

بَابُ مَنْ أَخَذَ الْغُصْنَ وَمَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي الطَّرِيقِ فَرَمَى بِهِ

١٢٨٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**(١).

بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ الْكَذِبِ

١٢٨٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:(٢) **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ**(٣) **حَتَّى يَكُونَ**(٤) **صِدِّيقًا.**(٥) **وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا يُؤْذِيهِمْ. فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ.
وَفِي رِوَايَةٍ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ؛ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ.
• وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ. قَالَ: اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَـ...
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ.
(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ.

- ٧١ -

ولما لاشتراط النية في تحصيل ثواب العمل.

• باب ما ينهى عن الكذب

- حديث الباب فيه الحث علىٰ تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلىٰ التحذير من الكذب، والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه أكثر منه فعرف به، وقد ورد عند مسلم التقييد بالتحري ولفظه: (وإن العبد ليتحرىٰ الصدق) وكذا قال في الكذب، وفي هذه الزيادة إشارة إلىٰ أن من توقىٰ الكذب بالقصد الصحيح إلىٰ الصدق صار له الصدق سجية حتىٰ يستحق الوصف به، وكذلك عكسه، فالمدح والذم مقيدان بالتحري، وإن كان الصادق في الأصل ممدوحًا والكاذب مذمومًا.

- **(حتى يكتب..)**: المراد إظهار ذلك للمخلوقين: إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلىٰ، وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم كما يوضع له القبول أو البغضاء، وإلا فقدر الله تعالىٰ وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك.

- في الحديث: حث للمؤمن علىٰ أن يتخلق بمكارم الأخلاق ويجتهد في تزكية نفسه وتطهيرها من الأخلاق الذميمة، وترويضها علىٰ الفضائل ومكارم الأخلاق، ومن ذلك الصدق في أعماله وأقواله وأحواله، إلا فيما أُبيح فيه الكذب، كالإصلاح بين الناس، والحرب، وحديث الرجل لامرأته، فهذا مستثنىٰ.

يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ[١] حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا[٢].

بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّمِيمَةِ

١٢٨٩ ـ عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ ﵁، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى (عُثْمَانَ)[٣]! فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ.**

بَابٌ: لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ

١٢٩٠ ـ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ ﵂: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**[٤].

بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ

١٢٩١ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ (لَعَّابٌ)، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ (غَضَبًا شَدِيدًا) حَتَّى تَدَاعَوْا ـ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ.[٥] فَقَالَ: **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ.**
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ.** وَقَالَ: **إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ...**
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: السُّلْطَانِ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.
(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ: **فَلَا بَأْسَ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ...**

- ٧٢ -

المفردات

- **فَيَنْمِي**: أي: يُبَلِّغ علىٰ وجه الإصلاح وطلب الخير، أما بتشديد الميم فهو الإبلاغ علىٰ وجه الإفساد والنميمة.
- **لعَّاب**: أي: كثير المزاح والمداعبة.
- **فَكَسَعَ**: الكَسْع: هو ضرب الدُّبر باليد أو بالرجل.
- **مُنْتِنة**: أي: قبيحة كريهة مؤذية.
- **يا لَلأنصار**: بفتح اللام هي للاستغاثة، أي: أغيثوني، وكذا قول الآخر يا لَلمهاجرين.

الفوائد

• باب ما يكره من النميمة

- كأنه أشار بهذه الترجمة إلىٰ أن بعض القول المنقول علىٰ جهة الإفساد يجوز إذا كان المنقول فيه كافرًا مثلًا، كما يجوز التجسس في بلاد الكفار ونقل ما يضرهم.
- **(لا يدخل الجنة)**: نفي الدخول هنا ليس علىٰ التأبيد، وإنما المراد: في أول وهلة كما في نظائره من الكبائر الأخرىٰ.
- **(قتَّات)**: هو النمام، ووقع بلفظ: (نمام) في رواية مسلم، وقيل الفرق بين النمام والقتات: أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات: الذي يتسمَّع من حيث لا يُعلم به، ثم ينقل ما سمعه علىٰ وجه الإفساد والشر.
- نقل ابن حجر عن الغزالي ما ملخصه: ينبغي لمن حُملت إليه نميمة أن لا يصدق من نمَّ له، ولا يَظُن بمن نمَّ عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذُكر له، وأن ينهاه ويُقبِّح له فعله، وأن يُبغضه إن لم ينزجر، وأن لا يرضىٰ لنفسه ما نُهيَ النمام عنه فينمَّ هو علىٰ النمام فيصير نمَّامًا ا.هـ.

أما إذا كان نقل الكلام لمصلحة شرعية فهو مستحب أو واجب، كتحذير إنسان من الوقوع في ضرر ونحو ذلك. قال النووي ﵀: فلو دعت إلىٰ النميمة حاجة فلا مانع منها، كما إذا أخبر أن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن فلانًا يسعىٰ بما فيه مفسدة، ويجب علىٰ المتولِّي الكشف عن ذلك ا.هـ.

• بابٌ: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس

- **(أو يقول خيرًا)**: هو شك من الراوي، قال العلماء: المراد هنا أنه يخبر بما علمه من الخير، ويسكت عما علمه من الشر، ولا يكون ذلك كذبًا؛ لأن الكذب الإخبار بالشيء علىٰ خلاف ما هو به وهذا ساكت، ولا ينسب لساكت قول.
- زاد مسلم: (ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها) قال النووي: الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة، لكن التعريض أولىٰ ا.هـ.
- وذهبت طائفة إلىٰ إباحة الكذب في غير هذه المواضع الثلاث للمصلحة، وقالوا: إن الثلاث المذكورة كالمثال، لكن هذا القول قد يكون ذريعة للتوسع في الكذب لا سيما والناس يختلفون كثيرًا في تقدير المصلحة.
- واتفق العلماء علىٰ أن المراد بالكذب في حق الرجل والمرأة إنما هو فيما لا يسقط حقًّا عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، واتفقوا كذلك علىٰ جواز الكذب عند الاضطرار، كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختفٍ عنده فله أن ينفي كونه عنده ويحلف علىٰ ذلك ولا يأثم، والله أعلم.

• باب ما يُنهى من دعوة الجاهلية

- دعوة الجاهلية: الاستغاثة عند إرادة الحرب، كانوا يقولون: يا آل فلان، فيجتمعون فينصرون القائل ولو كان ظالمًا، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك، وأباح نصرة المستغيث إن كان مظلومًا، أما إن كان ظالمًا فنهيه عن ظلمه هو له نصر كما ورد في بعض طرق حديث الباب.
- **(دعوها فإنها منتنة)**: أي: دعوىٰ الجاهلية، وكانوا يأخذون حقوقهم بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية.

المفردات

- خَيْبَة الدَّهر: الخيبة: الحرمان، وهي بالنصب علىٰ النُّدبَة، كأنه فقد الدهر لما يصدر عنه مما يكرهه، فَنَدبه متفجعًا عليه أو متوجعًا منه، وقيل: هو دعاء علىٰ الدهر بالخيبة.

- يَنْزِعُ في يَدِهِ: أي: يقلعه من يده فيصيب به الآخر، أو يشد يده فيصيبه، وفي بعض الروايات (يَنْزِغُ) بالغين المعجمة وهو من الإغراء أي: يزين له تحقيق الضربة.

- نِصَالِها: النَّصل حديدة السهم.

الفوائد

- (فعلوها؟): هو استفهام بحذف الأداة أي: أَفَعَلوها؟ أي: الأَثَرة والمراد: شركناهم فيما نحن فيه فأرادوا الاستبداد به علينا. وعند ابن إسحاق: فقال عبدالله بن أُبي: (أَقَد فعلوها؟ نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أَعُدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك). أراد ابن سلول أن يلقي هذا الخاطر في نفوس الأنصار، بذرًا للفتنة وإحداثًا للفرقة والشقاق بينهم وبين إخوانهم المهاجرين.

- (ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ): قالها علىٰ سبيل الكبر وسوء الأدب، أي: أنهم إذا رجعوا للمدينة ليخرجن الفريق الأعز -يعني نفسه ومن معه من المنافقين- الفريق الأذل -يعني رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين- فأنزل الله في ذلك قرآنًا يفضح سرائرهم ويرد علىٰ مقولة هذا المنافق فقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

- (دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه): فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم والحكمة وقوة الرأي وصحة النظر، وفيه: ترك بعض الأمور المختارة والصبر علىٰ بعض المفاسد خوفًا من أن تترتب علىٰ ذلك مفسدة أعظم منه، وكان ﷺ يتألف الناس، ويصبر علىٰ أذىٰ المنافقين وجفاة الأعراب وغيرهم لتقوىٰ شوكة المسلمين، وتتم دعوة الإسلام.

- (ثم إن المهاجرين كثروا بعد): هذا مما يؤيد تقدم القصة، وأنها كانت بغزوة بني المصطلق كما سماها ابن إسحاق، ويوضح وَهْمَ من قال: أنها كانت بغزوة تبوك، لأن المهاجرين حينئذٍ كانوا كثيرًا جدًّا، حيث انضم إليهم مسلمة الفتح، فكانوا أكثر من الأنصار، والله أعلم.

• بابٌ: لا تسبوا الدَّهر

- حديث الباب فيه النهي عن سبِّ الدهر، والنهي فيه للتحريم، وعلة التحريم قوله تعالىٰ: (وأنا الدَّهر) أي: أنا صاحب الدَّهر، ومدبر الأمور التي ينسبونها إلىٰ الدَّهر، فمن سبَّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلىٰ ربه ﷻ الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمانٌ جُعل ظرفًا لمواقع الأمور.

فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟! أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**. (وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ).

بَابٌ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ

١٢٩٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **قَالَ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ (بِيَدِي الْأَمْرُ)، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**.

بَابُ تَحْرِيمِ إِشَارَةِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ*

١٢٩٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ؛ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**(٢).

بَابُ الْأَخْذِ بِنُصُولِ النَّبْلِ*

١٢٩٤ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا**(٣)؛ **أَنْ يُصِيبَ**

= وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ الْقَوَدَ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا**.

- ٧٣ -

- من نسب شيئًا من الأفعال إلىٰ الدهر حقيقة كفر، ومن جرىٰ هذا اللفظ علىٰ لسانه غير معتقدٍ لذلك فليس بكافر، لكنه يكره له ذلك لشبهه بأهل الكفر في الإطلاق.

• باب تحريم إشارة المسلم على أخيه بالسلاح

- والجزم بالتحريم في الترجمة دليله قوله ﷺ: (فيقع في حفرة من النار) وهو كناية عن وقوعه في المعصية التي تُفضي به إلىٰ دخول النار.

- في الحديث النهي عما يفضي إلىٰ المحذور، وإن لم يكن المحذور محققًا، سواءً كان ذلك في جدٍّ أو هزل، وعند مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: (الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلىٰ الآخر بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه) واستحقاق اللعن هنا لمن كانت إشارته تهديدًا وإن كان هزلاً لما أدخله علىٰ أخيه من الروع، ولا يخفىٰ أن إثم الهازل دون إثم الجاد.

• باب الأخذ بنصول النَّبل

- (فليمسك عن نصالها): ليس المراد خصوص ذلك، بل يحرص أن لا يصيب مسلمًا بوجه من الوجوه كما دل عليه التعليل بقوله: (أن يصيب أحدًا من المسلمين منها شيء).

الفوائد

– حديث الباب فيه تحريم قتال المسلم وقتله، والنهي الشديد عن التعرض له بما يؤذيه، وتحريم تعاطي الأسباب المفضية إلىٰ أذيته بكل وجه، وفيه دليل لقاعدة سد الذرائع.

– وفيه إرشاد للذي يمر في المسجد أو السوق ونحوهما ومعه ما قد يؤذي المسلمين أن يحتاط في حمله له، وفيه وعظ من لمن يتعمد ضرر المسلمين وإيذائهم بغير حق، وفيه اجتناب كل ما يخاف منه ضرر علىٰ النفس أو الغير.

• **باب قول النبي ﷺ: «من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة»**

– حديث الباب فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة علىٰ أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم.

– **(فأيما مؤمن سببته)**: ولمسلم من حديث أنس رضي الله عنه: (فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل) وفيه تقييد لفظ حديث الباب بوصف الإيمان في قوله: (فأيما مؤمن) يبين أن المراد بقوله في حديث أنس رضي الله عنه: (من أمتي) أي أمة الإجابة، وإلا فقد دعا ﷺ علىٰ الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة لهم.

وقوله: (ليس لها بأهل): فيه أنه إنما يكون دعاؤه عليه قربة وزكاة ورحمة إذا لم يكن أهلًا للدعاء عليه، فيتبين من مجموع الروايات أنه يشترط لتحصيل الفضل الوارد أن يكون مسلمًا، وألا يكون مستحقًّا للعن أو السَّب.

– واستُشكل: كيف يدعو النبي ﷺ أو يسب من ليس أهلًا لذلك؟

وأُجيب من وجهين: الأول: أنه ليس أهلًا في باطن الأمر، وإلا فهو في الظاهر أهل ومستوجب له، ويظهر ذلك للنبي ﷺ بعلامة شرعية وهو مأمور بالحكم بالظاهر.

الثاني: أن ما يقع من السب أو الدعاء هو ما قد يكون مما يجري علىٰ ألسنة العرب وغير مراد معناه حقيقة مثل: تربت يمينك، وعقرىٰ حلقىٰ ونحو ذلك، وخاف النبي ﷺ أن يوافق ساعة إجابة فاشترط علىٰ ربه، وكان ذلك يقع منه نادرًا.

أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ[١].

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ آذَيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»

١٢٩٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ[٢] فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ[٣] فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ[٤] يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٥]**.



(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَاللهِ مَا مُتْنَا حَتَّى سَدَّدْنَاهَا بَعْضُنَا فِي وُجُوهِ بَعْضٍ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ**.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً**. وَفِي رِوَايَةٍ: **وَأَجْرًا**. وَفِي رِوَايَةٍ: **وَرَحْمَةً**. وَفِي رِوَايَةٍ: **كَفَّارَةً لَهُ**.

(٥) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: دَخَلَ عَلَيهِ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ؟ قَالَ: **وَمَا ذَاكِ؟** قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا. قَالَ: **أَوَمَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟...**

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، فَرَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **آنْتِ هِيَهْ! لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ**. فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي! فَالْآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا. أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي. فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟** فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: **وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟** قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا! قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ؛ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا، وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**.

ـ ٧٤ ـ

– في الحديث جميل خلقه ﷺ، وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالخير والتكريم، وهذا كله في حقّ معيَّن في زمنه واضح، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معين حتىٰ يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ فلا يشمله، والله أعلم.

كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ

بَابٌ: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١٢٩٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**(١).

بَابٌ: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ، وَلَا يُسْلِمُهُ

١٢٩٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ(٢)، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾

١٢٩٨ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ اللهَ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: **اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا** ـ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ، **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ.**

وَفِي رِوَايَةٍ: **وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.**

ـ ٧٥ ـ

كتاب المظالم والغصب

الفوائد

• بابٌ: الظلم ظلمات يوم القيامة

– أورد فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا اللفظ من غير مزيد، وقد رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما وزاد في أوله: (يا أيها الناس، اتقوا الظلم) وفي رواية: (إياكم والظلم).

– **(الظلم ظلمات..)**: هو على ظاهره، فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلًا، قال ابن الجوزي: وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة في القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى، اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئًا ا.هـ.

– والظلم له صور أعظمها وأخطرها هو الشرك بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان] وهو أظلم الظلم لذلك عواقبه وخيمة، فلا يغفره الله لمن مات ولم يتب منه، وقد أجمع العلماء على أن الشرك الأكبر لا يغفر، واختلفوا في الأصغر والجمهور على أنه يكون تحت مشيئة الله تعالى وهو الأقرب.

وظلم الإنسان لنفسه بالذنوب والآثام قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢].

وظلم الإنسان للخلق، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير منه بشدة؛ لأن حقوق العباد مبناها على المشاحة والمطالبة، والقصاص فيها يوم القيامة بالحسنات والسيئات.

– ومن أكبر أسباب الظلم: الجهل، والهوى، والشيطان، والطمع في حطام الدنيا، والنفس الأمارة بالسوء، والغفلة عن يوم الجزاء يوم تنصب الموازين، وتُنشر الدواوين، وتعظم حسرة الظالمين الغافلين عن يومٍ يقوم فيه الناس لرب العالمين، نسأل الله السلامة والعافية.

• بابٌ: لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه

– **(المسلم أخو المسلم)**: هذه أخوة الإسلام والتي من حقوقها أن يتعامل المسلم مع أخيه المسلم معاملة الأخ في النسب من المودة والشفقة، والرفق والملاطفة، والتعاون في الخير، ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.

– **(لا يظلمه)**: هو خبر بمعنى الأمر، والأمر هنا للوجوب، فإن ظلم المسلم للمسلم حرام؛ لما ورد من الوعيد على الظلم في القرآن والسنة.

– **(ولا يُسْلمه)**: أي: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخصُّ من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبًا، أو مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال.

– **(ومن فرَّج عن مسلم كربة..)**: وفيه فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه، وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، أو مشورته ورأيه ودلالته.

– **(ومن ستر مسلمًا..)**: والذي يظهر أن الستر المندوب هنا محلُّه في معصية قد انقضت ولا يتعلق بها حق من حقوق المخلوقين، وهذا لا يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، أو رفع أمره إلى الحاكم إذا لم ينزجر عن معصيته.

– وفيه إشارة إلى ترك الغيبة؛ لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره.

– قال النووي: وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأيتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة.

– وفي الحديث حض على التعاون، وحسن التعاشر والألفة، وفيه أن المجازاة تقع من جنس الطاعات، وأن من حلف أن فلانًا أخوه وأراد أخوة الإسلام لم يحنث.

• باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾

– الأخذ هو العقاب المُباغت السريع أي: ومثل ذلك الأخذ والإهلاك للظالمين السابقين، يكون أخذ ربك وعقابه لكل ظالم يأتي بعدهم وينهج نهجهم.

لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

بَابٌ: أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

١٢٩٩ ـ (عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **تَحْجُزُهُ ـ أَوْ تَمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**(١).

بَابٌ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ*

١٣٠٠ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ (وَفِي رِوَايَةٍ: فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ) قَالَ: **لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ** ـ. ثُمَّ (قَنَّعَ رَأْسَهُ)(٢) وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ.

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه بِمَعْنَاهُ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: زَجَرَ.

ـ ٧٦ ـ

المفردات

- **ليُملِي للظالم**: أي: يُمهلُه.
- **لم يُفْلِته**: أي: لم يُخلِّصْه.
- **أَجَاز الوادي**: أي: قطعه.

الفوائد

- **(ليملي للظالم)**: فيه وجوب الحذر من الظلم، وعدم الاغترار بإمهال الله وإنظاره، فالله ﷻ من حكمته البالغة أنه يمهل الظالم، فيتابع ظلمه ويزداد، ويسمع به القريب والبعيد؛ لتزداد به العبرة، فكلما ارتفع الظالم وعلا كان ذلك أبين لسقوطه والاعتبار به، وهذا من استدراج الله ومكره بالظالمين قال تعالىٰ: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[الأعراف:١٨٣] فإذا بلغ الغاية في الظلم أخذه الله بغتة فيكون عبرة لمن يعتبر، وآية علىٰ قدرة الله وعزته، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين.

• **باب: أعِن أخاك ظالمًا أو مظلومًا**

- ترجم بلفظ الإعانة، وأورد الحديث بلفظ النَّصر، فأشار إلىٰ ما ورد في بعض طرقه من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: (أعِن أخاك ظالمًا أو مظلومًا) أخرجه ابن عدي، وأبو نعيم في المستخرج من الوجه الذي أخرجه منه البخاري بهذا اللفظ، والنصرة في كلام العرب هي المعونة فإعانته هي نصره.

- **(انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)**: وهذا من حق الأخوة في الدين، فأما المظلوم فلا شك أن إعانته وتخليصه ممن ظلمه نصر له وأن ذلك مطلوب، وهذا ظاهر.

وأما الظالم فقد بيَّن النبي ﷺ أن نصرته هي كفه عن ظلمه، لأن ظلمه وتعديه علىٰ غيره سبب في حصول الإثم له، ووقوعه في الوعيد، واستحقاق العقوبة في الدنيا والآخرة إن لم يتجاوز الله عنه، فكفه عن ظلمه تخليص له من كل هذه البلايا، ونجاة له من الهلكة.

• **باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم**

- حديث الباب فيه الحث علىٰ المراقبة، والزجر عن السكنىٰ في ديار المعذبين، والإسراع عند المرور بها، وقد أُشير إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[إبراهيم:٤٥].

- **(لا تدخلوا)**: كان هذا النهي لما مروا مع النبي ﷺ بالحِجْر ديار ثمود في حال توجههم إلىٰ تبوك، وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد في فيهم، وهذا النهي للتحريم للوعيد الذي ورد فيه.

- **(أن يصيبكم)**: أي: خشية أن يصيبكم، ووجه هذه الخشية: أن البكاء يبعثه علىٰ التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوالٍ توجب البكاء من تقدير الله تعالىٰ علىٰ أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم، وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلىٰ مثل ذلك.

فمن مرَّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارًا بأحوالهم فقد شابههم في إهمال عقولهم فيما يوجب الإيمان والطاعة، ومقابلة نعمة الله بالكفر، ودل ذلك علىٰ قساوة قلبه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلىٰ العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم.

- **(إلا أن تكونوا باكين)**: ليس المراد الاقتصار في ذلك علىٰ ابتداء الدخول، بل دائمًا عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه من باب أولىٰ.

- **(فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا)**: فيه النهي عن استعمال مياه آبار الحجر إلا بئر الناقة، وفيه أنه لو عجن منها عجينًا أو طُبخ منها طعامًا لا يأكلوه وأن يعلفوه الدواب، وفيه جواز علف الدابة طعامًا منع منه الآدمي شرعًا، وفيه رد علىٰ من قال أن رسول الله ﷺ مر بمنازل ثمود ولم ينزلها.

بَابُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ؟

١٣٠١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ،) إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ[(١)].

بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١٣٠٢ ـ (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه)، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، (حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا)[(٢)].



(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ.

المفردات

- **من كانت له مَظْلَمة لأخيه**: أي: من كانت عليه مظلمة لأخيه.
- **من عِرْضِه أو شيء**: أي: من الأشياء، وهو من عطف العام علىٰ الخاص، فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتىٰ اللطمة ونحوها.
- **فيتقاصُّون**: من القصاص، والمراد به تَتَبُّع ما بينهم من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض.
- **إذا نُقُّوا**: من التنقية – وهذِّبوا: أي: خُلِّصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض.

الفوائد

• **باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلَّلَها له هل يبيِّن مظلمته؟**

- **(هل يبيِّن مظلمته)**: قال الخطابي: إذا وقع التحليل من حقوق المال، فإنما يصحُّ ذلك في أمر معلوم، يقف عليه المستحلُّ منه، فإن كان مجهولًا لم يصح التحليل. وقال بعض العلماء: إنما يصح ذلك في المنافع التي هي أَعْراضٌ، مثل أن يكون قد غصبه دارًا فسكنها، أو دابة فركبها، أو ثوبًا فلبسه، أو كانت أعيانًا فتلفت، فإذا تحلله منها صح التحليل فيها، فإن كانت الدار قائمة والدراهم في يده حاصلة لم يصح فيها التحليل إلا أن يهب أعيانها له، فتكون هبة مستأنفة ا.هـ.

- أما إن كانت المظلمة في الأعراض كالغيبة والقذف، فاختلف العلماء في وجوب تبليغ المقول فيه، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا يُشترط إعلامه بما نال من عرضه وقذفه واغتيابه، إذا لم يبلغه ذلك، ويكتفي بتوبته بينه وبين الله، وأن يذكر المقذوف أو المغتاب في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره، فيبدل ذمه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، ويستغفر له بقدر ما نال من عرضه؛ لأن إعلامه مفسدة محضة لا تتضمن مصلحة، فقد يؤدي إلىٰ حزنه وغمه، وربما كان سببًا للعداوة فلا يصفو له أبدًا، وهذا ضد مقصد الشارع من تأليف القلوب والتراحم والتعاطف والتحابب.

- والفرق بين المظلمة في الأعراض وبين الحقوق المالية وجنايات الأبدان أنه إذا أعلمه بحقه من الأموال قد ينتفع بها إذا رجعت إليه، فلا يجوز إخفاؤها، فإنها محض حقه، وربما فرح بها، بخلاف ما إذا أُعلم بما مُزق به عرضه من القذف أو الغيبة ونحوهما.

- **(فليتحلَّلْه منه)**: أي: يقطع دعواه عنه، فيما ناله من الضرر، ولحقه من الأذىٰ في نفسه أو ماله أو عرضه، وذلك لأن ما حرمه الله لا يمكن تحليله له وإباحة المحظور منه في حق الدين، ويبقىٰ ما بينه وبين الله فيلزمه التوبة.

- **(أخذ من سيئات صاحبه)**: وقد أخرج مسلم معناه من وجه آخر، ولفظه: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا..) الحديث، ولا تعارض بين ذلك وبين قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[النجم:٣٨] لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه، فقوبلت الحسنات بالسيئات علىٰ ما اقتضاه عدل الله تعالىٰ في عباده.

- والمراد بالحسنات: الثواب عليها، وبالسيئات: العقاب عليها، وقد استشكل إعطاء الثواب وهو لا يتناهىٰ، في مقابلة العقاب وهو متناه، وأجيب: بأنه محمول علىٰ أن الذي يعطاه صاحب الحق من أصل الثواب ما يوازي العقوبة علىٰ السيئة، وأما ما زاد علىٰ ذلك بفضل الله عز وجل يبقىٰ لصاحبه.

- في الحديث التحذير من ظلم العباد، والحث علىٰ التوبة من الظلم، والتحلل من المظالم، والمسارعة إلىٰ أداء حقوق العباد وإبراء الذمة منها، وفيه أن القصاص يوم القيامة في حقوق العباد إنما هو بالحسنات والسيئات، وفيه بيان إفلاس الظالمين يوم القيامة بسبب جنايتهم وظلمهم، وفيه بيان تمام عدل الله عز وجل، وفيه تسلية للمظلومين الضعفاء بأن حقوقهم وإن ضاعت في الدنيا فلن تضيع في الآخرة، وفيه معنىٰ يوم الدين.

• **باب القصاص يوم القيامة.**

- **(إذا خَلَص المؤمنون من النار)**: أي: نجوا من السقوط فيها بعدما جاوزوا الصراط. قال القرطبي: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم ا.هـ.

قال ابن حجر: ولعل أصحاب الأعراف منهم، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله ا.هـ.

- **(حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون..)**: قيل هي تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل هما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي، وفيه بيان عدل الله عز وجل بين عباده.

- **(أدلُّ بمنزله كان في الدنيا)**: أي: يهتدون إليها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلوا عليها أحدًا، وفيه بيان فضل أهل الجنة وهداية الله لهم وإنعامه عليهم. نسأل الله الكريم من فضله.

كِتَابُ الْقَدَرِ

بَابُ مَنِ احْتَجَّ بِالقَدَرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ*

١٣٠٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى[١]، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا[٢]، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ! ـ وَفِي رِوَايَةٍ: بِذَنْبِكَ. (وَفِي رِوَايَةٍ: أَشْقَيْتَ النَّاسَ!) ـ قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى! اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، (وَفِي رِوَايَةٍ: وَاصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ)، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ[٣]، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟[٤] فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى. (ثَلَاثًا)[٥].

بَابٌ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ

١٣٠٤ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: عِنْدَ رَبِّهِمَا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا.
وَفِي رِوَايَةٍ: أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ: فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟.

(٥) وَلِمُسْلِمٍ: مَرَّتَيْنِ.

- ٧٨ -

كتاب القدر

المفردات

- خَيَّبْتَنا: من الخيبة، والمراد به: الحرمان والخسران.
- فَحَجَّ آدمُ موسى: أي: غلبه بالحُجة.

الفوائد

• باب من احتج بالقدر على المصيبة

- الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وسبيل معرفة هذا الباب هو التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالىٰ اختُص به العليم الخبير لما علمه من الحكمة، والإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة علىٰ أربعة مراتب: **الأول:** العلم: وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، **والثانية:** الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ، **والثالثة:** مرتبة الإرادة والمشيئة: وهي الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون هو بمشيئة الله، لا يخرج عن إرادته شيء، **والرابعة:** الخلق: وهي الإيمان بأن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد.

- (خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة): أي كنت سبب خيبتنا وإغوائنا بالخطيئة التي ترتب عليها إخراجك من الجنة، ثم تعرضنا نحن لإغواء الشياطين، وفيه جواز إطلاق الشيء علىٰ سببه، وفيه ذكر الجنة وهي موجودة من قبل آدم، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

- (وخطَّ لك بيده): ولمسلم: (وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًّا) أي: اختصك وآثرك بذلك، أشار بذلك إلىٰ أنه اطلع علىٰ عذره، وعرفه بالوحي، فلو استحضر ذلك ما لَامَه مع وضوح عذره مما جرىٰ به القدر.

- وفيه إشارة إلىٰ أن هذا الذنب الذي يلومه عليه هو سبب هذا الاصطفاء؛ لأنه ترتب علىٰ أكله من الشجرة وخروجه من الجنة هو وذُريته وجود من يجاهر بالكفر كفرعون، الذي أُرسل إليه موسىٰ، فاصطفاه الله وفضَّله علىٰ الناس برسالاته وبكلامه، فكأنه يقول له: إن كنت أنا السبب في حصول هذه الفضائل لك فكيف يسوغ لك أن تلوموني؟.

- (قدَّره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة): هذا هو الشاهد للباب، والأقرب: أن المراد: كتبه في التوراة؛ لرواية مسلم: (فكم وجدته كتب في التوراة قبل أن أُخلق؟) وليس المراد أصل الكتابة لما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عمرو ﷺ مرفوعًا: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء).

- قال النووي: المراد بتقديرها كَتْبُه في اللوح المحفوظ أو في التوراة، أو في الألواح، ولا يجوز أن يُراد أصل القدر؛ لأنه أزلي، ولم يزل الله ﷻ مُريدًا لما يقع من خلقه.

- (فحجَّ آدم موسى): قال القرطبي: إنما غلبه بالحجة؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه، وفيه مشروعية الحجج في المناظرة لإظهار طلب الحق، وإباحة التوبيخ والتعريض في أثناء الحجاج ليُتوصل إلىٰ ظهور الحجة، وأن اللّوم علىٰ من أَيْقَن وعلم أشدُّ من اللوم علىٰ من لم يحصل له ذلك.

- وفيه مناظرة العالم من هو أكبر منه، والابن أباه، ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق، أو الازدياد من العلم، والوقوف علىٰ حقائق الأمور، وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد، وفيه جواز الاحتجاج بالقدر علىٰ المصيبة.

- وفيه حجة لأهل السنة أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ هي جنة الخلد التي وعد المتقون أن يدخلوها في الآخرة، خلافًا لمن قال من المعتزلة أنها جنة أخرىٰ.

• بابٌ: جفَّ القلم على علم الله

- (جفَّ القلم): إشارة إلىٰ ما ورد عند مسلم من حديث جابر ﷺ ولفظه: (أفيما جفت به الأقلام) قال النووي: أي مضت به المقادير وسبق علم الله تعالىٰ به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ وجفَّ القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان.

وقال: وكل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلىٰ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥] والله أعلم ا.هـ.

الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: **كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ**(١).

بَابٌ: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ*

١٣٠٥ ـ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ(٢)، ثُمَّ قَالَ: **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ: ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا**. وَفِي رِوَايَةٍ: **اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** ـ، **أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُون لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْآيَةَ. وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: **لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ** ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: **لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ.

ـ ٧٩ ـ

المفردات

- **مِخْصَرَةٌ**: هي عصًا أو قضيب يُتوكأ عليه، وسُميت مِخْصَرة؛ لأنها تُحمل تحت الخصر.
- **فَنَكَّس**: أي: خفض رأسه وطأطأ إلىٰ الأرض علىٰ هيئة المهموم.
- **يَنْكُت بمخصرته**: أي: يخط بها خطًّا يسيرًا مرة بعد مرة.
- **مَنْفُوسَة**: أي: مخلوقة.

الفوائد

- **(فلمَ يعمل العاملون؟)**: أي: إذا سبق القلم بذلك، فلا يحتاج العامل إلىٰ العمل؛ لأنه سيصير إلىٰ ما قُدِّر له.
- **(كُلٌّ يعمل لما خُلق له)**: أي: كلٌّ ميسر لما خلق له لا يقدر علىٰ غيره، وفيه إشارة إلىٰ النهي عن ترك العمل، والاتكال علىٰ ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع، وفيه دليل لأهل السنة والجماعة علىٰ إثبات القدر.
- حديث الباب فيه إشارة إلىٰ أن المآل محجوب عن المكلف، فعليه أن يجتهد في عمل ما أُمر به، فإن عمله أمارةٌ إلىٰ ما يؤول إليه أمره غالبًا، وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك، كما ثبت في حديث ابن مسعود ﷺ وغيره، لكن لا اطلاع له علىٰ ذلك، فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة، ولا يترك وكولًا إلىٰ ما يؤول إليه أمره فيلام علىٰ ترك المأمور، ويستحق العقوبة، وقد ترجم عليه ابن حبان: (باب ما يجب علىٰ المرء من التشمير في الطاعات، وإن جرىٰ قبلها ما يكره الله من المحظورات).

• **بابٌ: كل مُيسر لما خُلق له**

- **(فقعد فقعدنا حوله)**: فيه جواز القعود عند القبور، والتحدث عندها بالعلم والموعظة.
- **(أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟)**: أي نعتمد علىٰ ما قُدِّر علينا، ونترك مشقة العمل؟.
- **(اعملوا..)**: أي: الزموا ما يجب علىٰ العبد من العبودية، ولا تتصرفوا في أمر الربوبية. قال الخطابي: أرادوا أن يتخذوا ما سبق حجة في ترك العمل، فأخبرهم أن هناك أمرين لا يطل أحدهما الآخر: باطنٌ وهو ما اقتضاه حكم الربوبية، وظاهر وهو السِّمة اللازمة بحق العبودية، وهو أمارة للعاقبة، فبيَّن أن العاجل يظهر أثره في الآجل، وأن الظاهر لا يُترك للباطن، ونظير ذلك الرزق مع الأمر بالكسب، والأجل مع الإذن بالمعالجة ا.هـ.
- **(ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[الليل:٥].. الآية)**: فيه توضيح وبيان سبب الكتابة، وقراءة النبي ﷺ لهذه الآيات بعد حديثه عن الكتابة السابقة يصحح التصور الذي نشأ عند الصحابة ﷺ بأن الكتابة السابقة تُفيد الجبر، ففي الآيات أن الذي يسره الله لليسرىٰ كان جزاء أنه أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ، وعكسه الذي يسره للعسرىٰ إنما كان ذلك بسبب تكذيبه وجرمه، وليس الكتابة السابقة، فالكتابة سبقت العمل ولكنها ليست هي الدافع للعمل؛ لأنها كانت بسابق علم الله تعالىٰ بأفعال عباده واختيارهم.

- في الحديث أصل لأهل السنة أن السعادة والشقاء بتقدير الله القديم، وفيه رد علىٰ الجبرية؛ لأن التيسير ضد الجبر؛ لأن الجبر لا يكون إلا عن كُره، ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير إلا وهو راغب فيه غير كاره له.
- وفيه دليل علىٰ خلق الله تعالىٰ لأفعال عباده كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩] ويدخل في عموم شيء أفعال العباد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٦٩].

وهذا لا يمنع أن للعباد عملًا ومشيئة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٩] وعلىٰ هذه المشيئة والعمل الذي يعمله العبد باختياره يُحاسب ويُجازىٰ، فعلىٰ العبد أن يبذل جهده في اتخاذ الطريق الصحيح، ويلزم شرع الله أمرًا ونهيًا، ويأخذ بأسباب التوفيق والفلاح في أمور دينه ودنياه، ولا يتكل علىٰ ما سبق به القدر؛ لأن الله تعالىٰ قَدَّر علىٰ عباده ما سبق به علمه أنهم سائرون إليه من خير أو شر بمشيئتهم واختيارهم، فلا جبر ولا إكراه كما يقول الجبرية؛ لأن ذلك خلاف مقتضىٰ عدل الله ورحمته بعباده، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

بَابٌ: الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ*

١٣٠٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: **إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ**(١)، **ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ**(٢)، **ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**(٣).

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﵁: **وَكَّلَ اللهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، نُطْفَةٌ. أَيْ رَبِّ، عَلَقَةٌ. أَيْ رَبِّ، مُضْغَةٌ. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**(٤).

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ﵁: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﵁ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ. فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ ﵁، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: =

- ٨٠ -

المفردات

- **عَلَقَة**: العلقة هي الدم الجامد الغليظ، سميت بذلك لعلوقها بالرحم.
- **مُضْغَة**: المضغة: قطعة اللَّحم، سُميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ.
- **كَلِمَات**: المراد: القضايا المقدَّرة.
- **إلا ذِرَاع**: المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته، فيُحال بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع من المسافة، وضابط ذلك الحِسِّي الغرغرة التي جُعلت علامة لعدم قبول التوبة.
- **فَيَسْبِقُ عليه الكتاب**: أي: الكتاب الأول من اقتضاء السعادة أو الشقاوة، والمراد: يتحقق مقتضىٰ المكتوب.

الفوائد

• **باب: الأعمال بالخواتيم**

* **حديث عبدالله بن مسعود** ﵁:

– **(الصادق المصدوق)**: أي: الصادق في قوله، المصدوق فيما وعده به ربه، وفيه أدب للمعلم أن يهيئ العلم لطالبه؛ لأن هذا الحديث فيه شيء غيبي لا يُدرك بالحس، وإنما يُدرك بالتسليم بالخبر لصدق المُخبِر به.

– **(يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا)**: وعند أبي عوانة: (نطفة) بين قوله (أحدكم) وقوله: (أربعين) فبيَّن أن الذي يُجمع هو النطفة، والمراد بالنطفة ماء الرجل وماء المرأة.

– **(ثم يكون علقة مثله)**: ولمسلم في رواية: (ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك) أي: أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين، ثم تنقلب إلىٰ الصفة التي تليها، ويُحتمل أن يكون المراد يصيرها شيئًا فشيئًا حتىٰ تتكامل علقة في أثناء الأربعين، ثم يخالطها اللحم شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تشتد فتصير مضغة، ولا تُسمىٰ علقة قبل ذلك ما دامت نطفة، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة.

– **(رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد)**: رزقه: تقديره قليلًا أو كثيرًا، وصفته حرامًا أم حلالًا؟ وأجله: تقديره طويلًا أم قصيرًا؟ عمله: هل هو صالح أم فاسد؟.

– ويكتب لكل أحد إما السعادة وإما الشقاء، وظاهر الحديث أنها الكتابة المعهودة في صحيفته، ووقع ذلك صريحًا في رواية لمسلم من حديث حذيفة بن أَسِيد ﵁: (ثم تطوىٰ الصحيفة فلا يُزاد فيها ولا يُنقص).

– **(ثم ينفخ فيه الروح)**: حديث الباب بجميع طرقه يدل علىٰ أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يومًا في ثلاثة أطوار، كل طور منها في أربعين، ثم بعد تكملتها يُنفخ فيه الروح، وقد ذكر الله تعالىٰ هذه الأطوار الثلاثة من غير تقييد بمدة في عدة سور منها في الحج. قال النووي ﵀: واتفق العلماء علىٰ أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ا.هـ.

– ولمسلم من حديث عامر بن واثلة ﵁: (إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة –وفي رواية أربعون ليلة– بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها..) ويُجمع بينه وبين حديث ابن مسعود ﵁ أن التصوير المذكور بالأربعين الأولىٰ هو تصوير خفي لا يُدرك بالحس، ثم يكون هذا التصوير بعد الأربعين الأولىٰ في أطوار طوراً بعد طور، وتقع الكتابة والتقدير في أثناء ذلك لا بعد الأربعين الثالثة، وهذا الجمع بين الأحاديث، والله أعلم.

– **(فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار)**: ظاهره أنه يعمل بعمل أهل الجنة حقيقة ثم يُختم له بعمل أهل النار، وهذا خلاف مقتضىٰ عدل الله ورحمته، ويبيِّن الحديث ويوضحه حديث سهل بن سعد ﵁ في الصحيحين وفيه: (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس) قال ابن رجب الحنبلي: قوله: (فيما يبدو للناس) إشارة إلىٰ أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت. وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار، وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة ا.هـ.

– في الحديث: الحث علىٰ الاستعاذة بالله من سوء الخاتمة، وفيه الحث علىٰ القناعة، والزجر الشديد عن الحرص، لأن الرزق مقدر وإنما شرع الاكتساب وبذل الأسباب، وفيه أن الأعمال سبب لدخول الجنة أو النار.

بَابُ مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِنَ الزِّنَا

١٣٠٧ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ[1]، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ.

بَابٌ: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾

١٣٠٨ ـ (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ)[2].

= أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ـ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا، وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ ـ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَجَلُهُ! فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، رِزْقُهُ! ـ وَفِي رِوَايَةٍ: مَا خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ـ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً...، وَفِيهَا: وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا.

(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.

ـ ٨١ ـ

الفوائد

• باب ما كَتَبَ اللهُ على ابن آدم من الزنا

- (ما رأيت شيئًا أشبه باللَّمم..): يشير إلىٰ معنىٰ اللَّمم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾[النجم:٣٢] ويستفاد من الآية أن اللَّمم هو مقارفة الذنوب الصغائر، وأنه يُكفَّر باجتناب الكبائر.

قال النووي: وفسره ابن عباس رضي الله عنهما بما في هذا الحديث من النظر واللمس ونحوهما، وهي كما قال، هذا هو الصحيح في تفسير اللَّمم ا.هـ. قال ابن حجر: ومحصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما تخصيصه ببعضها، ويحتمل أن يكون أراد من ذلك جملة اللَّمم، أو في حكم اللَّمم ا.هـ.

- قال ابن القيم رحمه الله: الذنوب تنقسم إلىٰ صغائر وكبائر، بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف، والاعتبار ا.هـ.

- والكبائر: هي الذنوب التي نهىٰ عنها الشارع نهيًا جازمًا، ورتب عليها عقوبة في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما معًا، وكل ما هو دون ذلك فهو من الصغائر، ويدخل فيه ما لا يكاد ينحصر من الذنوب.

- اتفق العلماء علىٰ أن الصغائر تُكفر بالصلوات الخمس، والصوم، والحج، وأداء الفرائض، وأعمال البر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود:١١٤]؛ ولحديث أبي هريرة في الصحيحين: (الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) وأما الكبائر فلابد لها من توبة، فإن مات صاحب الكبيرة ولم يتب منها، فمصيره إلىٰ الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة.

- (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا): فيه أن الله كتب أفعال العباد خيرها وشرها، وفيه دليل لأهل السنة والجماعة في إثبات القدر، وليس فيه الاحتجاج بالقدر علىٰ المعصية؛ لأن كل ما كتبه الله ﷻ علىٰ الآدمي فهو قد سبق في علم الله ﷻ، ولابد أن يدركه المكتوب عليه، إلا أنه يُلام إذا واقع ما نُهي عنه بحجب ذلك عنه، وتمكينه من التمسك بالطاعة؛ فبذلك يندفع قول القدرية، والجبرية، ويؤيده قوله: (والنفس تمني وتشتهي)؛ لأن المشتهي بخلاف المُلجأ.

- في الحديث الحث علىٰ التوبة من هذه الذنوب والحذر منها؛ لأن الاسترسال في هذه الذنوب قد يؤدي به إلىٰ الهلاك، والوقوع في الفاحشة عياذًا بالله تعالىٰ.

- الحديث ليس حجة لمن يستهين بالصغائر ويحتقرها؛ لأن الصغيرة قد يقترن بها من قلة الحياء، والجرأة، وقلة الخوف من الله ما يلحقها بالكبائر، وهذ أمر مرجعه إلىٰ ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد علىٰ مجرد الفعل، وقد يقسو القلب ويعتاد هذه الصغائر حتىٰ يجترئ علىٰ الكبائر، نسأل الله السلامة والعافية.

- (والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه): أي: قد يحقق الزنا بالفرج، وقد لا يحققه، وفيه الحث علىٰ الحذر من مقدمات الزنا ودواعيه؛ لأن التساهل في أسبابه ومقدماته، طريق إلىٰ الوقوع في الزنا الحقيقي الموجب للحد، والموقع في الخزي والعار في الدنيا والآخرة.

• بابٌ: ﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾

- المراد أنه يلقي في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضي ذلك.

- (لا ومقلب القلوب): (لا): نفي للكلام السابق، (ومقلب القلوب): هو المقسم به، قال الراغب: تقليب الله ﷻ القلوب والأبصار: صرفها عن رأي إلىٰ رأي ا.هـ.

وقال البيضاوي: في نسبة تقلب القلوب إلىٰ الله ﷻ إشعار بأنه يتولىٰ قلوب عباده ولا يَكِلُها إلىٰ أحد من خلقه ا.هـ.

- في الحديث الحث علىٰ الدعاء: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك)، وفيه دليل علىٰ أن أعمال القلوب من خلق الله تعالىٰ، وفيه جواز الحلف بصفة من صفات الله، ووجوب الكفارة علىٰ من حلف بذلك فحنث.

- ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن) وفيه إثبات صفة الأصابع لله ﷻ علىٰ حقيقتها وظاهرها، وتفويض العلم بكيفيتها لله ﷻ كباقي صفاته ﷻ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

بَابٌ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ*

١٣٠٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ[١]، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ[٢]، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟ ـ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

بَابُ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ*

١٣١٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ (أَوْلَادِ)[٣] الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ.

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ[٤]!...



(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَيُشَرِّكَانِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَمُسْلِمٌ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: أَطْفَالِ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: مِنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ.

- ٨٢ -

المفردات

- تُنْتَجُ: أي تَلِدُ.
- بَهِيمَةً جَمْعَاءَ: أي: لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها.
- جَدْعَاءَ: الجدعاء: هي المقطوعة الأذن.

الفوائد

• بابٌ: ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة

- (ما من مولود إلا يولد..): وفي رواية عند البخاري: (كل مولود)، وهذا لا يقتضي أن كل مولود يقع له التهويد وغيره مما ذُكر، بل المراد أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضىٰ طبعه، وإنما حصل بسبب خارجي، فإن سَلِم من ذلك السبب استمر علىٰ الحق.

- (يولد على الفطرة): أكثر العلماء علىٰ أن المراد بالفطرة: الإسلام، وأجمع أهل العلم بالتأويل علىٰ أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة رضي الله عنه في آخر حديث الباب: (اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠]) وبحديث عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) الحديث.

- قال ابن القيم: ليس المراد بقوله (يولد علىٰ الفطرة) أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[النحل:٧٨] ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك؛ لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلاً بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد علىٰ إقراره بالربوبية، فلو خُلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلىٰ غيره ا.هـ.

- وقال النووي: معناه: أن كل مولود يولد متهيئًا للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلمًا استمر علىٰ الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه كافرين جرىٰ عليه حكمهما في أحكام الدنيا، وهذا معنىٰ يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أي يحكم له بحكمهما في الدنيا؛ فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم، وإلا مات علىٰ كفره، وإن مات قبل بلوغه، فالأصح أنه من أهل الجنة ا.هـ. (باختصار).

- (فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه): أي: يعلمانه اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، ويجعلانه كذلك، وإنما ذكرت هذه الثلاثة: لأنها أعظم أديان الناس يومئذ، وأكثر الناس تبع لها، فذكرها باعتبار الغلبة والشهرة، ودل بها علىٰ ما سواها من الأديان.

- في الحديث: أنه لا فرق بين ملة من ملل الكفر، وملة أخرىٰ، فالكل سواء في مخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها، وفيه رحمة الله بعباده بأن يسر عليهم الدين الحق بما أودع في فطرتهم من الإقرار بوجود الله ووحدانيته.

- وفيه تقدير الأسباب، وأنها لا تنافي قضاء الله وقدره، وكلٌّ ميسر لما خلق له، وفيه إشارة إلىٰ وجوب العناية بأمر الأطفال منذ الولادة وحفظهم مما قد يؤثر علىٰ فطرتهم من الاعتقادات الباطلة، وأن ذلك من مسؤولية الوالدين ومن في حكمهما ممن يتولون أمرهم عند فقد الوالدين أو غيابهما.

• باب من يموت وهو صغير

* حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

- (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين): ليس فيه تصريح بأنهم في النار، وقد اختلف العلماء في أولاد المشركين، والأقرب أنهم في الجنة فضلًا من الله ورحمه، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥] ا.هـ.

- ويشهد لذلك أيضًا حديث سمرة بن جندب في الصحيحين وفيه: (وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود يولد علىٰ الفطرة) فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال: (وأولاد المشركين)، وهذا دليل صريح في أنهم في الجنة، وقد سبق تفصيله في كتاب الجنائز، والله أعلم.

كِتَابُ الْعِلْمِ

بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ

١٣١١ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ (وَفِي رِوَايَةٍ: يَقِلَّ) الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: وَيَثْبُتَ ـ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، (وَيَقِلَّ)(١) الرِّجَالُ، (وَيَكْثُرَ)(٢) النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ.

١٣١٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، (وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ). . .

بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ؟

١٣١٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ)، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَيَذْهَبَ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: وَتَبْقَى.

- ٨٣ -

كتاب العلم

المفردات

- ويُشْرَب الخمـر: المـراد: كثـرة ذلـك واشتهاره؛ لمـا في روايـة: (ويكثر شرب الخمر).
- ويَظْهَر الزِّنا: أي: يشيع ويشتهر بحيث لا يتكاتم به لكثرة من يتعاطاه.
- أيُّمَ هو؟: أصله: أي شيء هو.

الفوائد

• باب رفع العلم، وظهور الجهل

- المراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة، وهو العلـم المـوروث عن الأنبياء عليهم السلام، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يـذهب العلـم ويفشو الجهل وتظهر البدع، وأما علـم الـدنيا فإنـه في زيـادة، ولـيس هو المراد في الأحاديث.

* حديث أنس رضي الله عنه:

- (مـن أشراط السـاعة): أي: علاماتهـا، وفي إخبـار النبـي ﷺ بأشراط الساعة حث علىٰ الإيمان بها؛ لأنها جزء من المغيبـات التـي أخبر بها ﷺ، وجزء من الإيمان الـذي يتحقـق بـه أجـر المـؤمن، وفي العلم بهـا حـث علىٰ الثبات علىٰ الـدين والعمـل الصـالح والتوبـة، والاستعداد لها، فلا يفقـد المـؤمن اتزانـه النفسي عنـد وقوعهـا، بـل يلزم المنهج النبوي في التعامل معها، فيسلم له دينه ودنياه.
- (أن يُرفع -وفي روايـة: يَقِـلَّ- العلـم): المـراد برفعـه أو قلتـه: موت حملته كما بينه حديث عبدالله بن عمـرو رضي الله عنهما، فيثبـت الجهـل في الناس مما يؤدي إلىٰ انتشـار المعاصي والجـرأة عليهـا وإذاعتهـا وعـدم الاسـتتار بهـا مـن الزنـىٰ وشـرب الخمـر وغـير ذلـك مـن المعاصي والفتن نسأل الله السلامة والعافية.
- فيه أن العلـم الشرعي عصمة للناس من الـذنوب والفتن، وفيـه الحث علىٰ العناية بالعلم الشرعي، وتعليمه وبثه في الناس، وفيـه أن العناية بالعلم الشرعي في آخر الزمان من أعظم الطاعات والقربات، ونوع جهاد، وتصدي للفتن والبدع والمنكرات، وفيـه حـث لطلبـة العلم بالثبات علىٰ طريق الطلب، والحذر مـن الانشغال عـن العلـم بزخرف الدنيا وشهواتها لا سيما في آخر الزمان.
- (ويقل الرجـال ويكـثر النسـاء): قيـل: سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحـرب دون النسـاء، وقيـل: أنهـا علامة محضة لا لسبب آخر بل يقدِّر الله ﷻ في آخر الزمـان أن يقـلَّ من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النسـاء من العلامات مناسب لظهور الجهل ورفع العلم.
- (للخمسين امرأة القيم الواحد): أي مـن يقـوم بـأمرهن، سـواءً كن موطوءات أم لا، ويحتمـل أن يظهر ذلك في آخر الزمـان حيـث ظهور الجهل، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلًا بالحكم الشرعي.

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

- (يتقارب الزمان): قيل: يتقارب من قيام السـاعة، وقيـل: تقـدم البلدان بسبب تقدم وسائل النقل، وقيل بنزع البركة منه، وقيـل: هـو التقارب الحسي، فيمر الوقت سريعًا، ويؤيده مـا رواه الإمـام أحمـد وصـححه الألبـاني مـن حـديث أبـي هريـرة رضي الله عنه مرفوعـًا: (لا تقـوم الساعة حتىٰ يتقارب الزمان، فتكـون السـنة كالشـهر، ويكـون الشـهر كالجمعة، وتكون الجمعـة كـاليوم، ويكـون اليـوم كالسـاعة، وتكـون الساعة كاحتراق السّعفة).
- (ويُلقى الشُّح): والشُّح هو البخل مع الحرص، والمراد إلقاؤه في قلـوب النـاس علـىٰ اخـتلاف أحـوالهم، فيشـح العـالم بعلمـه، والصانع بصنعته فلا يعلـم غيره، والغني بمالـه حتىٰ يهلـك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشح؛ لأنه لم يزل موجودًا.
- أحاديث الباب فيها علم من أعلام النبوة حيث أخبر ﷺ بأمور فوقعت كما أخبر بها.

• بابٌ: كيف يقبض العلم؟

- (لا يقبض العلم انتزاعًا): أي: محـوًا مـن الصـدور، مع جـواز وقوعه في القـدرة إلا أن هـذا الحـديث دل علـىٰ عـدم وقوعـه، وإنمـا يقبض بموت العلماء.
- حديث الباب فيه الحث علىٰ حفظ العلم، وفيه أن الفتوىٰ هـي الرياسة الحقيقية، وذمُّ مـن يقدم عليهـا بغير علـم. وفيـه الزجـر عـن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة.
- استُدل بهذا الحديث علىٰ جواز خلو الزمان عن مجتهد، وهـو قول الجمهور؛ لأنه صريح في رفع العلم بقبض العلماء، وفي تـرئيس الجاهل، وهـذا مـن لازمـه الحكـم بالجهـل، وإذا انتفـىٰ العلـم ومـن يحكم به استلزم انتفاء الاجتهاد والمجتهد.

بَابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

١٣١٤ ـ عَنِ الْمُغِيرَةِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ؛ [١]مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**[٢].

• (وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ: **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**)، وَمَنْ كَذَبَ. . .



(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ: **لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَ...**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ.**

- ٨٤ -

الفوائد

• باب إثم من كذب على النبي ﷺ

– أحاديث الباب فيها تحريم الكذب علىٰ النبي ﷺ، وتحريم رواية ما يُعلم أو يُظن أنه كذب علىٰ النبي ﷺ إلا مع التنبيه عليه، وقد جاء هذا المعنىٰ في أحاديث كثيرة متواترة عن النبي ﷺ تدل علىٰ شدة الوعيد في حق من كذب علىٰ النبي ﷺ، وأن الكذب عليه من الكبائر العظيمة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ كفر من تعمد الكذب علىٰ النبي ﷺ، ولكن الأكثر منهم علىٰ خلاف ذلك ما لم يستحله، فإن استحله كفر بالإجماع، وعلىٰ أقل تقدير فالكذب عليه ﷺ من أكبر الكبائر، لعظم ما يترتب عليه من المفاسد الكثيرة.

* **حديث المغيرة** ﷺ:

– **(إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد)**: أي: غيري، ومعناه أن الكذب علىٰ الغير قد أُلِفَ واستُسهل خطبُه، وليس الكذب عليَّ بالغًا مبلغ ذاك في السهولة، وإن كان دونه في السهولة فهو أشد منه في الإثم.

– قوله (علي) لا مفهوم له؛ لأنه لا يتصور أن يُكذب له؛ لنهيه عن مطلق الكذب.

وقد اغترَّ قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب، وقالوا: نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دَرَوْا أن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية، سواء كان في الإيجاب أو النفي، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه.

– **(فليتبوأ)**: أي: فليتخذ لنفسه منزلًا، وهو أمر بمعنىٰ الخبر، أو بمعنىٰ التهديد، أو بمعنىٰ التهكم، أو دعاء علىٰ فاعل ذلك أي: بوأه الله ذلك. وفيه طول الإقامة في النار لمن تعمد الكذب علىٰ النبي ﷺ، بل ظاهره أنه لا يخرج منها؛ لأنه لم يجعل له منزلًا غيره، إلا أن الأدلة القطعية قامت علىٰ أن خلود التأبيد مختص بالكافرين.

– قال النووي ﷺ: يحرم رواية الحديث الموضوع علىٰ من عرف أنه موضوعًا، أو غلب علىٰ ظنه وضعه، فمن روىٰ حديثًا علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكذابين علىٰ رسول الله ﷺ، ويدل عليه أيضًا قوله: (من حدث عني بحديث يرىٰ أنه كذب فهو أحد الكذابين) ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره أن ينظر؛ فإن كان صحيحًا أو حسنًا قال: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل أو أمر أو نهىٰ وشبه ذلك من صيغ الجزم. وإن كان ضعيفًا فلا يقل: قال أو فعل أو أمر أو نهىٰ وشبه ذلك من صيغ الجزم، بل يقول: رُوي عنه كذا، أو جاء عنه كذا، أو يُروىٰ أو يُذكر أو يُحكىٰ أو يُقال أو بلغنا وما أشبهه ا.هـ.

* **حديث عبدالله بن عمرو** ﷺ:

– **(بلغوا عني ولو آية)**: أي: أخبروا الناس وعلموهم بكل ما جاء عني وبلغتكم به، من قرآن أوسنة، واقتصر هنا علىٰ الآية؛ ليسارع كل سامع إلىٰ تبليغ ما وقع له من الآيات والعلم، ولو كان قليلًا ولو آية واحدة، بشرط أن يبلغ الآية صحيحة علىٰ وجهها.

ولعله لم يقل: حديثًا؛ لأن تبليغ الحديث يفهم هنا بطريق الأولوية؛ فإن الآيات مع انتشارها، وكثرة حملتها، وتكفل الله ﷻ بحفظها واجبة التبليغ، فالحديث أولىٰ بأن يُحدَّث عنه ويُبلَّغ.

– **(وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)**: أي: لا ضَيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كما تقدم منه ﷺ الزَّجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك.

وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لمَا في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

– وقال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا.

– في الحديث الأمر بتبليغ الشريعة ولو بشيء قليل، وفيه مشروعية الإخبار عن بني إسرائيل.

– وفيه الترهيب والتحذير من الكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

كتاب الدعاء

المفردات

- وَتْر: يجوز فتح الواو وكسرها، والوتر: الفرد.
- أَعُوذ: أي: ألتجئ وأعتصم.
- وإسْرافي في أمري كله: الإسراف: مجاوزة الحد في كل شيء.
- وَهَزْلِي: الهزل: ضد الجد.
- وكل ذلك عندي: أي: موجود أو ممكن.

الفوائد

• باب: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

- (مائة إلا واحدا): ليس المراد أن أسماء الله الحسنىٰ محصورة في ذلك العدد، بل هي أكثر من ذلك، ولكن اخْتَصَّت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة، ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود عند الإمام أحمد: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) وهو قول الجمهور، ونقل النووي رحمه الله اتفاق العلماء عليه.

- (لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة): وفي رواية: (من أحصاها) والإحصاء هنا يحتمل وجوهًا: أحدها: أن يعدَّها حتىٰ يستوفيها، ثانيها: أن يطيق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، ثالثها: الإحاطة بمعانيها.

- قال القرطبي: المرجو من كرم الله تعالىٰ أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء علىٰ إحدىٰ هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله تعالىٰ الجنة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين ا.هـ.

- أسماء الله الحسنىٰ أعلام وأوصاف ولا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة، ولا يدخل فيها القياس، ولم يصح عن النبي ﷺ حديث في تعيينها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث ا.هـ.

• باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

- (أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت): فيه جواز الاستعاذة بصفة الله تعالىٰ، والعزة هي المناسبة أن يُستعاذ بها، لأن العزيز هو القادر الغالب الذي لا يُقهر.

- والاستعاذة هي من أفراد الدعاء، والدعاء لا يجوز لغير الله، ولذلك لا تجوز الاستعاذة والالتجاء إلا إلىٰ الله تعالىٰ، فالإنسان ليس له إلا الله؛ لأنه خالقه ومالكه، وليس له من ملجأ سواه؛ لأن كل ما سواه ذليل، وهو العزيز القهار الذي لا غالب له جل جلاله.

كِتَابُ الدُّعَاءِ

بَابُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

١٣١٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رِوَايَةً، قَالَ: لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١٣١٦ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ[1] الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ»

١٣١٧ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي - وَفِي رِوَايَةٍ: وَجِدِّي -، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: أَنْ تُضِلَّنِي؛ أَنْتَ الْحَيُّ...

ـ ٨٥ ـ

- في الحديث: إثبات عدة صفات لله عز وجل منها: العِزَّة، والوحدانية، والألوهية، وأنه الحي الذي لا يموت، وفيه أن الجن يموتون كالإنس، وفيه ضلال الذين يدعون الأموات ويستغيثون ويستعيذون بهم من دون الله، فالدعاء والعبادة بأنواعها لا تكون إلا للحي القيوم الذي لا يموت؛ لأن من يموت ويغيب لا يصلح لذلك؛ لذهوله عن الداعين وعدم علمه بهم، فالأموات لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يغنون عن عابديهم شيئًا: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل:٢١] فلا يستجيبون لهم إلىٰ يوم القيامة وحالهم كما وصفهم الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[الرعد].

• باب قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت»

- حديث الباب فيه استحباب هذا الدعاء، وقد وقع معظم آخره في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقوله في صلاة الليل، ووقع عند مسلم من حديث علي رضي الله عنه: (أنه كان يقوله في آخر الصلاة).

- ولا تعارض بين دعائه ﷺ هذا وبين قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢] لأنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة إذا جاء نصر الله والفتح، أو أنه طلب المغفرة علىٰ سبيل الاستكانة والخضوع والشكر لربه لما علم أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ وليُقتدىٰ به في ذلك.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»

١٣١٨ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١).

بَابُ دُعَاءِ اللهِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ*

١٣١٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللهَ بِهَا؛ لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ (وَفِي رِوَايَةٍ: يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ؛ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ). قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللهُ، فَرَأَوْا السَّمَاءَ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ، حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ (عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

- ٨٦ -

المفردات

- **يَتَضَاغَوْن**: أي: يتباكون، من الضُّغاء وهو البكاء بصوت.
- **حتى أَلَمَّتْ بها سنة**: أي: سنة قحط.

الفوائد

• **باب قول النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾**

- **(كان أكثر دعاء النبي ﷺ)**: إنما كان يكثر الدعاء بهذه الآية لجمعها معاني الدعاء كله من أمر الدنيا والآخرة. وكان أنس رضي الله عنه إذا أراد أن يدعو دعا به اقتداءً بالنبي ﷺ قال ابن كثير رحمه الله: الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة وولد بار، ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل إلىٰ غير ذلك مما شملته عباراتهم، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلاها دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة، وأما الوقاية من عذاب النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات ا.هـ.
- في الحديث استحباب الدعاء (ربنا آتنا في الدنيا حسنة..) والإكثار منه مطلقًا، ويتأكد استحبابه في موضعين: الأول: في الطواف بين الركنين لما في سنن أبي داود عن عبدالله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يدعو به ما بين الركنين.

والثاني: عند حلول البلاء لما عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه، لما أرشد النبي ﷺ الرجل الذي كان يدعو: (اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا) فقال له: (سبحان الله! لا تطيقه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة..) فدعا الله له فشفاه.

• **باب دعاء الله بالعمل الصالح**

- حديث الباب فيه استحباب الدعاء في الكرب، والتقرب إلىٰ الله ﷻ بذكر صالح العمل، واستنجاز وعده بسؤاله.
- ودعاء الله بالعمل الصالح ليس فيه رؤية العمل إذا لم يجزم العبد في الإخلاص فيه واستيفاء حق الله فيه، بل يعتقد تقصيره في نفسه، ويسيء الظن بها، ويبحث عن واحد من عمله يظن أنه أخلص فيه، فيفوض أمره إلىٰ الله ﷻ، ويعلق الدعاء علىٰ علم الله ﷻ به؛ لقول كل واحد منهم: (إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك) فلم يعتقد واحد منهم الإخلاص في عمله، بل أحال أمره إلىٰ الله ﷻ.
- وفيه فضل الإخلاص والصدق مع الله، وفيه التوجه إلىٰ الله وحده في الشدائد، وفيه أن الابتلاء بالشدائد من سنة الله تعالىٰ في عباده المؤمنين، وفيه أن الحذر لا ينجي من قدر، فهؤلاء الثلاثة دخلوا الغار ليأمنوا من طوارق الليل ويرتاحوا من عناء الطريق، فأتاهم الأمر من حيث لم يحتسبوا.
- وفيه أن العبد المؤمن لا يعلق قلبه إلا بالله وحده، فهؤلاء تبرؤا من الحول والقوة، وأنزلوا حاجتهم بالله وحده، وفيه الرد علىٰ المستغيثين بغير الله من عباد القبور والأموات، الذين يعظم شركهم عند الشدائد.
- وفيه حسن ظن المؤمن بربه، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله وفرجه، وفيه إظهار الذل والفاقة عند الدعاء من أسباب إجابة الدعاء، وأن من أساليب الدعاء الشرعية أن يصف العبد حالته وضعفه ويشكو ذلك إلىٰ الله ﷻ.
- وفيه أن بر الوالدين من أزكىٰ الأعمال، وأجلِّ القربات، ويتأكد هذا الحق في كبرهما لضعفهما وحاجتهما إلىٰ من يقوم عليهما، ووجوب النفقة في مال الولد عند حاجتهما، وفيه أن حق الوالدين مقدم علىٰ حق الزوجة والولد.
- وفيه أنه ينبغي للمرء في بر والديه أن يريد بذلك وجه الله، وأن يحرص في بره مع والديه أن يصل إلىٰ الكمال، والمراتب العالية، وينافس فيها، ولو رضي الوالدان منه بأقل مما يسعىٰ إليه ويطمح في تحقيقه.
- استشكل تركه أولاده الصغار يبكون من الجوع طول ليلتها مع قدرته علىٰ تسكين جوعهم، وأجيب: لعلهم كانوا يطلبون الزيادة علىٰ سد الرمق. وفيه جواز حرمان الأولاد من بعض أنواع الطعام لمصلحة راجحة ما لم يلحقهم بذلك ضرر، ولا يعد ذلك من التفريط المذموم أو التقصير في النفقة.
- وفيه أن تعلق القلب بالنساء، والحب المحرم قد يوقع الإنسان في المنكرات العظيمة، وفيه ضعف الإنسان أمام الشهوات مما يجعله يقدم علىٰ ما ينافي الشرع والمروءة.

المفردات

- **لا تَفْتَح الخَاتَم**: وفي رواية: (لا تفضّ) أي: لا تكسر، والخاتم كناية عن عُذْرَتها، وكأنها كانت بكرًا، وكَنَّت عن الإفضاء بالكسر، وعن الفرج بالخاتم، إلا أن في حديث النعمان ﷺ ما يدل علىٰ أنها لم تكن بكرًا.
- **بِحَقِّه**: أرادت به الحلال، أي: لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح.
- **بِفَرَق**: هو مكيال يسع ثلاثة آصع.

الفوائد

- فيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تجب ما قبلها، وأن من شروط قبول التوبة، ترك الذنب مباشرة والإقلاع عنه.
- وفيه فضل التقوىٰ وأنها تُطَهِّر النفوس، وتداوي عللها، وترتقي بها في مدارج الكمال، فهذا الرجل لم يمتنع عن المرأة بعد أن ذكرته بالله فحسب، بل ترك لها المال أيضًا، وفيه أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.
- فيه استحباب التكنية عن الأمور المستقبحة بما يفهم منه المراد، حتىٰ يعوِّد المرء نفسه علىٰ عفة اللسان وطهارته، وفيه أن شرف المرأة في عرضها بعد دينها؛ لذلك كان حفظ الأعراض من الضروريات التي جاء بها الشرع، وفيه تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية؛ لما في ذلك من المفاسد العظيمة.
- وفيه فضل الوعظ والتذكير بالله، وأنه علىٰ المصلح والداعية إلىٰ الله أن لا يقنط، ولا يدخله اليأس من انتشار المعصية في الناس، ولا يتعجل في الحكم عليهم بالهلاك، فقد يمن الله تعالىٰ عليهم بالتوبة ويأتي بهم، فالتوبة قد تتنزل علىٰ قلب العبد، وييسر الله له أسبابها في لحظة لا تخطر له علىٰ بال فضلًا من الله ورحمة.
- وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتآجرين، واستدل به علىٰ جواز بيع الفضولي، وقد مال البخاري فيها إلىٰ الجواز، وبوَّب للحديث: باب إذا اشترىٰ شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي.
- وفيه وجوب حفظ الحقوق، وردها إلىٰ أهلها؛ لأنه من حفظ الأمانة التي كلفنا الله بحملها وأدائها، وفيه أن ترك العامل حقه، وعدم أخذه ماله من أجرة لا يعني تنازله عن حقه، وتبرعه بالعمل، إلا إذا ثبت يقينًا أنه أراد ذلك.
- فيه أن من أعظم ما يعين العبد علىٰ النجاة والسلامة من فتنة المال وهضم حقوق الغير، مراقبة الله وتقواه، وفيه بركة التجارة الصادقة حيث تضاعفت هذه الأجرة إلىٰ أضعاف كثيرة.
- وفيه التصديق بكرامات الأولياء وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، وفيه الإخبار عما جرىٰ للأمم الماضية لأخذ العظة والعبرة، وفيه حثٌّ للمؤمن أن يكون بينه وبين الله خبيئة من عمل صالح يكون أرجىٰ أعماله عند الله تعالىٰ.

وَبَيْنَ نَفْسِهَا) ـ، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ! اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً. فَفَرَجَ. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي. فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ! فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْ. فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ؛ فَخُذْ. فَأَخَذَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَخَرَجُوا يَمْشُونَ.

بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْكَرْبِ

١٣٢٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو ـ عِنْدَ الْكَرْبِ[١]: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **الْعَلِيمُ**) **الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ.**

بَابٌ: يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَعْجَلْ

١٣٢١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ[٢] مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي[٣].**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي! فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ.

- ٨٧ -

• باب الدعاء عند الكرب

- حديث الباب فيه استحباب هذا الدعاء والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة. قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب ا.هـ.
- **(لا إله إلا الله العظيم الحليم..)**: قال العلماء: الحليم: الذي يؤخر العقوبة مع القدرة، والعظيم: الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم: المعطي فضلًا.
- قال الطيبي: صدَّر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب؛ لأنه مقتضىٰ التربية، وفيه التهليل المشتمل علىٰ التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل علىٰ تمام القدرة، والحلم الذي يدل علىٰ العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية ا.هـ.

• بابٌ: يستجاب للعبد ما لم يعجل

- حديث الباب فيه أدب من آداب الدعاء: وهو أنه يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار لله ﷻ.
- **(دعوت ولم يستجب لي)**: قال ابن بطال: أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانِّ بدعائه، أو أنه أتىٰ من الدعاء ما يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخِّل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء ا.هـ.

المفردات

- **وَلْيَعْـزِمْ مَسْـأَلته:** معنىٰ الأمر بـالعزم: الجِدّ فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، وقيل: أن يحسن الظن بالله ﷻ في الإجابة.

- **يَسْتَعْتِبُ:** أي: يطلب إزالة العتاب، والمراد: يسترضي الله ﷻ بالإقلاع والاستغفار.

الفوائد

• بابٌ: ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له

- حـديث البـاب فيـه الأمـر بالاجتهـاد في الـدعاء والجـزم بالمطلوب، ولا يقل: إن شئت كالمستثني.

قـال ابـن بطـال: في الحـديث أنـه ينبغي للـداعي أن يجتهـد في الدعاء، ويكون علىٰ رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة، فإنه يدعو كريمًا، وقد قال ابن عيينه: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلـم مـن نفسه -يعني: من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شرِّ خلقه، وهو إبليس حين قال: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الحجر:٣٦] ا.هـ.

- قال ابن عبد البر: لا يجوز لأحد أن يقـول: (اللهـم أعطني إن شئت) وغير ذلك مـن أمور الـدين والـدنيا؛ لأنـه كـلام مستحيل لا وجه له؛ لأنه لا يفعل إلا ما يشاء ا.هـ.

وظاهره أنه حمل النهي علىٰ التحريم، وحمـل النـووي النهـي في ذلك علىٰ كراهة التنزيه، وهو الأقرب.

• باب ما يقول إذا سمع صياح الديكة

- حديث الباب فيه استحباب الدعاء وسؤال الله مـن فضـله عنـد سماع صياح الديكة؛ لحضور الملك هنـاك، وهـذا أقـرب للإجابـة؛ لأنه ربما يؤمن الملك علىٰ دعائه فيستجيب الله له.

- قـال عيـاض ؒ: كـأن السـبب في رجـاء تـأمين الملائكـة علىٰ دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص ا.هـ.

- ورد عنـد أبـي داود مـن حـديث زيـد بـن خالـد ﷺ رَفَعـه: (لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلىٰ الصلاة) والمـراد: أن العـادة جـرت بأنـه يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرةً فطره الله ﷻ عليها لا أنـه يدعو حقيقة إلىٰ الصلاة: صلوا أو حانت الصلاة.

- وفيـه أن كـل مـن لـه نفـع في الخيـر لا ينبغـي أن يُسَـبَّ، ولا أن يُستهان به، بل يُكرم ويُحْسَن إليه.

- وفيه استحباب الاستعاذة بالله عند نهيق الحمـار، قـال عيـاض: وفائدة الأمر بالتعوذ لما يُخشىٰ مـن شـر الشـيطان، وشر وسوسته، فيُلجأ إلىٰ الله ﷻ في دفع ذلك ا.هـ.

- عند أبي داود وصححه الألباني مـن حـديث جـابر ﷺ مرفوعًـا: (إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل، فتعـوذوا بـالله، فإنها ترىٰ ما لا ترون) وفيه تقييـد الأمر بالاستعاذة بالليل، واختلفـوا: هـل يُحمل مطلق حديث أبي هريرة ﷺ علىٰ مقيد حديث جـابر ﷺ، أم يقـال أنـه خـصَّ الليـل لأن انتشـار الشـياطين فيـه أكثـر فخـرج مخـرج الغالـب؟ والأقـرب تخصـيص الحكـم بالليـل، فيتأكـد الاسـتحباب بالليل، وإن تعوَّذ نهارًا فلا بأس بذلك للاحتمال الثاني، والله أعلم.

• باب الدعاء بالموت والحياة

بَابٌ: لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ

١٣٢٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، (ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ)، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ[1]؛ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرِهَ لَهُ.**

بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ*

١٣٢٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا.**

بَابُ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ

١٣٢٤ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.**

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: **لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ (إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ)[2].**

• وَفِي حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ نَعُودُهُ، وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فِي بَطْنِهِ ـ، فَقَالَ: (إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا.

- ٨٨ -

- أحاديـث البـاب فيهـا النهـي عـن تمنـي المـوت لضُـرٍّ نـزل بـه، وحكمـة النهـي عـن ذلـك: أن في طلـب المـوت قبـل حلولـه نـوع اعتراض ومراغمة للقدر.

- **(لضُرٍّ نزل به):** حمله جماعة من السلف علىٰ الضُّـر الـدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يـدخل في النهـي، ويدل عليه رواية ابن حبان والنسائي وفيها: (لضرٍّ نزل به في الدنيا).

- **(اللَّهُمَّ أحيني مـا كانـت الحيـاة خـير لي..):** فيـه أن النهـي عـن تمني الموت مقيد بما إذا لم يكن بهذه الصيغة؛ لأن التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم، وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء.

* **حديث أبي هريرة ﷺ:**

- **(إما محسنًا فلعله يـزداد..):** ولمسـلم: (وإنـه لا يزيـد المـؤمن عمره إلا خيرا) وفيـه إشـارة إلىٰ أن الحكمـة مـن النهـي عـن تمنـي الموت والدعاء به هـو انقطـاع العمـل بـالموت؛ لأن الحيـاة يتسـبب منها العمل، والعمل يحصل به زيادة الثواب.

- التعبيـر في روايـة البـاب بقولـه (لعلـه) يفيـد الرجـاء، فخـرج مخـرج تحسين الظـن بـالله ﷻ، فالمحسـن يرجـو مـن الله التوفيـق للعمـل الصـالح والازدياد من الثواب، والمسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ﷻ.

الفوائد

- **(ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)**: فيه كراهية الدعاء بالموت، وأن الأفضل للمؤمن أن يترك أمر الأجل لمقادير الله في خلقه، ولحكمته في عباده، ولذلك لم يَدْعُ خبَّاب بن الأرتِّ علىٰ نفسه بالموت، مع أنه كان بحال شديدة رأىٰ أن الموت أحبَّ له من الحياة.
- وقد حدَّث خباب ﷺ بالموت ولم يطلبه، مخافة أن تنقص الدنيا والأموال التي زادت عنده من منزلته عن أصحابه الذين سبقوا إلىٰ ربهم، قبل أن تُفتح الدنيا علىٰ المسلمين.
- يُحتمل أن يكون فهم من النهي (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه) العموم، سواء كان ذلك لخوف الفتنة في الدين، أو كان ذلك بسبب ضر نزل به في البدن، أو المال، أو الولد ونحو ذلك.

وفيه فضيلة خباب ﷺ وزهده في الدنيا ورغبته فيما عند الله ﷻ.

- **(إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب)**: هذا يُفسر ما سبق وهو قوله: (وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب)، ونفي الأجر هنا ليس علىٰ عمومه، قال ابن حجر: إن ذلك إن كان علىٰ سبيل التوسع، وأما ما كان علىٰ قدر الحاجة، فإن الإنسان يؤجر عليه، فيتخذ مسكنًا يستغني به عن الناس، ويكفي به حاجة أهله وولده ا.هـ.
- في الحديث: دليل علىٰ كراهة التوسع في البناء بلا حاجة، وقد أسرف كثير من الناس في هذا الزمان وتنافسوا في البناء وزخرفته وأضاعوا فيه أموالًا طائلة بلا حاجة، وقد ورد القرآن بذم الإسراف والنهي عنه، والإنكار علىٰ أهل الأبنية المرتفعة لغير حاجة، وأن ذلك من العبث فقال تعالىٰ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء:١٢٨-١٢٩].
- وهذا الحديث ليس فيه ما يتنافىٰ مع اتخاذ المسكن الواسع المريح، لكن الذم والكراهة في الإسراف والمبالغة في ذلك، وقد وردت السنة بالترغيب في اتخاذ المسكن

إِلَّا التُّرَابِ)، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ. (ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ).



- ٨٩ -

الواسع وأنه من أسباب السعادة كما روىٰ لابن حبان وصححه الألباني من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

- وفيه جواز الكي للمداواة، وأن كراهة الكي تزول للحاجة إليه، بعد نزول الضرر.

وقد سبق تفصيل حكم الكي في كتاب المرض والطب.

كِتَابُ الذِّكْرِ

بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللهِ ﷻ

١٣٢٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**[١]**، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**[٢].

١٣٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً**[٣] **يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ (تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ)**[٤]**، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.** قَالَ: **فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ـ: (مَا يَقُولُ عِبَادِي؟)**[٥] **قَالُوا: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ**[٦]**، وَيَحْمَدُونَكَ، (وَيُمَجِّدُونَكَ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **إِذَا دَعَانِي.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ﵁: **وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً.**

(٣) ولِمُسْلِمٍ: **سَيَّارَةً فُضُلًا.**

(٤) ولِمُسْلِمٍ: **قَعَدُوا مَعَهُمْ.**

(٥) ولِمُسْلِمٍ: **فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ﷻ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ.**

(٦) ولِمُسْلِمٍ: **وَيُهَلِّلُونَكَ.**

ـ ٩٠ ـ

كتاب الذِّكر

الفوائـــد

• باب فضل ذكر الله ﷻ

– ذكر الله تعالىٰ يكون علىٰ ثلاث مراتب: الأولىٰ وهي أعلاها: الذكر بالقلب واللسان، والثانية: الذكر بالقلب وحده، والثالثة: الذكر باللسان وحده.

– لذكر الله تعالىٰ فوائد عظيمة منها: أنه يرضي الرحمن، ويقمع الشيطان، ويزيل الغم والهم عن القلب، ويجلب الفرح والسرور، وينور الوجه، ويورث محبة الله للعبد، ويورث حياة القلب وقوة الروح، ويحط الخطايا ويكثر الحسنات ويرفع الدرجات، ويجلب النعم ويدفع النِّقم، ويقوي البدن، وغير ذلك من الفوائد كما ورد في أحاديث الباب.

* **حديث أبي هريرة ﵁:**

– **(أنا عند ظن عبدي بي)**: أي: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، والمغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسُّكًا بصادق وعده، ويؤيده ما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ﵁: (ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة) لأن الله ﷻ أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبله، فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات علىٰ ذلك وُكِلَ إلىٰ ما ظن كما عند أحمد من حديث واثلة ﵁: (فليظن بي ما شاء).

– ولا يدخل في معنىٰ ذلك من ظن المغفرة مع الإصرار علىٰ الذنوب؛ لأن ذلك من الجهل ومن التمني الزائف والغرور برحمة الله ﷻ، وهو مذهب المرجئة الذين اتخذوا دينهم لعبًا وغرتهم الأماني وغرهم بالله الغرور.

– حسن الظن بالله من حسن العبادة، فعلىٰ المؤمن أن يحسن ظنه بربه، ويعتقد أن الله الرب الرحمن الرحيم لا يأتي إلا بخير، ويتأكد حسن الظن بالله في مواطن منها: عند التوبة، وعند العبادة والدعاء، وعند الشدائد والكربات، وعند ضيق العيش، وعند الموت.

– قال ابن مسعود ﵁: (والذي لا إله غيره ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله ﷻ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله ﷻ ظنه، ذلك بأن الخير في يده).

– **(وأنا معه إذا ذكرني)**: وهذه معيَّة خاصة للذاكرين، وهو الذي يلازم الذكر ويجتهد في ذكره ﷻ، سواء كان الذكر بالمعنىٰ العام وهو عمل القلب واللسان والجوارح بكل ما يرضي الله ﷻ من الأعمال والأقوال، أو بالمعنىٰ الخاص بالثناء علىٰ الله باللسان والإخبار عنه بصفاته ويدخل فيه قراءة القرآن والدعاء، أو بالمعنىٰ الأخص بالأذكار المرتبة المقيدة بحال أو زمان أو مكان.

– **(ذكرته في ملأ خير منهم)**: وهم الملأ الأعلىٰ من الملائكة المقربين، وفيه فضل مجالس الذكر.

– **(تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي..)**: التقرب، والإتيان من الصفات الفعلية لله تعالىٰ، علىٰ الوجه اللائق به ﷻ، فهو يتقرب من عباده أو يأتي متىٰ شاء وكيف شاء، ولكننا لا نعلم كيفية ذلك، علىٰ القاعدة القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ] وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالىٰ.

– في الحديث فضل ذكر الله ﷻ وحسن الظن به سبحانه، وفيه عظيم فضل الله وكرمه، وأنه بالخير إلىٰ عباده أجود، فهو أسرع إليهم بالجود والخير منهم في أعمالهم، ومسارعتهم إلىٰ الخير والعمل الصالح.

* **حديث أبي هريرة ﵁:**

– **(إن الله وملائكته)**: وفي رواية: (فُضُلًا) أي: زيادة علىٰ كتَّاب الناس، هكذا جاء مفسرًا في البخاري.

وقيل: زيادة علىٰ الملائكة المرتَّبين مع الخلائق.

– **(يلتمسون أهل الذكر)**: وفي رواية: (يلتمسون مجالس الذكر) وهي المجالس التي تشتمل علىٰ ذكر الله ﷻ بأنواع الذكر، من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلىٰ تلاوة كتاب الله ﷻ، والدعاء، وقراءة الحديث النبوي، ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته، والمناظرة فيه، كل ذلك يدخل في مسمَّىٰ ذكر الله تعالىٰ.

الفوائد

- (فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة): ولمسلم: (ربِّ فيهم فلان عبدٌ خطَّاء إنما مر فجلس معهم) وزاد في روايته: (وله قد غفرت) وفيه فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع علىٰ ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالىٰ به عليهم إكرامًا لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.

- (لا يشقى بهم جليسهم): في هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل: لَسَعِدَ بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود.

- في الحديث: محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم، وفيه: أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسؤول عنه من المسؤول؛ لإظهار العناية بالمسؤول عنه، والتنويه بقدره، والإعلان بشرف منزلته.

- قيل: إن في خصوص سؤال الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلىٰ قولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة:٣٠] فكأنه قيل لهم: انظروا إلىٰ ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشياطين، وكيف عالجوا ذلك وضاهوكم في التسبيح والتقديس.

- وفيه أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلىٰ وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة؛ لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل، ووجود الصوارف، وغير ذلك.

- وفيه بيان كذب من ادعىٰ من الزنادقة أنه يرىٰ الله تعالىٰ جهرًا في دار الدنيا، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتىٰ تموتوا) وفيه جواز القسم في الأمر المحقق تأكيدًا له وتنويهًا به.

- وفيه: أن الذي اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات، والنار من أنواع المكروهات، فوق ما وُصِفتا به، وأن الرغبة والطلب من الله عز وجل والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول.

• باب قول: لا إله إلا الله وحده

- حديث الباب فيه ثناء علىٰ الله عز وجل بوحدانيته، ونصرته لدينه ولرسوله، وعزته وغلبته لأعدائه، واعتراف بفضله، وصدق وعده في إظهار الدين، وجعله العاقبة لعباده المتقين.

- (وغلب الأحزاب وحده): المراد بالأحزاب: الذين اجتمعوا يوم الخندق وتحزبوا علىٰ رسول الله ﷺ، فأرسل الله عليهم ريحًا وجنودًا لم يروها وكفىٰ الله المؤمنين القتال، وقيل: يُحتمل أن المراد أحزاب الكفر في جميع الأيام والمواطن، والله أعلم.

- في الحديث: تذكير بفضل الله علىٰ المؤمنين بنصرهم علىٰ أعدائهم بلا قتال منهم، وقد جاءت الإشارة إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾[الأحزاب:٩].

- وفيه تذكير بعزة الله وقوته، وأن الغلبة والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن النصر من الله وحده، وأنه ينصر من ينصره:

فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا). فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ (فَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً). قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ (فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً). فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ.(١) فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

بَابُ قَولِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ*

١٣٢٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ.

بَابُ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ

١٣٢٨ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (خَيْبَرَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ)، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ:

(١) ولِمُسْلِم: قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا.

ـ ٩١ ـ

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج:٤٠]، ويعين من يؤمن به حق الإيمان، ويتبع سنة نبيه ﷺ حق الاتباع، ويلتزم شرعه، ويتحاكم إليه في رضىٰ وتسليم.

- (فلا شيء بعده): أي: فلا شيء سواه، فهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء بغير نهاية سبحانه جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[القصص:٨٨].

• باب قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

- أي: ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلىٰ حال، ولا قدرة علىٰ ذلك؛ إلا بالله، فهي كلمة استعانة وتوكل، ولذلك تشرع عند مواضع الاستعانة بالله عز وجل، عند دخول وقت الصلاة وإجابة النداء، وعند الإقدام علىٰ المهام العظيمة والشدائد، وليست كلمة استرجاع كما يعتقد بعض الناس تقال عند حلول المصائب علىٰ هيئة الاسترجاع، بل الأصل أن الذي يقال في الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه راجعون)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦].

* حديث أبي موسى رضي الله عنه:

- (لما غزا رسول الله ﷺ خيبر..): المراد: حال رجوعه ﷺ من غزو خيبر؛ لأن أبا موسىٰ رضي الله عنه إنما قدم بعد فتح خيبر مع جعفر رضي الله عنه.

اللهُ أَكْبَرُ، (اللهُ أَكْبَرُ)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا** (وَفِي رِوَايَةٍ: **بَصِيرًا**) **قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**(١). وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. فَقَالَ لِي: **يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**. (قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ:) **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟** قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ (فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي). قَالَ: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.**

• (وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا).

بَابُ التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ الْمَنَامِ

١٣٢٩ ـ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: **عَلَى مَكَانِكُمَا**. فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: **أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا**(٢) **تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**. وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا تَرَكْتُهَا بعدُ. قِيلَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مِنَ اللَّيْلِ.

- ٩٢ -

الفوائد

- **(ارْبَعُوا على أنفسكم)**: أي: أرفقوا ولا تجهدوا أنفسكم، قال النووي: فيه الندب إلىٰ خفض الصوت بالذكر إذا لم تدعُ حاجة إلىٰ رفعه، فإن خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإن دعت الحاجة إلىٰ الرفع رفع ا.هـ.

- وقال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين ا.هـ.

ويُخص من ذلك رفع الصوت بالذكر عند الانصراف من صلاة الفريضة كما تقدم في كتاب الصلاة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان علىٰ عهد النبي ﷺ). وكذلك رفع الصوت بالتلبية في النسك كما ورد عند البخاري من حديث أنس رضي الله عنه وفيه: (وسمعتهم يصرخون بها جميعًا) وقد ذهب عامة أهل العلم إلىٰ استحباب رفع الصوت بالتلبية.

- **(قريبًا، وهو معكم)**: وفيه إثبات صفتي القرب والمعيَّة لله ﷻ علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، مع إثبات استوائه علىٰ عرشه، وعلوه فوق جميع خلقه، وتنزيهه ﷻ عن كل مثيل ونظير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى] وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

- والله ﷻ مع عباده بالعلم والإحاطة وهذه للمؤمن والكافر، وتأتي في النصوص في سياق الإحاطة والمجازاة والمحاسبة والتخويف، وهذه المعية العامة، أما المعية الخاصة: فهي خاصة بالمؤمنين وتأتي في سياق المدح والثناء، والنصر والتأييد.

- **(كلمة من كنز من كنوز الجنة)**: المراد: أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة.

- قال النووي رحمه الله: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله تعالىٰ، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا رادّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنىٰ الكنز هنا: أنه ثواب مدَّخر في الجنة، وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم ا.هـ.

- قال ابن بطال: كان ﷺ معلمًا لأمته، فلا يراهم علىٰ حالة من الخير إلا أحب لهم الزيادة، فأحب للذين رفعوا أصواتهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن يضيفوا إليها التبري من الحول والقوة، فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر، وقد جاء في الحديث: (إذا قال العبد: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: أسلم عبدي واستسلم) ا.هـ، قال ابن حجر: أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة بسند قوي ا.هـ.

• **باب التكبير والتسبيح عند المنام**

- أي: والتحميد.

- **(أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرَّحا)**: عند أحمد عن علي رضي الله عنه قلت لفاطمة رضي الله عنها: لو أتيتِ النبي ﷺ فسألتيه خادمًا، فقد أجهدك الطحن والعمل.

قال الطبري: يؤخذ منه أن كل من كانت لها طاقة من النساء علىٰ خدمة بيتها في خبز أو طحن أو غير ذلك، أن ذلك لا يلزم الزوج إذا كان معروفًا أن مثلها يلي ذلك بنفسه، ووجه الأخذ: أن فاطمة رضي الله عنها لما سألت أباها ﷺ الخادم لم يأمر زوجها بأن يكفيها ذلك.

- **(ألا أُعلِّمكما خيرًا مما سألتماني)**: وقد ورد سبب عدم إجابة النبي ﷺ لسؤالهما الخادم عند أحمد: (والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصُّفة تَطْوَىٰ بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم).

- قال المهلب: علَّم ﷺ ابنته من الذكر ما هو أكثر نفعًا لها في الآخرة، وآثر أهل الصُّفة؛ لأنهم كانوا وقفوا أنفسهم لسماع العلم وضبط السنة علىٰ شبع بطونهم، لا يرغبون في كسب مال ولا عيال، ولكنهم اشتروا أنفسهم من الله بالقوت.

- **(فهو خير لكما من خادم)**: وفيه أن الذي يُلازم ذكر الله ﷻ يُعطىٰ قوة أعظم من القوة التي يعملها له الخادم، أو تسهُل الأمور عليه بحيث يكون تعاطيه أموره أسهل من تعاطي الخادم لها. قال ابن حجر: هكذا استنبطه بعضهم من الحديث والذي يظهر أن المراد أن نفع التسبيح مختص بالدار الآخرة، ونفع الخادم مختص بالدار الدنيا، والآخرة خير وأبقىٰ ا.هـ.

- **(ولا ليلة صفِّين؟)**: وفي رواية عند أبي داود: (ما تركتهن منذ سمعتهن إلا ليلة صفِّين، فإني ذكرتها من آخر الليل فقلتها)، وفي رواية: (فإني أُنسيتها حتىٰ ذكرتها من آخر الليل) وفيها التصريح بأنه نسيها أول الليل، وقالها في آخره، والمعنىٰ: أنه لم يمنعه الشغل الذي كان فيه من قولها.

- وفيه استحباب التكبير والتسبيح والتحميد قبل النوم بالعدد الوارد في الحديث، وفيه منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة رضي الله عنهما.

بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ

١٣٣٠ ـ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ**[(١)] **فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ** ـ، **وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا** ـ، **وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**. قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: **لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**.

(وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ...).

بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا

١٣٣١ ـ (عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ)[(٢)]، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ (مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ) يَقُولُ: **اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**. وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مِنَ اللَّيْلِ.
(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ ﷺ بِنَحْوِهِ.

المفردات

- **أَسْلمت**: أي: استسلمت وانقدت، جعلت نفسي منقادة لك، تابعة لحكمك.
- **وفوضت أمري إليك**: أي: توكلت عليك في أمري كله.
- **وألجأت ظهري إليك**: أي: اعتمدت في أموري عليك لتعينني علىٰ ما ينفعني، وخصَّ الظهر؛ لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره علىٰ ما يستند إليه.
- **رغبة ورهبة إليك**: أي: رغبة في ثوابك، وخوفًا من غضبك وعقابك.
- **أصبت أجرًا**: أي: صلاحًا في المال وزيادة في الأعمال.

الفوائد

• **باب ما يقول إذا نام**

- **(فتوضأ)**: الأمر فيه للاستحباب، ظاهره استحباب تجديد الوضوء لكل من أراد النوم، ويُحتمل أن يكون مخصوصًا بالمُحْدِث، وفيه فوائد: أن يبيت علىٰ طهارة لئلا يباغته الموت، فيكون علىٰ هيئة كاملة، ويؤخذ منه الندب إلىٰ الاستعداد للموت بطهارة القلب، لأنه أولىٰ من طهارة البدن.
- ويتأكد في حق المُحدِث، ولا سيما الجُنب، وهو أنشط للعود، وقد يكون منشِّطًا للغسل، فيبيت علىٰ طهارة كاملة، فيكون ذلك أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشيطان به.
- **(ثم اضطجع على شقك)**: أي: الجانب. وخصَّ الأيمن لفوائد منها: أنه أسرع إلىٰ الانتباه، ومنها أن القلب متعلق لجهة اليمين، فلا يثقل بالنوم، ومنها أنه أصلح للبدن في انحدار الطعام، ثم هضمه إذا انقلب بعد ذلك علىٰ اليسار.
- **(قال: لا، ونبيك الذي أرسلت)**: أولىٰ ما قيل في الحكمة في رده ﷺ علىٰ من قال: (الرسول) بدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار، لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة علىٰ اللفظ الذي وردت به، فيُقْتصر فيه علىٰ اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها. وفيه الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إجمالًا من الرسل والكتب والنبوات وما تضمنته النبوات والرسالات من توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له.
- **(على الفطرة)**: أي: علىٰ الدين القويم ملة إبراهيم، فإنه ﷺ أسلم واستسلم، قال الله تعالىٰ عنه: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات] وقال عنه: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات].
- ولمسلم من حديث البراء ﷺ: (وإن أصبحت أصبت خيرًا) أي: حصل لك ثواب هذه السنن، واهتمامك بالخير، ومتابعتك أمر رسول الله ﷺ.
- **(واجعلهن آخر ما تتكلم به)**: وفي رواية: (من آخر) وهي تبيِّن أنه لا يمتنع أن يقول بعدهن شيئًا مما شُرع من الذكر عند النوم.
- قال النووي ﷺ: في الحديث ثلاث سنن مهمة، إحداها: الوضوء عند النوم، وإن كان متوضئًا كفاه؛ لأن المقصود النوم علىٰ طهارة، الثانية: النوم علىٰ اليمين، ثالثها: الختم بذكر الله ﷻ ا.هـ.

• **باب السؤال بأسماء الله تعالى، والاستعاذة بها**

- **(وضع يده تحت خدِّه)**: أي: خدِّه الأيمن، وقد ترجم البخاري علىٰ حديث الباب: وضع اليد اليمنىٰ تحت الخدِّ الأيمن، علىٰ عادته في الإشارة إلىٰ ما ورد في بعض طرق الحديث مما ليس علىٰ شرطه، كما عند الإمام أحمد، وفي الباب عن البراء ﷺ أخرجه النسائي: (أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه وضع يده اليمنىٰ تحت خدِّه الأيمن وقال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) وسنده صحيح، وأخرجه أيضًا بسند صحيح عن حفصة وزاد: (يقول ذلك ثلاثًا).
- في الحديث استحباب النوم علىٰ هذه الهيئة، والدعاء بما ورد فيه: (اللهم باسمك أموت وأحيا) أي: بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت. وفيه استحباب قول: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا..)، النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن مع الفارق بينهما، ولذا قيل النوم أخو الموت.
- **(وإليه النشور)**: أي: البعث يوم القيامة، والإحياء بعد الإماتة، وفيه الإيمان بالبعث وهو من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، وقد تواترت النصوص بحقيقة البعث ووجوب الإيمان به، فصار من الأمور المعلومة في الدين بالضرورة.
- وفيه حمدٌ لله ﷻ علىٰ نعمته علىٰ عبده بأن ردَّ إليه روحه، وأعاد إليه الحياة التي بها ينتفع بالتزود للآخرة وطلب رضا الله ﷻ بطاعته وذكره.

المفردات

- **بِدَاخلة إِزَاره:** طرف الإزار الذي يلي البدن.
- **عَدْل:** بفتح العين: ما عَدَل الشيء من غير جنسه، وبالكسر: المِثل.
- **حِرْزًا:** أي: حفظًا ومنعًا.

الفوائد

• **باب التعوذ والقراءة عند المنام**

- **(فَلْيَنفض فراشه بداخلة إزاره):** وفيه سنة من سنن النوم، وفي رواية: (ثلاث مرات)، قال القرطبي: حكمة هذا النفض قد ذُكرت في الحديث، وأما اختصاص النفض بداخلة الإزار فلم يظهر لنا، ويقع لي أن في ذلك خاصية طبية تمنع من قرب بعض الحيوانات، كما أُمر بذلك العائن، ويؤيده ما وقع في بعض طرقه: (فلينفض بها ثلاثًا) فحذا بها حذو الرقىٰ في التكرير ا.هـ. وقيل غير ذلك، والله أعلم.
- **(لا يدري ما خَلَفَه عليه):** قال الطيبي: معناه: لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج منه من تراب أو قَذَاة أو هوام.
- **(إن أمسكت):** قال الكرماني: الإمساك كناية عن الموت، فالرحمة أو المغفرة تناسبه، والإرسال: كناية عن الاستمرار بالبقاء، والحفظ يناسبه ا.هـ.
- قال الطيبي: هذا الحديث موافق لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢].

قال ابن حجر: ووقع التصريح بالموت والحياة عند مسلم من رواية ابن عمر أن النبي ﷺ أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه أن يقول: (اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية).

- في الحديث استحباب نفض الفراش لمن أراد أن ينام، فهو أسلم وأنظف وسبب لنيل الثواب للاتباع، وهذا من الحذر والأخذ بالأسباب في دفع ما يسوء، وهو لا ينافي التوكل علىٰ الله ﷻ.
- فيه استحباب هذا الدعاء عند النوم، وفيه حث علىٰ تحصيل أسباب الخير في الدنيا والآخرة، وفيه الاعتراف لله بقدرته علىٰ خلقه، وأنه المحيي المميت، وتفويض الحول والقوة ﷻ، والرجاء في رحمته وفضله، في الدنيا والآخرة.

• **باب فضل التسبيح والتهليل**

- **(التسبيح):** يعني قول: سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله ﷻ عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويُراد به صلاة النافلة.
- **(خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان):** قدم الخبر للتشويق، لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقًا. ووصفها بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب.
- **(حبيبتان إلى الرحمن):** فيه إثبات صفة المحبة لله ﷻ علىٰ الوجه اللائق بجلاله وكماله، وخصَّ لفظ الرحمن بالذكر؛ لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالىٰ علىٰ عباده، حيث يجازي علىٰ العمل القليل بالثواب الكثير.

بَابُ التَّعَوُّذِ وَالْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْمَنَامِ*

١٣٣٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ** (وَفِي رِوَايَةٍ: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[(١)]، **فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ**[(٢)]، **ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي**[(٣)] **وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ**[(٤)] **نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**[(٥)].

بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ*

١٣٣٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ.**

١٣٣٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.**

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **وَلْيُسَمِّ اللهَ.**
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ.**
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي.**
(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **أَحْيَيْتَ.**
(٥) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: **اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ.**

ـ ٩٤ ـ

- **(وبحمده):** الواو للحال، والتقدير: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل: عاطفة، والتقدير: أسبح الله وأتلبَّس بحمده.
- في الحديث حث علىٰ المواظبة علىٰ هذا الذكر؛ لخفَّته علىٰ النفس، وكثرة ثوابه، وثقله في الميزان.
- في ألفاظ الحديث الثلاثة سجع مُستعذب، والمنهي عنه ما كان متكلفًا، أو متضمنًا لباطل، لا ما جاء عفوًا من غير قصد إليه.
- عند مسلم من حديث أبي ذر ﷺ: (إن أحبَّ الكلام إلىٰ الله: سبحان الله وبحمده) قال النووي: وهذا محمول علىٰ كلام الآدمي، وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل، والله أعلم ا.هـ.

* **حديث أبي هريرة ﷺ:**

- **(في يوم مائة مرة):** قال النووي: وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور في الحديث من قال هذا التهليل مائة مرة في يومه سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس، أو بعضها أول النهار وبعضها آخره. لكن الأفضل: أن يأتي بها متوالية في أول النهار؛ ليكون حرزًا له في جميع نهاره ا.هـ.
- ويشرع قولها إذا أصبح وإذا أمسىٰ لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ عند الإمام أحمد وفيه: (ما من عبد يقول إذا أصبح... ولا قالها حين يمسي إلا كان له ذلك).

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه: مَنْ قَالَ عَشْرًا كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ (رَقَبَةً)[1] مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.

١٣٣٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ[2].

بَابُ الْحَمْدِ لِلْعَاطِسِ

١٣٣٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا؛ ضَحِكَ الشَّيْطَانُ)[3].

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[4].

١٣٣٧ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،

(١) وَلِمُسْلِمٍ: أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فِي الصَّلَاةِ ـ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الرَّجُلُ مَزْكُومٌ.

- ٩٥ -

الفوائد

* **حديث أبي أيوب رضي الله عنه:**

– **(كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل):** ولمسلم: (أربعة أنفس).

قال ابن حجر رحمه الله: واختلاف هذه الروايات في عدد الرقاب مع اتحاد المخرج يقتضي الترجيح بينها، فالأكثر علىٰ ذكر أربعة، ويجمع بينها وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه بذكر عشرة لقولها: مئة، فيكون مقابل كل عشر مرات رقبةٌ من قبل المضاعفة، فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة، وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، ومع وصف كون الرقبة من بني إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم أربعة منهم؛ لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلًا عن العجم، وأما ذكر رقبة بالإفراد في حديث أبي أيوب رضي الله عنه فشاذٌّ، والمحفوظ أربعة.

وجمع القرطبي –في المفهم– بين الاختلاف علىٰ اختلاف أحوال الذاكرين، فقال: إنما يحصل الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات فاستحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه، ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين كان ثوابهم بحسب ذلك، وعلىٰ هذا يُنزَّل اختلاف مقادير الثواب في الأحاديث ا.هـ.

– قال النووي: وظاهر إطلاق الحديث أن الأجر يحصل لمن قال هذا التهليل في اليوم متواليًا أو مفرقًا، في مجلس أو مجالس، في أول النهار أو آخره، لكن الأفضل أن يأتي به أول النهار متواليًا ليكون له حرزًا في جميع نهاره، وكذا في أول الليل ليكون له حرزًا في جميع الليل ا.هـ.

– قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، كالطهارة من الحرام والمعاصي العِظام، فلا تظن أن مَن أدمن الذكر وأصرَّ علىٰ ما شاءه من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته، أن يلتحق بالمطهَّرين المقدَّسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه علىٰ لسانه، ليس معه تقوىٰ ولا عمل صالح، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية:٢١].

* **حديث أبي هريرة رضي الله عنه:**

– **(من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة):** وفي رواية بزيادة: (من قال حين يمسي وحين يُصبح) وذكر النووي أن الأفضل أن يقول ذلك متواليًا أول النهار وأول الليل.

– **(وإن كانت مثل زبد البحر):** كناية عن المبالغة في الكثرة، وهذا لا يعني أفضلية التسبيح علىٰ التهليل؛ لأن التهليل مئة مرة يشمل غفران الذنوب كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من النار) وزيادة علىٰ ذلك كتب الحسنات ورفع الدرجات، ويؤيده ما أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر رضي الله عنه: (أفضل الذكر لا إله إلا الله).

• **باب الحمد للعاطس**

– حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه الإرشاد إلىٰ رد التثاؤب ما استطاع، وإن غلبه فليضع يده علىٰ فيه.

– **(التثاؤب من الشيطان):** أي: أنه يحبه ويريده؛ لأنها حالة تتغير فيها صورة الإنسان فيضحك الشيطان منه، وفيه التحذير من السبب الذي يتولد عنه التثاؤب وهو الامتلاء والتوسع في المأكل والذي ينشأ عنه التثاقل.

– **(ضحك الشيطان):** وعند مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: (فإن الشيطان يدخل) ولذلك أرشد النبي ﷺ إلىٰ وضع اليد علىٰ الفم لئلا يضحك منه الشيطان أو يتمكن منه.

وهذا يتأكد إن كان في الصلاة لحديث أبي سعيد عند مسلم وفيه: (إذا تثاءب أحدكم في الصلاة) ومما يؤجر به المتثائب في الصلاة أن يمسك عن القراءة حتىٰ يذهب عنه، لئلا يتغير نظم القراءة.

فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَمَّتَّ هَذَا، وَلَمْ تُشَمِّتْنِي! قَالَ: **إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللهَ**[1].



(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ﵁: **إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ.**

الفوائد

- أحاديث الباب فيها: دليل علىٰ صفتي المحبة والكره لله ﷻ، ومذهب أهل السنة والجماعة في الصفات إثباتها علىٰ ظاهرها، كما يليق بجلاله وكماله، بلا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف.

- وفيها أن العطاس محبوب من الله تعالىٰ، وأنه نعمة من الله؛ لمنفعته للبدن بخروج الأبخرة المحتقنة في الدماغ؛ ولهذا يُشرع للعاطس أن يحمد الله بعده، بخلاف التثاؤب فإنه من الشيطان.

- وفيها وجوب تشميت العاطس علىٰ الكفاية، بأن يقول له: (يرحمك الله) ويرد العاطس، فيقول: (يهديكم الله ويصلح بالكم).

- **(شمَّتَّ هذا، ولم تشمتني..)**: فيه أن من عطس ولم يحمد الله فلا يُشرع تشميته، ولكن يستحب تعليمه إن كان جاهلًا؛ لأنه من الأمر بالمعروف.

- ولمسلم من حديث أبي موسىٰ ﵁: (فإن لم يحمد الله فلا تُشمِّتُوه) والجمهور علىٰ أن النهي هنا للتنزيه لا التحريم.

- ومن الأدب المستحب للعاطس: أن لا يبالغ في إخراج العَطْسة، فيخفض صوته بالعطاس ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يمينًا ولا شمالًا لئلا يتضرر بذلك.

- يشرع للمصلي أن يحمد الله إذا عطس لحديث رفاعة بن رافع ﵁ عند الترمذي، وبذلك قال الجمهور من الصحابة والأئمة بعدهم.

- قال ابن أبي جمرة: في الحديث دليل علىٰ عظيم نعمة الله ﷻ علىٰ العاطس، يؤخذ ذلك مما رَتَّب عليه من الخير، وفيه إشارة إلىٰ عظيم فضل الله ﷻ علىٰ عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النِّعم المتواليات في زمن يسير فضلًا منه وإحسانًا ا.هـ.

كتاب التَّعوُّذ

المفردات

- المَغْرَم: الدَّين، أو كل ما يقتضي الغرم.
- المَأْثَم: أي: الأمر الذي يوجب الإثم، أو هو نفس الإثم.
- فِتْنَة النار: هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك:٨].
- فتنة القبر: هي سؤال الملكين.
- ضَلَع الدَّين: أي: ثِقَل الدين وشدَّته.
- غلبة الرجال: أي: شدَّة تسلطهم.
- جَهْد البلاء: كل ما أصاب المرء من شدة ومشقة.
- دَرَك الشَّقاء: أي: الإدراك واللِّحاق، والشقاء: هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك.

الفوائد

• باب التَّعوُّذ من المأثم والمغرم

- (أعوذ بك من الكسل): فيه الاستعاذة من الكسل وهو فتور الإنسان عن الواجبات، فإن الفتور إذا كان في الفضول وما لا ينبغي فليس بكسل، بل هو عصمة، وإذا كان في الواجبات فهو كسل، وهو الثقل، والفتور عن القيام بالواجب، وهو الخذلان، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة].
- (والهرم): هو فتور من ضعف يحل بالإنسان، فلا يكون به نهوض، ففتور الهرم فتور عجز، وفتور الكسل فتور تثبيط وتأخير، فاستعاذ النبي ﷺ عن الفتور في أداء الحقوق، والقيام بواجب الحق من الوجهين جميعًا، من جهة عجز ضرورة، وحرمان منها مع الإمكان.
- (والمغرم والمأثم): وفي حديث عائشة الآخر: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم! فقال ﷺ: (إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب ووعد فأخلف) ولأنه قد يمطل المدين صاحب الدين؛ ولأنه قد يشغل قلبه وربما مات قبل وفائه فبقيت ذمته مرتهنة به.
- (من عذاب النار، وفتنة النار): أي: تحفظني وتجيرني من الضلال المفضي إلى النار، ومن عذاب النار نفسه.
- (ومن شر فتنة الغنى): التقييد هنا بشر لأن الغنى فيه خير باعتبار، فالتقييد يخرج ما فيه من الخير سواء قلَّ أو كثر، وفتنة الغنى كأن يحرص على جمع المال وحبِّه حتى يكسبه من غير حلِّه ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، فينفقه في إسراف أو في باطل أو في مفاخر.
- (ومن شر فتنة الفقر): المراد به الفقر المُدْقِع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى ولا عكسه.
- (ومن شر فتنة المسيح الدجَّال): المراد بفتنته: صده الناس عن دينهم بما يأتي به من أسباب، وهي أعظم فتنة على وجه

كِتَابُ التَّعَوُّذِ

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ

١٣٣٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَغْرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ (وَفِي رِوَايَةٍ: قَلْبِي) بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

بَابُ مَا يُتَعَوَّذُ مِنَ الْجُبْنِ

١٣٣٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ...، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ).

بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ

١٣٤٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ.

ـ ٩٧ ـ

الأرض، والمسيح رجل أعور يخرج آخر الزمان يدَّعي الربوبية، وسُمي مسيحًا لأنه ممسوح العين، أو لأنه يمسح الأرض بسيره فيها، وفيه دليل على خروج الدَّجال آخر الزمان وعظيم فتنته.

- (بماء الثلج والبَرَد): وفي رواية للبخاري: (بالماء والثلج والبرد) فذكر الثلج والبرد بعد الماء للتأكيد، وقال الخطابي: أو لأنهما ماءان لم تمسهما الأيدي ولم يمتهنهما الاستعمال ا.هـ.

وقال الكرماني: يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاثة إشارة إلى الأزمنة الثلاث فالمباعدة للمستقبل والتنقية للحال والغسل للماضي ا.هـ.

• باب ما يتعوذ من الجبن

- حديث الباب فيه الاستعاذة من الجبن، لما فيه من التقصير في أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات ويُنصر المظلوم وغير ذلك من المكرمات، وفيه التعوذ من الأخلاق الرذيلة، ومن الكبر والضعف والخَرَف، ومن فتنة المحيا والممات، وطلب العافية للنفس والبدن، والعقل والدين، فشملت عافية الدنيا والآخرة.

• باب التعوذ من جهد البلاء

- حديث الباب فيه مشروعية الدعاء برفع البلاء ودفعه ما لم ينزل، وفيه أنه ينبغي للمؤمن أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل به ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى الله في جميع أحواله.

الفوائد

- **(قال سفيان):** هو ابن عيينة راوي الحديث المذكور.

- **(الحديث ثلاث):** أي: الحديث المرفوع المروي ثلاثة أشياء.

- **(زدت أنا واحدة):** فصارت أربعًا، ولا أدري أيتهن هي، أي: الرابعة الزائدة.

- واعتذر الكرماني عن سفيان بن عيينة اعتذارًا حسنًا فقال: اشْتَبَهَت عليه تلك الثلاث بعينها، وعرف أنها كانت ثلاثة من هذه الأربعة، فذكر الأربعة تحقيقًا لرواية تلك الثلاثة قطعًا، إذ لا تخرج منها ا.هـ.

- وقال الكرماني بعد كلامه المذكور: وروىٰ البخاري في كتاب القدر الحديث المذكور، وذكر فيه الأربعة مسندًا إلىٰ رسول الله ﷺ، فلا تردد ولا شك ولا قول بزيادة، وفي بعض الروايات قال سفيان: أشك أني زدت واحدة منها.ا.هـ.

- **(تعوَّذوا بالله من جهد البلاء..):** فيه دليل علىٰ استحباب الاستعاذة من هذه الأمور الأربعة المذكورة بحديث الباب، وهي كلمات جامعة تشتمل علىٰ السلامة من شرور الدنيا والآخرة.

- جهد البلاء: ويدخل فيه المصائب والفتن، والأمراض التي لا يتحملها أو علاجها، والديون التي لا يستطيع وفاءها، والأخبار المنغصة التي تحزنه وتشغل قلبه بما لا يصبر عليه، ويدخل فيه كما قال بعض السلف: قلة المال مع كثرة العيال.

- درك الشقاء: والشقاء ضد السعادة، وهو: إما دنيوي وهو انشغال القلب والبدن بالمعاصي واللهث وراء الدنيا والملهيات، وعدم التوفيق، وإما أخروي بأن يكون المرء من أهل النار والعياذ بالله.

- سوء القضاء: والمراد: المقضي الذي يسوء ويحزن، أما قضاء الله الذي هو حكمة وفعله فكله خير لا شرَّ فيه أبداً، كما قال النبي ﷺ: (والشر ليس إليك)، وفيه مشروعية الاستعاذة من البلاء قبل وقوعه، لكن إذا وقع فالواجب فيه الصبر مع الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره.

قَالَ سُفْيَانُ: الْحَدِيثُ ثَلَاثٌ،[1] زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ...).



(١) وَلِمُسْلِمٍ: أَشُكُّ أَنِّي...

-٩٨-

ويدخل فيه الاستعاذة من اتخاذ القرارات الخاطئة التي تضر العبد في دينه أو دنياه.

- شماتة الأعداء: فالمرء غالبًا لا يسلم من الأعداء في الدين أو في الدنيا، فيستحب له أن يتعوذ بالله أن لا يجعله محل شماتة وسخرية لهم، بما قد يقع عليه من مصائب أو معايب في دينه ودنياه، نسأل الله السلامة والعافية.

- حديث الباب وما اشتمل عليه من دعاء جليل عظيم هو من جوامع الكلم التي أُوتيها النبي ﷺ، وقد جمع الاستعاذة من شرور الدنيا والآخرة.

كِتَابُ التَّوْبَةِ

بَابُ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ

١٣٤١ ـ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**(١).

بَابُ فَرَحِ اللهِ تَعَالَى بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ*

١٣٤٢ ـ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه حَدِيثَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ: (قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا. قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ) قَالَ: **لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ**(٢)، **حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ (الْحَرُّ وَ)الْعَطَشُ (أَوْ مَا شَاءَ اللهُ) قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي**(٣).

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه: **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ.**
وَفِي رِوَايَةٍ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **فَطَلَبَهَا.**

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ.**

كتاب التَّوبة

الفوائد

• باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة

– المراد: مقدار استغفاره في كل يوم.

– **(والله إني لأستغفر الله):** فيه القسم على الشيء، تأكيدًا له، وإن لم يكن عند السامع فيه شك.

– **(لأستغفر الله وأتوب إليه):** قال ابن حجر رحمه الله: ظاهره أنه يطلب المغفرة ويُقْدِمُ على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد أنه يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني: ما أخرجه النسائي في الكبرى عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: (إنا كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة). وهذا قد يفسر ما أُبهم في حديث الباب من قوله (أكثر من سبعين مرة) وأنه يبلغ المائة.

– وعند مسلم: (إنه ليُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة). قال عياض: المراد بالغَيْن: فتراتٌ عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عدَّ ذلك ذنبًا فاستغفر عنه.

– ولا يَستَشْكِل وقوعُ الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع المعصية؛ لأن الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة، لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره، معترفون بالتقصير. وقيل: أن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة، فهو كالشفاعة لهم، والله أعلم.

• باب فرح الله تعالى بتوبة عبده

* **حديث الحارث بن سويد:**

– **(حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه قال: إن المؤمن):** فذكره إلى قوله: (فوق أنفه)، ثم قال: (لله أفرح بتوبة عبده) هكذا وقع في هذه الرواية غير مصرَّح برفع أحد الحديثين إلى النبي ﷺ. قال النووي رحمه الله: المرفوع (لله أفرح..) إلى آخره، والأول قول ابن مسعود رضي الله عنه، وكذا جزم ابن بطال بأن الأول هو الموقوف، والثاني هو المرفوع، وهو كذلك ا.هـ.

– **(إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل..):** قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منوَّر، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما تنوَّر به قلبه عَظُم الأمر عليه. قال: والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يَحْصُل التَّسَبُّب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة.

– وفيه بيان لحال المؤمن بأنه يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السَّيِّئ.

– **(وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب..):** أي ذنبه سهلٌ عنده، لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر، كما أن ضرر الذباب سهل عنده، وكذا دفعه عنه: (فقال به هكذا): أي: نحَّاه بيده أو دَفَعَه.

قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم، فوقوع الذنب خفيف عنده، ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وُعِظ يقول: هذا سهل ا.هـ.

– ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره.

– وفيه ضرب المِثال بما يمكِن، وإرشاد إلى محاسبة النفس، وفيه الحضُّ على الخوف من الله وتعظيم حرماته، وأن ذلك من دلائل الإيمان: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، فالمعظم لحرمات الله يبرهن على تقواه لله وإيمانه به؛ لأن تعظيمها من تعظيم الله ﷻ وصحة الإيمان به.

– **(لله أفرح بتوبة عبده):** فيه إثبات صفة الفرح لله ﷻ على الوجه اللائق بجلاله وكماله، وفيه بيان عظم رحمة الله تعالى بعباده، وسعة فضله وبره وإحسانه، قال ابن القيم رحمه الله: وهذه فرحة إحسان وبر ولطف لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها ا.هـ. فالله هو الغني الذي بيده مقاليد السموات والأرض، لكنه هو البر الرحيم الودود الذي يحب لعباده التوبة، وهو الذي يتوب عليهم فيوفقهم إلى التوبة ويتقبلها منهم ويفرحُ بها برًّا منه وتفضلًا وإحسانًا، فتبارك ربنا الرحمن الرحيم التواب الغفور.

فَرَجَعَ[1] فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ[2].

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ بِنَحْوِهِ (مُخْتَصَرًا)[3].

بَابُ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾

١٣٤٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ ـ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ[4]، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا؛ إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ،

(١) وَلِمُسْلِمٍ: فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: غَزَا غَزْوَةَ تَبُوكَ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ.

ـ ١٠٠ ـ

المفردات

- **حين تَخَلَّف**: أي: زمان تخلفه.
- **عن قصة**: متعلق بقوله: (يحدِّث).
- **وَلم يُعاتب أحدًا**: في رواية الكشميهَنيّ: (ولم يعاتب الله أحدًا).
- **على غَير ميعاد**: أي: ولا إرادة قتال.
- **تَوَاثَقْنَا**: أي: أخذ بعضنا على بعض الميثاق لما تبايعنا على الإسلام والجهاد.
- **أَذْكر في الناس**: أي: أعظم ذكرًا بالفضل، وشهرة بين الناس.
- **فَجَلَّى**: أي: أَوْضَح.
- **أُهْبَة غزوهم**: الأُهبة: ما يُحتاج إليه في السفر والحرب.

الفوائد

• **باب قول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾**

– أي: خلِّفوا عن غزوة تبوك. وقيل: خُلِّفوا أي: أرجئ أمرهم في التوبة، ويدل على الثاني حديث الباب.

وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية ﷺ وكلهم من الأنصار.

– **(غير أني كنت تخلفت عن غزوة بدر)**: قال ابن حجر: هو استثناء من المفهوم في قوله: (لم أتخلف إلا في تبوك) فإن مفهومه: أني حضرت في جميع الغزوات ما خلا غزوة تبوك، والسبب في كونه لم يستثنهما معًا بلفظ واحد: كونه تخلف في تبوك مختارًا لذلك مع تقدم الطلب، ووقوع العتاب على من تخلَّف، بخلاف بدر في ذلك كله، فلذلك غاير بين التخلفين ا.هـ.

ـ (وما أحب أن لي بها مشهد بدر): أي: أن لي بدلها؛ لأن من شهد بدرًا وإن كان فاضلًا بسبب أنها أول غزوة نُصر فيها الإسلام، لكن بيعة العقبة كانت سببًا في فشوِّ الإسلام، ومنها نشأ مَشْهَدُ بدر.

– **(إلا ورَّى بغيرها)**: أي: أوهم غيرها، والتورية: أن يذكر لفظًا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب، وهو يريد البعيد، وزاد أبو داود: (وكان يقول: الحرب خَدعة).

والمراد أنه كان إذا أراد أمرًا فلا يظهره، كأن يريد أن يغزو جهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب، ويتجهز للسفر، فيظن السامع أنه يريد جهة الغرب، أما أن يصرح بإرادته الغرب وهو يريد الشرق فلا، والله أعلم.

– **(غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد..)**: وكانت في رجب من العام التاسع الهجري، وسُميت غزوة تبوك نسبة إلى مكان هو عين تبوك التي انتهى إليها الجيش الإسلامي. وللغزوة اسم آخر، وهو غزوة العُسرة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

وسميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقًّا لقلة المؤونة وقلة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة.

ونظرًا لتلك الظروف صرَّح النبي ﷺ بجهة الغزو على غير عادته، وذلك للتَّأهُّب والإعداد لهذا السفر الطويل الشاق، وحث الناس على الإنفاق في سبيل الله قائلًا كما عند البخاري من حديث عثمان بن عفان ﷺ: (من جهَّز جيش العسرة فله الجنة).

فاستجاب الصحابة ﷺ ومنهم عثمان وأبو بكر وعمر ﷺ جميعًا، وكذلك أغنياء الصحابة، فجاؤوا بالصدقات العظيمة، والفقراء منهم جاؤوا بما يقدرون عليه من الصدقات، فضربوا أروع الأمثلة في البذل والإنفاق والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فـ ﷺ وأرضاهم أجمعين.

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ[(١)]، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ـ يُرِيدُ الدِّيوَانَ ـ. قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ[(٢)]، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا (وَفِي رِوَايَةٍ: خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ)، فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ (بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ)، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ. فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ـ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ ـ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: **مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ! فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[(٣)]. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: يَزِيدُونَ عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**. فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

المفردات

- **كِتَابٌ حَافِظٌ**: بالتنوين فيهما، وفي رواية مسلم بالإضافة.
- **الجِدُّ**: هو الجِدُّ في الشيء والمبالغة فيه.
- **وتَفَارَط**: أي: فات وسبق.
- **مَغْمُوصًا**: أي: مطعونًا عليه في دينه متهمًا بالنفاق.
- **حَبَسَه بُرداه ونظره في عِطفه**: كُنِّي بذلك عن حسنه وبهجته، والعرب تسمي الرداء بصفة الحسن، وتسميه عطفًا لوقوعه على عطفي الرجل -أي جانباه-.

الفوائد

- **(يريد الدّيوان)**: هو كلام الزُّهري، وأراد بذلك الاحتراز عما وقع في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اكتبوا لي من تلفَّظ بالإسلام) وقد ثبت أن أول من دوَّن الديوان عمر رضي الله عنه.
- **(فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو)**: فيه خطر التسويف في الطاعة، وأن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها، لئلا يحرمها، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].
- **(وليتني فعلت)**: فيه جواز تمني ما فات من الخير، والندم على المعصية، وهو من شروط قبول التوبة، وهو ركنها الأعظم الذي يترتب عليه بقية الأركان من الإقلاع والعزم على عدم العود، وتدارك الحقوق ما أمكن، ولكن لا ينبغي للعبد أن يفرط في الندم والحزن بعد المعصية، لأنه يفتح بابًا للشيطان فيوسوس له باليأس من رحمة الله فيسيء الظن بالله ﷻ أنه لا يقبل توبته قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣].
- **(أو رجلًا ممن عَذَر الله من الضعفاء)**: فيه أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، وقد عذرهم الله تعالىٰ في كتابه الكريم فقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٩١].
- **(ما فعل كعب؟)**: فيه سؤال الإمام عن رعيته، وعنايته بأصحابه، وفيه أن الإمام لا يهمل من تخلَّف عنه في بعض الأمور، بل يذكِّره ليراجع التوبة، أو يستدرك إن كان في الإمكان.
- **(حبسه بُرداه..)**: قاله حميَّة لله ورسوله بما غلب على اجتهاده.
- **(فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت!)**: فيه جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الرادِّ وَهْمُ الطاعن أو غلطه.
- **(والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا)**: جواب القَسم، وجملة النداء معترضة للاهتمام والاعتناء، وفيه تبرئة معاذ رضي الله عنه لكعب رضي الله عنه مما رماه الرجل به من العجب وغيره من النقائص المريبة، وفيه جواز مدح الرجل بما فيه من الخير إذا أُمنت عليه الفتنة.
- **(فَسَكَتَ رسول الله ﷺ)**: أي: مُقرًا لإنكار معاذ رضي الله عنه على من تلبَّس بالغيبة، وتشريعًا لمثله بالرد على المغتاب.

المفردات

- **فَأَجْمعتُ صِدْقَه:** أي: جزمت بذلك، وعقدت عليه قصدي.
- **ولقد أُعطِيت جدلًا:** أي: فصاحة وقوة كلام، بحيث أخرج عن عهدة ما يُنسَبُ إلي بما يُقبل ولا يُرد.
- **تَجِدُ عليَّ:** أي: تغضب.
- **وَثَار رجال:** أي: وثبوا.
- **يُؤَنّبوني:** من التأنيب، وهو اللَّوم العنيف.

الفوائد

- **(بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين):** فيه أنه يستحب للقادم أن يكون علىٰ وضوء، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته، فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه.
- **(فقبل منهم رسول الله ﷺ..):** فيه قبول المعاذير، والحكم بالظاهر، ووكول السرائر إلىٰ الله ﷻ.
- **(ولئن حدثتك حديث صدق تَجِدُ عليَّ فيه..):** فلم يعتذر كما اعتذر غيره، ولم ينافق كما نافق الآخرون، إنما صدع بالحق، وجاء علىٰ ذكر الحقيقة كما هي، فجاء تصديق ذلك من رسول الله ﷺ حيث قال: (أما هذا فقد صدق، فقم حتىٰ يقضي الله فيك) وفيه عظم قدر الصدق في القول والفعل، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من شرهما به.
- **(قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك):** احتجوا عليه في صحة نصيحتهم له بأن استغفار رسول الله ﷺ له كان كافيًا لمغفرة الله له، وقد همَّ بأن يرجع عن قوله عند رسول الله ﷺ، ولكن ثبته الله تعالىٰ، وزاد من ثباته أن هناك رجلين صالحين لَقِيَا ما لقي، وأن رسول الله ﷺ قال لهما مثل ما قال له، وفيه تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير.
- **(تَبَسَّم تبسُّم المغضب):** فيه إظهار الإمام غضبه علىٰ من قصَّر في الواجب وأن التبسُّم قد يكون عن غضب، كما يكون عن تعجب، ولا يختص بالسرور، وفيه أن الإمام إذا استنفر الجيش عمومًا لزمهم النَّفير، ولَحِقَ اللَّوم بكل فردٍ لو تخلَّف؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[التوبة: ١٢٠].

أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا؛ زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ (فِيهِ كَذِبٌ)، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ. وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَكَانَ قَلَّمَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ سَافَرَهُ إِلَّا ضُحًى -، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: **تَعَالَ!** فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: **مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟** فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**. فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ! قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ. فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ: رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ،

- ١٠٢ -

وفيه أن الجهاد كان فرض عين في عهد النبي ﷺ، وهو وجه عند الشافعية، وعليه فإن اللَّوم يتوجَّه علىٰ من تخلَّف مطلقًا إلا لعذر سواء كان من الأنصار أو المهاجرين أو غيرهما، وبه يُرد علىٰ من قال أن الجهاد كان في عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية؛ لكنه علىٰ الأنصار فرض عين؛ لأنهم بايعوا علىٰ ذلك، فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة؛ لأنها كالنَّكث لبيعتهم.

فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ (وَفِي رِوَايَةٍ: وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ). فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ! هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ[1]، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ.

- ١٠٣ -

المفردات

- **فَاسْتَكَانا:** أي خضعا.
- **مِن جَفْوَةِ الناس:** أي: إعراضهم.
- **حتى تسوَّرت:** أي: علوت سور الدَّار.
- **أَنْشُدُك:** أي: أسألك.
- **نَبَطي من أَنْباط الشَّام:** نسبة إلىٰ استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفِلاحة، وقيل: ينسبون إلىٰ نبيط بن هانب. وكان هذا النبطي نصرانيًّا.

الفوائد

- **(فَاجْتَنَبَنا الناس..):** فيه جواز هجر المذنب وترك السلام عليه وترك الرَّد، وجواز هجره فوق ثلاثة أيام، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول علىٰ من لم يكن هجرانه شرعيًّا.
- **(وقعدا في بيوتهما يبكيان):** فيه أن من عُوقب بالهجر يُعذَر في التخلف عن صلاة الجماعة؛ لأن مرارة وهلال رضي الله عنهما لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة.
- **(هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أو لا؟):** فيه سقوط رد السلام علىٰ المهجور عمن سلَّم عليه؛ إذ لو كان واجبًا لم يقل كعب رضي الله عنه: (هل حرَّك شفتيه برد السلام..).
- **(وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني):** فيه أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها، ولا تبطلها.
- **(حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة..):** فيه جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه، ومن غير الباب إذا علم رضاه، وفيه أن قول المرء: (الله ورسوله أعلم) ليس بخطاب ولا كلام، ولا يحنث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم يَنو به مكالمته، وفيه إيثار طاعة الله ورسوله علىٰ مودة القريب، وفيه فضيلة لأبي قتادة لاستجابته لأمر رسول الله ﷺ.
- **(فطفق الناس يشيرون له):** أي: يشيرون له إلىٰ كعب رضي الله عنه ولا يتكلمون بقولهم مثلًا: هذا كعب، مبالغة في هجره والإعراض عنه، وفيه استحباب هجران أهل البدع والمعاصي الظاهرة، وترك السلام عليهم ومقاطعتهم تحقيرًا لهم وزجرًا.

أنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ! فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ(١) إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: **لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ**. قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ! فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ: قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ! أَبْشِرْ! قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ.

- ١٠٤ -

المفردات

- **بِدَار هَوَان ولا مَضْيَعَة:** أي: حيث يضيع حقك.
- **نُواسِك:** من المُواساة، وفي رواية: (في أموالنا، فقلت: إنا لله قد طَمِع فيَّ أهل الكفر).
- **فتَيَمَّمْتُ:** أي: قَصَدتُ.
- **التَّنُّور:** ما يُخْبَزُ فيه.
- **فسَجَرته بها:** أي أوقدته، وأنَّث الكتاب على معنى الصحيفة.
- **أوْفَى:** أي: أشرف واطَّلع.
- **وآذن:** أي: أَعْلَم.

الفوائد

- **(فسَجَرته بها):** قال النووي ﵀: فيه جواز إحراق ما فيه ذكر الله تعالى لمصلحة، كما فعل عثمان والصحابة ﵃ بالمصاحف التي هي غير مصحفه الذي أجمعت الصحابة عليه، وكان ذلك صيانة فهي حاجة، وموضع الدلالة من حديث كعب أنه أحرق الورقة وفيها: «لم يجعلك الله بدار هوان» ا.هـ.
- وفيه إتلاف أو إخفاء ما يخاف من إظهاره مفسدة، وفيه حسم المادة لما يخشى منه الفتنة على النفس؛ لأن كعبًا ﵁ لما احتُمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومَنَع الجواب.
- قال ابن حجر ﵀: ودلَّ صنيع كعب ﵁ على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمِله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، ومع ذلك غلب عليه دينه، وقويَ عنده يقينه، ورجَّح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دُعِي إليه من الراحة والنعيم، حبًّا في الله ورسوله، كما قال ﷺ: (وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما) ا.هـ.
- **(فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك):** فيه طاعة كعب ﵁ وانقياده لله ورسوله ﷺ، وفيه أن قول الرجل لامرأته: (الحقي بأهلك) ليس بصريح طلاق، ولا يقع به شيء إذا لم ينو به الطلاق.
- **(ولكن لا يقربك):** فيه استحباب الكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالنساء ونحوها.
- **(قد ضاقت علي نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت):** فيه عظم أمر المعصية، وقد نبَّه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالًا حرامًا، ولا سفكوا دمًا حرامًا، ولا أفسدوا في الأرض، وأصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟!
- **(يا كعب بن مالك! أبشر! قال: فخررت ساجدًا..):** فيه مشروعية سجود الشكر عند تجدد النِّعم، واستحباب التبشير بالخير، والاستباق إليه.

سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: **أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ!** قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: **لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ.** وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.** قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ

- ١٠٥ -

الفوائد

- (وكان الصوت أسرع من الفرس): فيه الاستباق إلىٰ البشارة بالخير؛ لما فيه من طمأنينة النفس وسعادتها وسرورها، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٢٢٣]، وقد قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: (وبشروا ولا تنفروا).

- (نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه): فيه مكافأة البشير علىٰ بشراه، وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي أتته البشارة، وأن إعطاء البشير من مكارم الأخلاق والشيم وعادة الأشراف.

- (والله ما أملك غيرهما يومئذٍ): يريد من جنس الثياب، وقد ورد في رواية ابن أبي شيبة التصريح بذلك ففيها: (و والله ما أملك يومئذٍ ثوبين غيرهما).

- (فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنوني بالتوبة): فيه استحباب تهنئة من تجددت له نعمة؛ لما في ذلك من إظهار محبة المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، مما يشيع المحبة والألفة بين المسلمين.

- (فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني): فيه استحباب مصافحة من تجددت له نعمة، والقيام له إظهارًا للفرح والسرور بما ناله من الخير.

- (ولا أنساها لطلحة): قيل: سبب ذلك أن النبي ﷺ كان آخىٰ بينه وبين طلحة لمَّا آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، وفيه حفظ الفضل لذي الفضل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة:٢٣٧].

- (أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك): استُشكل هذا الإطلاق بيوم إسلامه، فإنه مرَّ عليه بعد أن ولدته أمه وهو خير أيامه، وأحسن ما أُجيب به: أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته، ويوم توبته مكمِّل لها فهو خير من جميع أيامه، وإن كان يوم إسلامه خيرها، فيوم توبته المضاف إلىٰ إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها.

- (وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر): فيه سرور الإمام بما ينال أتباعه من الخير، وإظهار الفرح بذلك، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من كمال الشفقة علىٰ أمته والرأفة بهم والفرح بما يسرهم.

- (إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله..): فيه أن للصدقة أثرًا في قبول التوبة التي يتحقق بحصولها محو الذنوب، والحجة فيه تقرير النبي ﷺ له علىٰ قوله المذكور.

- (أمسك عليك بعض مالك): استُدل به علىٰ كراهة التصدق بجميع المال، وقال النووي: مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه، ولا له عيال لا يصبرون، ويكون هو ممن يصبر علىٰ الإضاقة والفقر، فإن لم يجمع هذه الشروط فهو مكروه ا.هـ.

والتصدق بجميع المال يختلف باختلاف الأحوال: فمن كان قويًا علىٰ ذلك، يعلم من نفسه الصبر، لم يمنع، وعليه يتنزل فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإيثار الأنصار علىٰ أنفسهم المهاجرين، ولو كان بهم خصاصة، فمن لم يكن كذلك فلا، وعليه يتنزل: (لا صدقة إلا عن ظهر غنىٰ) وفي لفظ: (أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ) متفق عليه.

أي: أفضل الصدقة ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدق محتاجًا بعد صدقته إلىٰ أحد.

- (إن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت): فيه فضل الصدق، فالصدق ينجي السالك، والكذب يؤدي به إلىٰ المهالك، ولذلك قال كعب رضي الله عنه: (فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا).

كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي، مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أُمَّ سَلَمَةَ! تِيبَ عَلَى كَعْبٍ**. قَالَتْ: أَفَلَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: **إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ**).

بَابُ تَوْبَةِ مَنْ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا*

١٣٤٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ(١)، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ(٢)، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا(٣). فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا،**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ، حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ...

- ١٠٦ -

المفردات

- **وأَرْجَأَ**: أي أخَّرَ.
- **يَحْطِمَكُم الناس**: أي: يتزاحموا عليكم.
- **فَنَاء**: أي: فَبَعُدَ.

الفوائد

- **(إنما هو تخليفه إيانا..)**: حاصله: أن كعبًا رضي الله عنه فسر قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾[التوبة:١١٨] أي: أُخِّروا حتىٰ تاب الله عليهم، لا أن المراد أنهم خُلِّفوا عن الغزو. قال ابن جرير: فمعنىٰ الكلام: لقد تاب الله علىٰ الذين أُخِّرت توبتهم ا.هـ.
- **(ورسول الله ﷺ عند أم سلمة)**: فيه فضيلة أم سلمة رضي الله عنها ونزول الوحي علىٰ رسول الله ﷺ وهو في بيتها، وفيه مشاركة أم سلمة رضي الله عنها عائشة رضي الله عنها في شرف نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ وهو في بيتها بعد أن كانت عائشة رضي الله عنها تنفرد بتلك الميزة وتباهي بها ضرائرها، وفي الصحيحين من حديث أسامة رضي الله عنه أن جبريل جاء النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وهو في بيتها وهي عنده فجعل يحدث النبي ﷺ.
- **(وكانت أم سلمة محسنة في شأني..)**: فيه فضيلة رضي الله عنها، ورحمتها وشفقتها علىٰ المسلمين، وعنايتها بشؤونهم، وفرحها واستبشارها لما ينالهم من الخير.
- **(أفلا أرسل إليه فأبشره؟)**: فيه أدب أم سلمة رضي الله عنها ورجاحة عقلها وحكمتها، فلم تسارع بإشاعة البشرىٰ مع علمها بأفضلية ذلك حتىٰ استأذنت النبي ﷺ.
- **(إذًا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة)**: فيه دِقة نظر النبي ﷺ، وتقديره لعواقب الأمور، وتحريه الوقت المناسب لإشاعة الخبر، ومراعاته لراحة أهل بيته وشفقته ورحمته بهم.
- حديث الباب فيه سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التوبة:١١٧] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].
- وفيه فضيلة كعب رضي الله عنه وما أنعم الله به عليه من الإيمان بالله ورسوله، والرضا والتسليم لأمر الله ورسوله، وحسن الظن بالله، وانتظار الفرج، وفيه تثبيت الله تعالىٰ لكعب ولزومه الصدق مع النبي ﷺ، وعدم استجابته لدعوة ملك غسَّان، ولزومه أمر النبي ﷺ وطاعته له حتىٰ أتاه الفرج من رب العالمين، وفيه عظيم شكره لله علىٰ ما أنعم به عليه من التوبة عليه والمغفرة له، بالصدقة ومعاهدة الله علىٰ الصِّدق ما بقي، فـ رضي الله عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ وآله أجمعين.

• **باب توبة من قتل تسعة وتسعين إنسانًا**

- حديث الباب فيه بيانٌ لسعة رحمة الله ﷻ، وقبوله لتوبة التائبين، مهما عظمت ذنوبهم وكبرت خطاياهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فمن ظن أن ذنبه أكبر من أن تتسع له رحمة الله فقد ظن بربه ظن السَّوء، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] فكما أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب فكذلك القنوط من رحمة الله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

ولكن لابد من صدق النية في طلب التوبة، وسلوك الطرق والوسائل المؤدية إليها والمعينة عليها، كما فعل هذا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا.

- **(ثم خرج يسأل)**: ولمسلم: (عن أعلم أهل الأرض) فيه أن استشعار الذنب هو أول طريق التوبة وسلوك سبيلها، فهذا الرجل استعظم ذنبه ولذلك سأل عن أعلم أهل الأرض ليسأله، وفيه أهمية وشرف العلم وأهله، وأنه عند الشدائد والمهمات يُحتاج لعلمهم، وإليهم يفزع الناس في ظلمات المحن ليستنيروا بعلمهم، ويسترشدوا برأيهم، فالعلماء ورثة الأنبياء، وهم النجوم التي يهتدىٰ بها في ظلمات الفتن والمُلمات.
- **(فأتى راهبًا)**: فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسىٰ عليه السلام؛ لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نُصَّ عليه في القرآن الكريم.
- **(ائت قرية كذا وكذا)**: ولمسلم: (فإن بها أناسًا يعبدون الله..) وفيه بيان لأثر البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والأصحاب والجلساء علىٰ سلوكه وأخلاقه، وفيه أن من أعظم الأسباب التي تعين علىٰ الاستقامة والتوبة: صحبة أهل الخير والصلاح، الذين يذكرونه إذا نسي، وينبهونه إذا غفل، ويردعونه إذا زاغ.

الفوائد

- **(فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب)**: فيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلىٰ ما يكتبونه مطيعًا أو عاصيًا، وأنهم يختصمون في ذلك حتىٰ يقضي الله ﷻ بينهم.

- وفي الحديث: مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتىٰ من قتل الأنفس، ويُحمل علىٰ أن الله تعالىٰ إذا قبل توبة القاتل تكفَّل برضا خصمه.

- وفيه فضل العالم علىٰ العابد؛ لأن الذي أفتاه أولًا بأن لا توبة له، غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه علىٰ قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأتاه بالصواب ودلَّه علىٰ طريق النجاة.

- وفيه إشارة إلىٰ قلة فطنة الراهب؛ لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ علىٰ القتل حتىٰ صار عادة له، بأن لا يُواجِهَهُ بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مدرأةً عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحًا في عدم قبول توبة القاتل، فضلًا عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنونًا.

- وفيه توجيه للدعاة إلىٰ الله تعالىٰ، لئلا ييأسوا من هداية الناس مهما عظمت ذنوبهم، فالنفس البشرية لا تعدم الخير كليًّا، فعلىٰ الدعاة أن يحاولوا مرات ومرات، حتىٰ تنفتح مغاليق القلوب، وأن يترفقوا بالناس، ويبثوا الأمل في نفوسهم، ويعظموا في قلوبهم حسن الظن بالله ﷻ.

- وفيه كذلك وجوب تحصن الداعية بالعلم، والتبصُّر بالواقع، كما كان العالم بصيرًا بواقع هذا الرجل، عالمًا بحال أهل قريته.

- وفيه فضل القرب من الله والتوبة إليه، فلحظات قصيرة من التوجه إلىٰ الله رجحت بحياة طويلة في التِّيه والظلم والضلال لما تداركته رحمة الله، فاللهم وفقنا إلىٰ توبة نصوح لا نشقىٰ بعدها أبدًا.

• بابٌ: إن رحمتي غلبت غضبي

- **(إن رحمتي غلبت غضبي)**: وفي رواية عند البخاري: (سبقت غضبي) قال الطيبي: في سَبْق الرحمة إشارة إلىٰ أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك.

• بابٌ: جَعَلَ الله الرحمة مائة جُزء

- **(خلق الله الرحمة مائة جزءٍ)**: فيه دليل علىٰ أن الرحمة المذكورة في الحديث هي رحمة مخلوقة وليست هي رحمة الله التي هي صفته الملازمة لذاته ﷻ، وإنما هي رحمة خلقها الله لعباده، وأرسلها فيهم يتعاطفون ويتراحمون بها، وهذه الرحمة خلقها الله ﷻ يوم خلق السموات والأرض كما عند مسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: (إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة).

فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ[١]، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ[٢]: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا. فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ؛ فَغُفِرَ لَهُ.

بَابٌ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي*

١٣٤٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَى نَفْسِهِ.** (وَفِي رِوَايَةٍ: كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ) ـ، **فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي.**

بَابٌ: جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ

١٣٤٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **جَعَلَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: خَلَقَ ـ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ[٣]، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا[٤]، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ[٥].** وَفِي رِوَايَةٍ: **فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ[٦].**

---

(١) وَلِمُسْلِم: فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ! وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ! فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ.

(٢) وَلِمُسْلِم: الْمَلَكُ.

(٣) وَلِمُسْلِم مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه: كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

(٤) وَلِمُسْلِم فِي رِوَايَةٍ: بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا.

(٥) وَلِمُسْلِم فِي رِوَايَةٍ: وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٦) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ.

ـ ١٠٧ ـ

- **(فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا..)**: ولمسلم في رواية: (وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) قال ابن حجر رحمه الله: ووقع في حديث سلمان عند مسلم في آخره من الزيادة (فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة)، وفيه إشارة إلىٰ أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضًا، وصرَّح بذلك المهلب فقال: الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم ا.هـ.

- **(حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها..)**: قال ابن أبي جمرة: خصَّ الفرس بالذِّكر؛ لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخِفَّة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلىٰ ولدها.

- في الحديث بيان عظمة رحمة الله بعباده، فمن تأمل هذه الرحمة التي خلقها لعباده مائة جزءٍ، وهي من آثار رحمته التي وسعت كل شيء أحبَّ الله وأقبل عليه رجاء ما عنده من الرحمة، وفيه إدخال السرور علىٰ المؤمنين، وفيه الحث علىٰ الإيمان بالله والسير إليه بين الخوف والرجاء كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء:٥٧].

بَابٌ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا*

١٣٤٧ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ (قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا بِسِقْيٍ)، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: **أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟** قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ: **لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا.**

بَابٌ: لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ*

١٣٤٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ.** قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ [بِمَغْفِرَةٍ][(١)] وَرَحْمَةٍ.**

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ.**

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)؛ **فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا،** (وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ). (وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا).

بَابٌ: مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ عز وجل*

١٣٤٩ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ؛[(٢)] يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ[(٣)].**

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَ...**
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **وَيُعْطِيهِمْ.**

- ١٠٨ -

المفردات

- **قَدِمَ على النبي ﷺ سَبْيٌ**: هذا السَّبي هو سبي هوازن.
- **قَدْ تحلَّب**: أي: سَالَ لبن ثديها لكثرته لعدم وجود ولدها معها.
- **أَتُرون؟**: أي: أتظنون؟
- **يَتغمَّدني**: أي: يسترني.
- **لَنْ يُشَادَّ**: المشادة: المغالبة، والمعنىٰ: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب.
- **الغَدْوَة**: الغدو: السير أول النهار.
- **الرَّوْحَة**: الرَّواح: هو السير من أول النصف الثاني من النهار.
- **الدُّلجة**: سير الليل.
- **القَصْدَ القَصْدَ**: بالنصب علىٰ الإغراء أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل، واللفظ الثاني للتأكيد.

الفوائد

• **باب: الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها**

- **(فإذا امرأة من السَّبي (قد تحلَّب ثديها بسِقْيٍ))**: وعند مسلم: (فإذا امرأة من السَّبي تبتغي) من الابتغاء وهو الطلب، وعند البخاري في رواية: (تَسْعَىٰ): قال النووي: كلاهما صواب، فهي ساعية طالبة مبتغية لولدها ا.هـ.

وفي رواية الإسماعيلي: (إذا وجدت صبيًّا أخذته فأرضعته، فوجدت صبيًّا فأخذته فألزمته بطنها) وعُرف من سياقه أنها كانت فقدت صبيا، وتضررت باجتماع اللبن في ثديها، فكانت إذا وجدت صبيًّا أرضعته ليخف عنها، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته.

- **(قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه)**: أي: لا تطرحه طائعة أبدًا.
- **(لَـلَّه أرحم بعباده)**: المراد: من مات علىٰ الإسلام، وفيه إشارة إلىٰ أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فُرض أن فيه رحمة ما حتىٰ يُقصد لأجلها فالله ﷻ أرحم منه، فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة.

- في الحديث جواز النظر إلىٰ النساء المسبيات، وفيه ضرب المثل بما يُدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصل معرفة الشيء علىٰ وجهه، وإن كان الذي ضُرب به المثل لا يُحاط بحقيقته؛ لأن رحمة الله لا تُدرك بالعقل، ومع ذلك ربط النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكورة.

• **باب: لا يدخل أحدٌ الجنة إلا برحمة الله**

* **حديث عائشة رضي الله عنها**:

- **(سَدِّدوا)**: أي: الزموا السداد والتوسط، فلا إفراط ولا تفريط، وأشار بذلك أنه ﷺ بُعث مُيسرًا مُسهِّلًا، فأمر أمته بأن يقتصدوا في الأمور؛ لأن ذلك يقتضي الاستدامة.

- **(وقاربوا، وأبشروا)**: أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، وفيه بشارة لمن عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشَّر به تعظيمًا له وتفخيمًا.

- **(قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟)**: وجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر أنه إذا كان مقطوعًا له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله ﷻ، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولىٰ.

- **(إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)**: في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل علىٰ عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله ﷻ، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ﷻ، فكل ذلك بفضله ورحمته.

- **(واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيء من الدُّلجة)**: كأن فيه إشارة إلىٰ صيام جميع النهار، وقيام بعض الليل، وإلىٰ أعم من ذلك من سائر أوجه العبادة.

- وفيه إشارة إلىٰ الحث علىٰ الرفق في العبادة، وعبَّر بما يدل علىٰ السير؛ لأن العابد كالسائر إلىٰ محل إقامته وهو الجنة.

* **حديث أبي هريرة رضي الله عنه**:

- **(إن الدين يُسر)**: أي: دين الإسلام ذو يُسْر، ويُسمَّىٰ الدين يُسْر مبالغة بالنسبة للأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان علىٰ من قبلهم.

- في الحديث: ذم التنطُّع في الدين، والتحذير منه لئلا ينقطع العبد عن سيره إلىٰ الله، وهذا لا يعني منع طلب الأكمل في العبادة، وإنما المراد منع الإفراط الذي يؤدي إلىٰ المطل وترك العبادة.

• **باب: ما أحدٌ أصبر علىٰ أذى سمعه من الله ﷻ**

قال السعدي رحمه الله: هذا الصبر الذي ذكره رسول الله ﷺ عن الله ﷻ لا مثيل له من الصبر، فهو صبر في كمال قوة عظيم القدرة والبطش في مقابلة غاية الإساءة والأذية من الخلق، الذين نواصيهم بيد الله، وليس لهم خروج عن قدرته، وأقواتهم وأرزاقهم وجميع ضروراتهم وحاجاتهم متعلقة بالله، ليس لشيء منها حصول إلا من جوده وخزائنه، ومع ذلك يعافيهم ويرزقهم ا.هـ.

- في الحديث إثبات صفة الصبر لله ﷻ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

المفردات

- **المَدْحُ**: المدح هو الثناء بذكر أوصاف الكمال والإفضال.
- **فَيَضع عليه كَنَفَه**: أي: يستره فلا يفضحه.
- **الأَشْهَاد**: الملائكة أو الأنبياء أو المؤمنون أو الخلق جميعًا.

الفوائد

• باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾

*** حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:**

- **(لا أحد أغير من الله)**: فيه إثبات صفة الغيرة لله ﷻ علىٰ الوجه اللائق بجلاله وكماله.
- **(ولذلك حرم الفواحش)**: وهذا التحريم هو من آثار غيرته ﷻ علىٰ عباده، فإن الله حرمها حفظًا لعباده في دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم، فالله ﷻ يحب عباده، ولا يرضىٰ أن يمسهم أحد بسوء، ولا يلحقهم ضرر، ولذلك حرم المعاصي من القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر وغيرها من الفواحش حفظًا ورعاية لهم.
- **(ولا أحد أحب إليه المدح من الله)**: أي: لا أحد أشد حبًّا للمدح والثناء الصادق الصحيح من الله ﷻ، فهو سبحانه يحب الثناء والشكر من عباده بالطاعة والعبادة والذكر، ويكافئهم عليها بزيادة النعمة والثواب والجنة.
- **(ولذلك مدح نفسه)**: ولذلك أثنىٰ علىٰ نفسه بنفسه ليعلِّم عباده كيفية الثناء عليه فقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

*** حديث المغيرة رضي الله عنه:**

- مناسبة هذا الحديث: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: (لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أتعجبون من غيرة سعد..) الحديث.

وفيه قال رسول الله ﷺ: (لا أحد أحبُّ إليه العذر من الله) عقب قوله: (لا أحد أغير من الله) منبهًا لسعد بن عبادة رضي الله عنه علىٰ أن الصواب خلاف ما ذهب إليه، ورادعًا له علىٰ الإقدام علىٰ قتل من يجده مع امرأته، فكأنه قال: إذا كان الله ﷻ مع كونه أشد غيرة منك يحب الإعذار ولا يؤاخذ إلا بعد الحجة، فكيف تقدم أنت علىٰ القتل في تلك الحالة؟.

- **(ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين)**: أي: لو لم يكن الإعذار وقيام الحجة علىٰ العباد محببًا إلىٰ الله ﷻ لما أرسل الرسل وأنزل الكتب.
- قال عياض: بعث المرسلين للإعذار والإنذار لخلقه قبل أخذهم بالعقوبة، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥] ا.هـ.
- **(ولا أحد أحبُّ إليه المدحة من الله)**: قال القرطبي: ذكر المدح مقرونًا بالغيرة والعذر تنبيهًا لسعد رضي الله عنه علىٰ أنه لا يعمل بمقتضىٰ غيرته ولا يعجل، بل يتأنىٰ ويترفق ويتثبت حتىٰ يحصل علىٰ وجه الصواب، فينال كمال الثناء والمدح والثواب لإيثاره الحق وقمع نفسه وغلبتها عند هيجانها ا.هـ.

• باب ستر الله على المؤمن

- قال المهلب: في الحديث تفضل الله ﷻ علىٰ عباده بستره

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾

١٣٥٠ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ؛ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ.**

• وَفِي حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه: **وَلَا أَحَدَ[1] أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ[2] بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ.**

وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): **لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ.**

• وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ رضي الله عنها: **لَا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ.**

١٣٥١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ[3].**

بَابُ سَتْرِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ*

١٣٥٢ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، (وَيَسْتُرُهُ)، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ! حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ (وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ) قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ.[4] فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ (فَيَقُولُ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **شَخْصَ**. فِي الْمَوْضِعَيْنِ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَ...**
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **الْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرًا.**
(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

- ١٠٩ -

لذنوبهم يوم القيامة، وإنه يغفر ذنوب من شاء منهم، بخلاف قول من أَنفذ الوعيد علىٰ أهل الإيمان؛ لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه ويستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم يُنادَىٰ عليهم علىٰ رؤوس الأشهاد باللعنة ا.هـ.

- **ذنوب العباد علىٰ قسمين:**

أحدهما: معصية بينه وبين ربه ﷻ، فحديث ابن عمر رضي الله عنهما يدل علىٰ أنها قسمين: من تكون معصيته مستورة في الدنيا، فهذا الذي يسترها الله ﷻ عليه في القيامة وهذا هو منطوق الحديث، وقد تكون معصيته مجاهرة، فدل مفهومه علىٰ أنه بخلاف ذلك.

والقسم الثاني: من تكون معصيته بينه وبين العباد، فهم علىٰ قسمين أيضًا: قسم تَرْجَح سيئاتهم علىٰ حسناتهم فهؤلاء إما يغفر الله لهم أو يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوىٰ سيئاتهم وحسناتهم، فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتىٰ يقع بينهم التقاص كما دل علىٰ ذلك حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري: (إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة).

- ولمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (لا يستر الله علىٰ عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة) وفيه بشارة للمؤمن الذي ستر الله عليه بزلته في الدنيا، أن الله ﷻ يستره يوم القيامة، بأن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف.

الْأَشْهَادُ)(١): ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

بَابُ سِعَةِ مَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَى*

١٣٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ! فَأَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ لَهُ.

• (وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ...).

بَابُ مَنْ أَذْنَبَ فَاسْتَغْفَرَ*

١٣٥٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ! أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ! أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، قَالَ: رَبِّ! أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي (ـ ثَلَاثًا ـ)، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ.

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾*

١٣٥٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ)

(١) وَلِمُسْلِمٍ: فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ.

-١١٠-

الفوائد

• باب سِعَة مغفرة الله تعالى

– **(فوالله لئن قدر الله عليه..)**: استُشكل هذا: كيف يُغفر له وهو منكر للبعث والقدرة علىٰ إحياء الموتىٰ؟ وقد أُجيب عليه بأجوبه أظهرها كما رجَّح ذلك ابن حجر رحمه الله: أنه قال ذلك في حالة دهشته وغلبة الخوف عليه حتىٰ ذهب تعقُّله لما يقول، ولم يقله قاصدًا لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه ا.هـ.

– **(فـأمر الله البحـر فجمـع مـا فيـه..)**: في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في صحيح أبي عوانة: (فقال الله له: كن، فكان كأسرع من طرفة العين) وهذا جميعه إخبار عما سيقع يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم: إنه خاطب روحه، فإن ذلك لا يناسب قوله: (فجمعه الله)؛ لأن التحريق والتفريق إنما وقع علىٰ الجسد، وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث.

– في الحديث: سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته، وفيه عظم قدرة الله تعالىٰ أن جمع جسد الرجل المذكور بعد أن تفرَّق ذلك التفريق الشديد.

– وفيه أن مَن غلط من المسلمين في صفة من صفات الله تعالىٰ جهلًا لا يكفر بذلك، وفيه عِظم ثواب خشية الله عز وجل؛ لما في قوله: (ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك، وأنت أعلم. فغفر له).

– هذا الحديث من أحاديث الرجاء التي ينبغي أن تذكر مقرونة بأحاديث الوعيد لئلا يغتر بعض الناس بسعة رحمة الله فيسرفوا علىٰ أنفسهم بالذنوب، ولذلك في صحيح مسلم قال الزهري: إن ابن شهاب ذكر هذا الحديث ثم ذكر حديث المرأة التي دخلت النار وعُذبت بسبب هرة حبستها حتىٰ ماتت جوعًا، ثم قال ابن شهاب: (لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل) ا.هـ. وهكذا يستحب للوعاظ أن يجمعوا بين الخوف والرجاء مع مراعاة حال السامعين، ليستقيم حالهم في سيرهم إلىٰ الله، بلا إرجاء وتفريط، ولا قنوط ويأس من رحمة الله.

• باب من أذنب فاستغفر

– قال القرطبي: حديث الباب يدل علىٰ عظيم فائدة الاستغفار، وعلىٰ عظيم فضل الله عز وجل، وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي يثبُت معناه في القلب مقارنًا للسان لِيَنْحَلَّ به عَقْدُ الإصرار، ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة، لا من قال: استغفر الله بلسانه، وقلبه مُصِرٌّ علىٰ تلك المعصية. ا.هـ. (باختصار).

– قال النووي رحمه الله: في الحديث أن الذنوب ولو تكررت مئة مرة، بل ألفًا وأكثر، وتاب في كل مرة قُبلت توبته، أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته، وقوله: (اعمل ما شئت) معناه: ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك ا.هـ.

– **(أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي)**: فيه عظمة ثواب التوحيد فسبب مغفرة الله للعبد إذا تاب إليه هو إقراره بأن له رب عظيم خلقه ورزقه وملك أمر دنياه وآخرته، وأنه لا مفر له منه إلا إليه، فرجع وتاب واعترف بتقصيره وزلله لخالقه، فتلقاه ربه بالعفو والمغفرة ورحمته التي وسعت كل شيء.

• باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾

– المراد بالحسنات عموم الأعمال الصالحة كالصلاة والصيام وغير ذلك من الطاعات، وقد دل القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية صراحة علىٰ أن تكفير الحسنات للسيئات مشروط باجتناب الكبائر، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).

الفوائد

- **(قال: ولم يسأله عنه)**: أي: لم يَسْتَفْسِره. وقد اختلف نظر العلماء في هذا الحكم: فظاهر ترجمة البخاري (باب إذا أقرَّ بالحدِّ ولم يبيِّن) حمله علىٰ من أقرَّ بحدٍّ ولم يفسِّره فإنه لا يجب علىٰ الإمام أن يقيمه عليه إذا تاب.

- فيه: أن الحدَّ يسقط بالتوبة، وذلك لأن الحسنة التي جاء بها من اعترافه طوعًا بخشية الله ﷻ وحده تقاوم السيئة التي عملها، لأن حكمة الحدود الردع عن العود، وصنيعه ذلك دال علىٰ ارتداعه، فناسب درء الحد عند لذلك، والله أعلم.

- **(فإن الله قد غفر لك ذنبك)**: وهذه المغفرة لا سبيل لمعرفتها إلا بالوحي، فلا يستمر الحكم في غيره إلا فيمن عَلِم أنه مثله في ذلك، وقد انقطع عِلْم ذلك! بانقطاع الوحي بعد النبي ﷺ، ولذلك فإن هذا الحكم يختصُّ بالرجل المذكور.

- قال ابن حجر ؒ: وحمله الخطابي علىٰ أنه يجوز أن يكون النبي ﷺ اطلع بالوحي علىٰ أن الله ﷻ قد غَفر له؛ لكونها واقعة عين، وإلا لكان يستفسره عن الحد ويقيمه عليه.

وقال الخطابي أيضًا: في الحديث لا يكشف عن الحدود بل يدفع مهما أمكن، وهذا الرجل لم يفصح بأمر يلزمه به إقامة الحدِّ عليه، فلعله أصاب صغيرة ظنها كبيرة توجب الحد فلم يكشفه النبي ﷺ عن ذلك ا.هـ.

- قصة هذا الحديث غير القصة التي في حديث ابن مسعود ﵁: (إني أصبت من امرأة قُبلة) ولذلك لا يصح من أن الرجل الذي في حديث الباب هو أبو اليَسَر بن عمرو لاختلاف القصتين.

فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. (قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ). قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ.[1] قَالَ: **أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟** قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ**. أَوْ قَالَ: **حَدَّكَ**.



(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ ﵁: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ...

كتاب المنافقين

المفردات

- **مَنْ عِنْد رسول الله**: أي: الصحابة رضي الله عنهم.
- **ينفضُّوا**: أي: يتفرقوا.
- **فلـوَّوا رُؤُوسَـهـم**: أي: أمالوهـا إعراضًـا ورغبـة عـن الاستغفار.

الفوائد

• باب: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾

- **(في سـفر أصـاب النـاس فيـه شـدة)**: وفي روايـة عند البخاري: (كنت في غزاة) وهـذه الغزاة كما عند النسائي في رواية: أنها غزوة تبوك، والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق، وهو الأقرب -والله أعلم-.
- **(لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا)**: وسبب ذلك القول: الشدة التي أصابت المسلمين في تلك الغزوة، وهذا من شدة عداوتهم للنبي ﷺ، لمَّا رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاته ﷺ، قالوا ذلك بزعمهم الفاسد ظنًّا منهم أنه لولا أموالهم ونفقاتهم على المسلمين لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا ادعاءٌ باطل من هؤلاء الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأذية المسلمين، ولا ينخدع بدعواهم هذه إلا غافل عن حقائق الأمور، ولذلك رد الله على مقالتهم هذه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[المنافقون:٧] فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، وييسر الأسباب لمن يشاء، ويعسرها على من يشاء: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[المنافقون:٧]، ولذلك قالوا هذا ظنًّا منهم أن خزائن الرزق في أيديهم وتحت مشيئتهم.
- **(ليخرجن الأعز منها الأذل)**: وسبب ذلك القول كما في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أن رجلًا من المهاجرين كَسَع رجلًا من الأنصار، فبلغ ذلك ابن سلول فقال مقولته هذه، وفي مرسل قتادة عند الطبري بسند صحيح أنه قال: (نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك) وهذه كلمة الكفر التي قالها، أما همه بما لم ينال فهي قوله: (لئن رجعنا إلى المدينة..) قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾[التوبة:٧٤].
- **(فذكرت ذلك لعمي)**: وقع عند الطبراني وابن مردويه أن المراد بعمه سعد بن عُبادة رضي الله عنه، وليس عمه حقيقة، وإنما هو سيد قومه الخزرج.

كِتَابُ الْمُنَافِقِينَ

بَابٌ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾

١٣٥٦ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ: (كُنْتُ مَعَ عَمِّي) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ ـ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ حَوْلِهِ ـ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ (لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي) لِلنَّبِيِّ ﷺ، (فَدَعَانِي)، (وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَامَنِي الْأَنْصَارُ)، فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ (وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، وَكَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَصَدَّقَهُمْ)، فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، (وَقَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَقَتَكَ). فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾ (وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾)، (وَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَهَا، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾، قَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ.

بَابُ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

١٣٥٧ ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ[1] (نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ)،

(١) وَلِمُسْلِمٍ: مِنْ بَنِي النَّجَّارِ.

- ١١٢ -

- **﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾[المنافقون:٤]، قال: كانوا رجالًا أجمل شيء)**: هذا تفسير لقوله: ﴿تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾[المنافقون:٤] و﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ تمثيل لأجسامهم.
- وفيه: ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات، لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتبتهم، وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف.
- وفيه منقبة لزيد بن أرقم رضي الله عنه، وفيه أنه ينبغي لمن سمع أمرًا يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاة الأمور، ويخاف ضرره على المسلمين أن يبلغه إياه ليتحرز منه، وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه، ولا يعد نميمة مذمومة إلا إذا قصد بذلك الإفساد المطلق، أما إذا كانت فيه مصلحة تُرجَّح على المفسدة فلا.

• باب من كفر بعد الإسلام

- **(كان رجل (نصرانيًّا فأسلم))**: ولمسلم في رواية: (من بني النجار).

وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، (فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ)[1]، فَأَمَاتَهُ اللهُ، فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، (فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ؛ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا، فَأَلْقَوْهُ.) فَحَفَرُوا لَهُ (فَأَعْمَقُوا)، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، (فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، فَأَلْقَوْهُ.) فَحَفَرُوا لَهُ، (وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا)، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، (فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ)، فَأَلْقَوْهُ.

بَابُ قِلَّةِ مَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ*

١٣٥٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَآمَنَ بِيَ الْيَهُودُ.**



(١) وَلِمُسْلِمٍ: فَانْطَلَقَ هَارِبًا، حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَرَفَعُوهُ؛ قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ! فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ.

المفردات

- **لَفَظَتْهُ الأرضُ**: أي: طرحته ورمته خارج القبر.
- **أَعْمَقُوا**: أي: أَبْعَدُوا، جعلوه في حفرة عميقة عن ظاهر الأرض.
- **فَأَلْقَوْهُ**: أي: تركوه منبوذًا كما في رواية.

الفوائد

- **(فأصبح وقد لفظته الأرض)**: فيه آية من آيات الله ﷻ، وهي أن هذا الرجل لما كذب على رسول الله ﷺ، وادَّعى خلاف ما كان يمليه عليه، وكانت دعواه على السِّر الذي لولا استدناء رسول الله ﷺ له لم يقدر على تلك الدعوى، فأظهر الله تعالى فيه تلك الآية، وهي لفظ الأرض له؛ وذلك أنه لما أظهر سرَّ رسول الله ﷺ كانت عقوبته من جنس ذنبه، فأظهرت الأرض من سوءته ما توارى به من كل أحد.
- في الحديث الزجر عن الكذب على رسول الله ﷺ، وسوء عاقبة من يكذب عليه.

• باب قلة من آمن من اليهود

- **(لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود)**: وفي رواية الإسماعيلي: (لم يبق يهودي إلا أسلم) والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذٍ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعًا لهم، فلم يسلم منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام رضي الله عنه. وقد روى أبو نعيم في الدلائل من وجه آخر الحديث بلفظ: (لو آمن بي الزبير بن باطيا وذَوُوه من رؤساء يهود لأسلموا كلهم).
- في الحديث أهمية دعوة الرؤساء والوجهاء في قومهم؛ لأن بهدايتهم للإسلام يهتدي أتباعهم، ولذلك حرص النبي ﷺ على دعوة الملوك فأرسل كتبه إلى الملوك ودعاهم للإسلام.

كتاب القيامة

المفردات

- حَبْرٌ: أي: عَالِم.
- الثَّرَى: هو التراب الندي.
- نَوَاجِذَه: أي: أقصىٰ الأضراس في آخر الحنك.

الفوائد

• باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾

أي: ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر]، أي: تنزه وتعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون.

* **حديث عبد الله بن مسعود ﵁:**

- (إنا نجد): أي: فيما أنزل الله علىٰ موسىٰ ﵇ في التوراة.
- (أن الله يجعل السموات على إصبع..): فيه عظمة الله ﷻ، وفيه إثبات صفة الأصابع لله ﷻ علىٰ الوجه اللائق به ﷻ علىٰ حقيقتها، وتفويض العلم بكيفيتها لله ﷻ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد درج الأئمة علىٰ إثبات صفة الأصابع لله ﷻ في مصنفاتهم، فقد بوَّب الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد: (باب إثبات الأصابع لله ﷻ)، والآجُرِّي في الشريعة: (باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الله ﷻ، بلا كيف) أي: بلا كيف معلوم لخلقه.

ولم يثبت عن أحد من الأئمة أنهم أثبتوا عددًا من الأصابع لله ﷻ، ولم يتعرضوا لذلك، بل يثبتون الصفة علىٰ الوجه اللائق بجلال الله وعظمته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

- (فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه -وفي رواية: تعجبًا- وتصديقًا لقول الحبر): ولذلك قرأ الآية التي فيها الإشارة إلىٰ نحو ما يقول، فضحكه ﷺ واستشهاده بهذه الآية تقرير لقول الحبر، وسبب ضحكه هو سروره؛ لتضافر البينات علىٰ عظمة الله ﷻ، وموافقة القرآن لما وجده هذا الحبر في التوراة، فهذا حُجة عليهم، ودليل علىٰ صدق نبوته ﷺ.

* **حديث أبي هريرة ﵁:**

- (يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه): أي: الأرض والسموات جميعًا في قبضته يوم القيامة، ولمسلم من حديث ابن عمر ﵁: (يأخذ الله ﷻ سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله -ويقبضُ أصابعه ويبسطها- أنا الملك!) أي: وجعل النبي ﷺ يقبض يده ويبسطها، وهذا موافق لقوله

كِتَابُ الْقِيَامَةِ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾

١٣٥٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ (وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْأَنْهَارَ) عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ـ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: تَعَجُّبًا وَ ـ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْجِبَالَ. بَدَلَ: وَالْمَاءَ وَالثَّرَى.

١٣٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**.

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ بِنَحْوِهِ، بِدُونِ: **أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**[1].

(١) وَلِمُسْلِمٍ: يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟.

- ١١٤ -

تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فجميعها بيده ﷻ، وفي قبضته لا يخفىٰ عن علمه منها شيء، ولا يعزب عن قدرته منها مثقال ذرة، وفي ذلك بيان قدرة الله المطلقة في تسخير الكون لقوته.

- وفيه إثبات صفات الله ﷻ من اليد والقبض والبسط كيفما شاء، ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات ذلك وكل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه دون تكييف أو تعطيل أو تحريف أو تأويل كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].
- (أين ملوك الأرض؟): ولمسلم من حديث ابن عمر ﵄: (ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) أي: الذين كانوا يتسلطون علىٰ العباد، ويتجبرون عليهم في الدنيا ظلمًا وعدوانًا، أين الذين كانوا يتكبرون بمالهم وجاههم، فلقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة، حفاة عراة غرلًا. وفيه التحذير من التجبر والتكبُّر، والحث علىٰ التواضع والرحمة والعدل.

بَابُ صِفَةِ أَرْضِ الْمَحْشَرِ*

١٣٦١ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاء عَفْرَاء كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ.**

بَابٌ: كَيْفَ الْحَشْرُ؟

١٣٦٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: **الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ.**

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. ثُمَّ قَالَ: **أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ.**

١٣٦٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا.**

= وَفِي رِوَايَةٍ: **يَأْخُذُ اللهُ ﷯ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ** ـ وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا ـ **أَنَا الْمَلِكُ!** حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟.

- ١١٥ -

المفردات

- **عَفْرَاءَ:** أي: ليست خالصة البياض.
- **كُقْرْصَةِ نَقِي:** أي: الدقيق النَّقي من القشر والنُّخالة.
- **ليس فيها مَعْلَم:** أي ليس فيها علامة من العلامات التي كان يهتدي بها كالطرق والجبال ونحوهما.
- **غُرْلًا:** جمع أَغْرل، وهو الذي بقيت غرلته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان من الذكر.
- **طَرَائِق:** أي: فِرَق.

الفوائد

• باب صفة أرض المحشر

- حديث الباب فيه إشارة إلىٰ زوال أرض الدنيا واضمحلالها، وهذا يؤيد القول بأن تبديل الأرض في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:٤٨]، أنه تبديل في ذاتها وصفاتها، أخرج الطبري في تفسيره موقوفًا علىٰ ابن مسعود ﵁ قال: تُبدل الأرض أرضًا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يُعمل عليها خطيئة.

- قال محمد بن أبي جمرة ﵀: فيه إشارة إلىٰ أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدًّا، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدلٍ وظهور حقٍّ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه علىٰ عباده المؤمنين علىٰ أرض تليق بعظمته؛ ولأن الحكم فيها يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده ا.هـ.

- فيه بيان عظيم قدرة الله ﷻ، وفيه إعلام بجزئيات يوم القيامة بما يدل علىٰ صدق نبوة رسولنا الكريم ﷺ، وفيه حث للمؤمن علىٰ الاعتبار والتفكر في يوم القيامة ليكون علىٰ بصيرة فيخلِّص نفسه من هذه الأهوال ويحملها علىٰ طاعة الله ﷻ.

• بابٌ: كيف الحشر؟

* **حديث عائشة ﵂:**

- **(تحشرون حفاة عراة غُرلًا):** والمراد به الحشر الأول من حشري الآخرة، وهو الجمع بعد البعث والسَّوق إلىٰ أرض المحشر، والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا، لا شيء معهم ولا يُفقد منهم شيء.

- **(الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟):** هذا التعقيب لعائشة ﵂ واستغراب الوضع بما جُبلت عليه من الحياء والتحرز من رؤية العورات، فـ ﵂ وأرضاها.

- **(الأمر أشد من أن يهمهم ذاك):** أي: إن شأن الموقف والحشر بعد البعث من الموت فيه من الأهوال ما يأخذ اهتمام الناس وأبصارهم عن النظر إلىٰ العورات، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[الحج:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس:٣٧].

* **حديث ابن عباس ﵄:**

- **(﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤]):** أي: نعيد الخلق حفاة عُراة غرلًا كما بدأناهم حال خلقهم في بطون أمهاتهم، ويشهد لهذا المعنىٰ حديث عائشة ﵂ المتقدم.

- في الحديث فضيلة لإبراهيم ﵇، بأنه أول من يُكسىٰ يوم القيامة، وقيل: الحكمة من ذلك أنه جُرِّد حين أُلقي في النار، وقيل: لأنه أول من استنَّ الستر بالسراويل، وقيل غير ذلك، ولا يلزم من خصوصيته ﵇ بذلك تفضيله علىٰ نبينا محمد ﷺ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يُخصُّ به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة.

* **حديث أبي هريرة ﵁:**

ظاهره التعارض مع حديث عائشة وابن عباس ﵃ أن الناس يحشرون حفاة عُراة غُرلا، وأجيب: بأن الحشر في حديث أبي هريرة ﵁ يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس إلىٰ الشام، وأن قوله: (ويحشر بقيتهم النار) هذه هي النار المذكورة في حديث حذيفة ﵁ عند مسلم وفيه: (وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تُرحِّل الناس) ويؤيد ذلك قوله: (تقيل معهم... وتَبيت... وتصبح... وتمسي) فهذه الأوصاف مختصة بالدنيا. وقيل: يجمع بينهما بأنهم يخرجون من القبور بالوصف الذي في حديث عائشة وابن عباس ﵃، ثم يفترق حالهم مِنْ ثَمَّ إلىٰ الموقف كما في حديث أبي هريرة ﵁.

- وفيه اختلاف أحوال الناس في الحشر، فمنهم راغبين راهبين وهم من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فهم بين الخوف والرجاء، ومنهم من يحشرون ركبانًا وهم أفاضل المؤمنين، وبقيتهم تحشرهم النار، وهم أصحاب المشأمة، نسأل الله العافية.

باب قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾

١٣٦٤ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: **أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٣٦٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**(١).

بَابٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾*

١٣٦٦ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ يَرْفَعُهُ: **إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ـ: **لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ**:(٢) **فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي**(٣)**، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ!**.



(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَادِ ﷺ: **تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ** ـ قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ ـ، **فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**. قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **كَذَبْتَ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ**.

- ١١٦ -

الفوائد

• **باب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾**

- **(كيف يُحشر الكافر على وجهه؟)**: وفي رواية الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه: سُئل رسول الله ﷺ: (كيف يحشر أهل النار علىٰ وجوههم؟) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار: (يحشر الناس علىٰ ثلاثة أصناف: صنف علىٰ الدَّواب، وصنف علىٰ أقدامهم، وصنف علىٰ وجوههم، فقيل: فكيف يمشون علىٰ وجوههم؟) الحديث.

- ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربون يحشرون ركبانًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]، ومن دونهم من المسلمين علىٰ أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون علىٰ وجوههم.

- الحكمة في حشر الكافر علىٰ وجهه: أنه عوقب علىٰ عدم السجود لله ﷻ في الدنيا بأن يُسحب علىٰ وجهه في القيامة، إظهارًا لهوانه بحيث صار وجهُهُ مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات. وظاهر الحديث أنه مشي حقيقي، لذلك استغربوه حتىٰ سألوا عن كيفيته.

• **باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**

- **(يعرق الناس يوم القيامة..)**: قال ابن أبي جمرة: ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرىٰ علىٰ أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنىٰ الأنبياء والشهداء ومن شاء الله ﷻ، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلىٰ الكفار ا.هـ.

- عند مسلم من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه وفيه: (فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق) وظاهره أنهم يستوون في وصول العرق إليهم، ويتفاوتون في حصوله فيهم.

- في الحديث التحذير من أهوال يوم القيامة، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يعدَّ العدة لهذا اليوم العظيم بتقوىٰ الله تعالىٰ والاستقامة علىٰ دينه، ويجتهد ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا.

• **بابٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾**

- **(فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صُلب آدم)**: قال عياض: يشير بذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف:١٧٢] فهذا الميثاق الذي أُخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفَّىٰ به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوفِّ به فهو الكافر، فمراد الحديث: أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيتَ إذ أخرجتك إلىٰ الدنيا إلا الشرك.

- في الحديث: حقارة الدنيا في الآخرة، وخطورة الشرك بالله ﷻ، وأنه أعظم الذنوب علىٰ الإطلاق وأظلم الظلم، وفيه فضل التوحيد وعظم قدر الإيمان بالله ﷻ، وفيه التحذير من الشرك وبيان جزاء المشركين من الخلود في النار والحرمان من الجنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة].

- قال النووي: في الحديث: جواز قول الإنسان: (يقول الله) خلافًا لمن كره ذلك وقال: إنما يجوز: قال الله تعالىٰ، وهو قول شاذ مخالف لأقوال العلماء من السلف والخلف، وقد تظاهرت به الأحاديث، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤] ا.هـ.

كِتَابُ الْجَنَّةِ

بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

١٣٦٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً**[١]، **قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **وَلَا تَحَاسُدَ**)، **لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **مِنَ الْحُورِ الْعِينِ**)، **كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ**[٢]، **يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ** ـ **آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ**، (**وَوَقُودُ**) **مَجَامِرِهِمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**[٣]، **عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ: سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**[٤].

بَابٌ: أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ*

١٣٦٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ**.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ: قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ. قَالَ: **جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَالتَّكْبِيرَ** ـ **كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**.

- ١١٧ -

كتاب الجنة

المفردات

- **زُمْرَة**: أي: جماعة.
- **مُخُّ سَاقِهَا**: المُخُّ: ما في داخل العظم.
- **مَجَامِرِهِمُ**: جمع مِجْمَرَة، وهي المبخرة، سُميت مِجْمَرة؛ لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور.
- **الأَلُوَّة**: أي: العود الذي يُبخَّر به.
- **وَرَشْحُهُم المسك**: أي: عَرَقهم.

الفوائد

• **باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة**

- أي: موجودة الآن، وأشار البخاري بذلك إلىٰ الرد علىٰ من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة. وقد أخرج في صحيحه ما يدل علىٰ ما تُرجم له، وأصرح ما ورد في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها) الحديث.

- **(على صورة القمر ليلة البدر)**: أي أنهم في إشراق وجوههم علىٰ صفة القمر ليلة تمامه، وهي ليلة أربعة عشر، وفيه أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم، وكذلك صفاتهم في الجمال ونحوه.

- **(لكل امرئ منهم زوجتان)**: استدل به أبو هريرة ﷺ علىٰ أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه، وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف: (رأيتكن أكثر أهل النار)، والظاهر أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين، لرواية: (زوجتان من الحور العين) والله أعلم.

- **(يسبحون الله بكرة وعشيًّا)**: وهذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام، وقد فسره جابر ﷺ في حديثه عند مسلم: (يُلهمون التسبيح والتحميد –وفي رواية: والتكبير– كما يلهمون النَّفس) أي: بلا كلفة منهم، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرَّب ﷻ وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره.

- **(ورشحهم المسك)**: قال ابن الجوزي: لمَّا كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذىٰ ولا فضلة تُستقذر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه ا.هـ.

- في الحديث عظم نعيم أهل الجنة، وهذا النعيم من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو ظمأ أو عُري أو ريح كريهة، بل هي نِعَمٌ ولذاتٌ متتالية، والحكمة في ذلك أنهم يتنعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا.

قال النووي: مذهب أهل السنة أن تنعُّم أهل الجنة علىٰ هيئة تنعُّم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة، ودلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن نعيمهم لا انقطاع له ا.هـ.

• **بابٌ: أهل الجنة على صورة آدم**

- **(خلق الله آدم على صورته)**: الضمير في قوله (صورته) عائد إلىٰ الله ﷻ علىٰ الصحيح، ولم يكن بين السلف في القرون الثلاثة نزاع في ذلك، ولكن لما ظهرت الجهمية جعلت طائفة الضمير عائد علىٰ غير الله، حتىٰ نقل ذلك عن بعض العلماء المعروفين بالعلم، وقد أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة. ولا يعني ذلك التشبيه والتمثيل، بل المعنىٰ أنه سميع بصير متكلم إذا شاء ومتىٰ شاء، وهكذا خَلَق آدم سميعًا بصيرًا متكلمًا ذا وجه ويد، لكن ليس السمع كالسمع وليس البصر كالبصر، وهكذا كل الصفات، فصفات الله كاملة لا يعتريها نقص ولا زوال ولا فناء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: إِذَا قَاتَلَ[1] أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ[2].

بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

١٣٦٩ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.

بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ*

١٣٧٠ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ضَرَبَ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ.

ـ ١١٨ ـ

ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار؛ ليكون من باب عين اليقين، وإليه أشار بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧].

• باب تفاضل أهل الجنة

– **(بلىٰ والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين):** قال ابن التِّين: في رواية أبي ذر (بل) بدل بلىٰ، ويمكن توجيه (بلىٰ) بأن التقدير: نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالىٰ لهم ذلك، ولكن قد يتفضل الله تعالىٰ علىٰ غيرهم بالوصول إلىٰ تلك المنازل. وقال كذلك: يُحتمل أن تكون (بلىٰ) جواب النفي في قولهم: (لا يبلغها غيرهم؟)، وكأنه قال: بلىٰ يبلغها رجال غيرهم.

– حديث الباب فيه: دليل علىٰ تفاوت أهل الجنة، وقد قُسِّمُوا في سورة الواقعة إلىٰ السابقين وأصحاب اليمين، فالقسم الأول هم من ذُكر في قوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[النساء:٦٩] ومن عداهم أصحاب اليمين، وكلٌّ من الصنفين متفاوتون في الدرجات، وفيه تعقُّب علىٰ من خصَّ المقربين بالأنبياء والشهداء؛ لقوله: (رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين).

– وفيه فضيلة الأنبياء وعلو منازلهم، وفضل الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بالرسل والاهتداء بهديهم، وأن التفاوت في الدرجات بالجنة بحسب التفاوت في ذلك الإيمان والتصديق.

المفردات

– **أُحِلُّ:** أي: أُنزل.
– **الدُّرّي:** هو النجم شديد الإضاءة.
– **الغَابِر:** أي: الذاهب الماضي.
– **الأفق:** أي: السماء.

الفوائد

– **(اذهب فسلم علىٰ أولئك):** فيه إشعار بأنهم كانوا عن بُعد، واستُدل به علىٰ إيجاب ابتداء السلام لورود الأمر به، ولا يصح؛ لأنها واقعة حال لا عموم لها، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع علىٰ أن الابتداء بالسلام سنة.

– **(تحيتك، وتحية ذريتك):** أي: من جهة الشرع، أو المراد بالذرية بعضهم، وهم المسلمون، وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عائشة ﵂ مرفوعًا: (ما حسدتكم اليهود علىٰ شيء ما حسدوكم علىٰ السلام والتأمين) وهو يدل علىٰ أنه شُرع لهذه الأمة دونهم.

– وأخرج مسلم من حديث أبي ذر ﵁ في قصة إسلامه وفيه: (فكنت أول من حَيَّاه بتحية الإسلام، فقال: وعليك ورحمة الله).

– **(فزادوه: ورحمة الله):** فيه مشروعية الزيادة في الرد علىٰ الابتداء، وهو مستحب بالاتفاق؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦]، واختُلف في الزيادة علىٰ: وبركاته، فقالت طائفة بجوازه منهم الشوكاني ﵀، وذكر ابن حجر ﵀ في الفتح جملة من الأحاديث الضعيفة ثم قال: وهذه الأحاديث الضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة علىٰ (وبركاته) ا.هـ.

– **(فليجتنب الوجه):** قال النووي ﵀: قال العلماء: إنما نُهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه، فيخشىٰ من ضربه أن تبطل أو تتشوه كلها أو بعضها، والشَّين فيها فاحش لظهورها وبروزها، بل لا يَسْلَم إذا ضرب غالبًا من شَيْن ا.هـ.

• باب كلام الرب مع أهل الجنة

– حديث الباب فيه إثبات كلام الله ﷻ علىٰ الوجه اللائق به، وفيه كلامه لأهل الجنة إكرامًا لهم، وفيه أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله ﷻ، وكل شيء ما عداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره.

– وفيه الأدب في السؤال؛ لقولهم: (وأي شيء أفضل من ذلك؟)؛ لأنهم لم يعلموا شيئًا أفضل مما هم فيه، فاستفهموا عما لا علم لهم به.

– وفيه دليل علىٰ رضا كل أهل الجنة بحالهم مع اختلاف منازلهم وتنوع درجاتهم؛ لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو: (أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك).

– **(أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم):** والحكمة في

بَابُ نُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ*

١٣٧١ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**. فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **بَلَى**. قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

١٣٧٢ ـ (عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: **أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**. قَالَ: جِبْرِيلُ؟! قَالَ: **نَعَمْ**. قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، **أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**)، **وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ**، (**وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ**. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ**؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا. قَالَ: **أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ**؟ فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

- ١١٩ -

المفردات

– **يَتَكَفَّؤُهَا**: أي: يُميلُها، من كَفَأت الإناء: إذا قلبته.

– **نُزُلًا**: النُّزُل: هو ما يُقدم للضيف عند نزوله.

– **بِإِدَامِهِم**: أي: ما يؤكل به الخبز.

– **بَالَامٌ**: أي: ثور، وهي لفظة عبرانية.

– **ونُونٌ**: أي: حوت.

– **يَخْتَرِفُ**: أي: يجني من الثمار.

– **نَزَعَ الوَلَدَ**: أي: جذبه إليه. وفي رواية: (كان الشَّبه له).

– **قومٌ بُهُتٌ**: جمع بَهِيت، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

الفوائد

• **باب نُزُل أهل الجنة**

– **(فنظر النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك)**: المراد أنه أعجبه إخبار اليهودي عن كتابهم بنظير ما أخبر به النبي ﷺ من جهة الوحي، وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، فكيف بموافقتهم فيما أُنزل عليه.

– **(يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا)**: قال عياض: زيادة الكبد وزائدتها هي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيبه، ولهذا خُصَّ بأكلها السبعون ألفًا، ولعلهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فُضِّلوا بأطيب النُّزل، ويُحتمل أن يكون عبَّر بالسبعين عن العدد الكثير ولم يُرِد الحصر ا.هـ.

– في الحديث: أن أول طعام أهل الجنة هو زيادة كبد الحوت والثور، ولم يرد ما يدل علىٰ الحكمة من تخصيص ذلك، ولكننا نؤمن أن الله ﷻ له الحكمة البالغة في ذلك، وقد حاول بعض العلماء التماس الحكمة من اختيار زيادة كبد الحوت والثور خاصة، فقال بعضهم إن في ذلك إشارة إلىٰ نهاية الدنيا التي هي دار الزوال، والانتقال إلىٰ الجنة التي هي دار القرار؛ لأن الحوت من الحيوانات المائية التي تشير إلىٰ عنصر الحياة في الأرض، والثور من الحيوانات البريَّة التي تشير إلىٰ الحرث والكسب في الأرض، فاستطعام أهل الجنة منهما إشارة إلىٰ نهاية الدنيا وبداية الآخرة، والله أعلم.

– وفيه إثبات صفة اليد لله ﷻ علىٰ الوجه الذي يليق بعظمته وكماله، وفيه علم من أعلام نبوته ﷺ.

* **حديث أنس رضي الله عنه**:

– **(فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧])**: قال ابن حجر رحمه الله: ظاهر السياق أن النبي ﷺ هو الذي قرأ هذه الآية ردًّا علىٰ قول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذٍ وهذا هو المعتمد، فقد روىٰ أحمد في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبدالله بن سلام رضي الله عنه ا.هـ.

– **(قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنك رسول الله)**: فيه تقدم إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه أول قدوم النبي ﷺ إلىٰ المدينة.

– **(قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا)**: فيه فضيلة عبد الله بن سلام لإيثاره الحق علىٰ الرياسة في قومه، فلم تمنعه سيادته في قومه عن الدخول في الإسلام وهو يعلم أن اليهود قوم بُهُتٌ وأنهم يتنكرون له ويذمونه إذا علموا بإسلامه.

الفوائـد

- **(فقالوا: شرُّنا، وابن شرِّنا وانتقصوه):** وفيه تحقيق ما علمه عبد الله بن سلام رضي الله عنه فيهم، بأنهم أهل بُهت وإفك، وأنهم يفترون علىٰ أهل الحق، وهذا ليس بغريب عليهم بعد أن كذبوا علىٰ الله، فوصفوه بما لا يليق بكماله وجلاله، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[آل عمران:١٨١].

- وفيه حرص المسلم علىٰ صيانة عرضه والاحتياط له، ودفع الشبهات عن النفس والتحفظ من أهل البهت والكذب، واستعمال الحيلة لكشف ضلالهم وظلمهم.

- **(إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق):** فيه شهادة عبدالله بن سلام علىٰ اليهود، بأنهم يعلمون أن النبي ﷺ جاء بالحق، وأنه رسول الله إليهم وإلىٰ الناس كافة، وفيه فضل عبد الله بن سلام وانتفاعه بالعلم وشهادته بالحق، بخلاف غيره من اليهود، الذين كتموا العلم واتبعوا أهواءهم، وحملهم الحقد والحسد علىٰ الكفر وهم يعلمون، وصدق الله: ﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

- وفيه أن العلم وحده لا ينجي العبد، وإنما لابد مع العلم التجرد من الهوىٰ والإنصاف واتباع الحق ولو كان بخلاف ما تهواه النفس، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦].

فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا. وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيْلَكُمْ! اتَّقُوا اللهَ؛ فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ؛ فَأَسْلِمُوا.** قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ. وَفِيهَا: فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتَّقُوا اللهَ! فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذَبْتَ! فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ)[١].

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ! فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي.** فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: **سَلْ.** فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ.** قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ.** قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ.** قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا.** قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا.** قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ! قَالَ: **يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: **مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ.** قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ.**

المفردات

- **يَسِير الرَّاكِبُ**: أيُّ راكب فُرض، ومنهم من حمله على الوسط المعتدل.
- **في ظلها**: أي: في نعيمها وراحتها، وقيل: في ناحيتها، وأشار بذلك إلى امتدادها، وليس الظل المعهود؛ لأن الجنة لا شمس فيها ولا أذى.
- **لا يَقْطَعُهَا**: أي: لا ينتهي إلى آخر ما يميل من أغصانها.
- **الجَوَاد**: هو الفرس، يُقال: جاد الفرس: إذا صار فائقًا.
- **المُضَمَّر**: المراد به أن تُعلَف الخيل حتى تسمن وتقوى، ثم يُقلل علفها بقدر القوت وتُدخَل بيتًا وتُغشَّى بالجِلال حتى تحمى فتعرق، فإذا جفَّ عرقها خفَّ لحمها وقويت على الجري.
- **الجَدّ**: أي: الغنى.

الفوائد

• بابٌ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾

- أحاديث الباب فيه خبر عن الصادق المصدوق ﷺ عن شجرة من أشجار الجنة، وأن الراكب السريع يجري في ظلها مائة عام لا يقطعها، وفيه إشارة إلى سعة أرض الجنة وسعة حدائقها وعظمة أشجارها التي هذه الشجرة واحدة منها، وفيه إعلام النبي ﷺ أمته بسعة الآخرة وعظم نعيمها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].
- ذهب جمع من أهل العلم إلى أن المراد بها هي شجرة طوبى، واستدلوا بما ثبت في بعض روايات حديث أبي سعيد رضي الله عنه كما عند الإمام أحمد وابن حبان وصححه الألباني: أن رجلًا قال يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك قال: (طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني) قال له رجل: وما طوبى؟ قال: (شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها).
- وكذلك استدلوا بما رواه الطبري من تفسير بن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[الرعد:٢٩] قالا: (طوبى لهم) شجرة في الجنة.

• بابٌ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾

- حديث الباب فيه سعة نعيم الجنة، وسعة ملك المؤمن فيها، وما يتمتع به المؤمن في الجنة من النعيم المقيم، حيث ذكر النبي ﷺ أن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلًا، وأن له فيها أهلين لا يرى بعضهم بعضًا، وذلك والله أعلم لسعتها وحسن غرفها وسترها.
- **(يطوف عليهم المؤمنون)**: قال الدمياطي: صوابه: (المؤمن بالإفراد، وأجيب بجواز أن يكون من مقابلة المجموع بالمجموع.

بَابٌ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾

١٣٧٣ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا.**

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: **الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ.**

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (**وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾).

بَابٌ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾

١٣٧٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا[1] سِتُّونَ مِيلًا** (وَفِي رِوَايَةٍ: طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلًا)، **فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.**

بَابٌ: حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ*

١٣٧٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**حُجِبَتِ**)[2] **النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، (وَحُجِبَتِ) الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ.**

بَابُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ*

١٣٧٦ ـ عَنْ أُسَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ**

=• وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾: فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **عَلَى الصِّرَاطِ.**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **طُولُهَا.**

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **حُفَّتِ.** فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

- ١٢١ -

• بابٌ: حُجبت الجنة بالمكاره

- حديث الباب من جوامع كَلِمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها.
- وفيه التحذير من الشهوات وهي ما يُستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه، إما أصالة أو لكونه يستلزم ترك شيء من الواجبات، ويلتحق بذلك الشبهات، والإكثار مما أُبيح خشية الوقوع في المحرم.
- وفيه أنه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المُعبر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، والحديث بلفظ الخبر والمراد به النهي عن المحرمات، والحث على الطاعات والصبر على مشقتها.

• باب أكثر أهل الجنة

- **(قمت على باب الجنة)**: ظاهره أنه رأى ذلك ليلة الإسراء، أو منامًا، وهو غير رؤيته النار وهو في صلاة الكسوف، وَوَهِم من وحَّدهما.
- **(محبوسون)**: أي: ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وهل قام بحقه أم لا؟

أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ.

• وَفِي حَدِيثِ عِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما: [اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ]، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ[1].

١٣٧٧ ـ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ[2]، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[3] مُسْتَكْبِرٍ.



(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: كَانَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ امْرَأَتَانِ، فَجَاءَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتِ الْأُخْرَى: جِئْتَ مِنْ عِنْدِ فُلَانَةَ؟ فَقَالَ: جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، فَحَدَّثَنَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: زَنِيمٍ.

- ١٢٢ -

المفردات

– ضَعِيفٍ: أي: نفسه ضعيفة لتواضعه، وضعف حاله في الدنيا.

– مُتَضَعَّفٍ: بفتح العين المهملة أي: أن الناس يستضعفونه ويقهرونه ويحقرونه، وبكسرها: يُراد به المتواضع المتذلل.

– لَوْ أَقْسَمَ على الله لأبرَّه: أي: لو حلف يمينًا علىٰ شيء أن يقع طمعًا في كرم الله ﷻ بإبراره لأبرَّه وأوقعه لأجله. وقيل: هو كناية عن إجابة دعائه.

– عُتُلٍّ: هو الجافي الغليظ، وقيل: الشديد من كل شيء.

– جَوَّاظٍ: أي: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: الفاجر.

الفوائد

– (فإذا عامة من دخلها النساء): وقد فسره ما سبق من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب العيدين: (تكثرن اللعن وتكفرن العشير)، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن العلَّة في التفاوت في اللِّعان المذكور في سورة النور حيث ذكر في حق المرأة الغضب، وفي حق الرجل اللعن؛ لأن المرأة يسهل عليها اللعن، فذكر لها ما يزجرها، ويكون أعظم وقعًا في نفسها، وقيل غير ذلك.

– وهذا ليس في كل النساء، ولكنه غالب، وذلك لنقص عقولهن، فإنها إذا رضيت تطرب وتبذل أحسن ما عندها من المقال والفعال، وإذا غضبت نسيت الإحسان المتقدم، وقالت: (ما رأيت منك خيرًا قط).

– فيه حث للنساء علىٰ الكف والانزجار عن الأمور التي توقع في النار، والحذر من مجاراة الأهواء، واتباع شياطين الإنس والجن الذين يسعون في إفساد الأمم عن طريق إفساد النساء.

* حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما:

– (اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء): وليس فيه أنهم دخلوا الجنة بسبب فقرهم، فإن الفقر بذاته لا يُتقرب به إلىٰ الله ﷻ، وإنما يوجد من الفقراء من هو صالح، ومنهم من هو فاسد، وإنما العبرة بالأعمال الصالحة، ولكن لما كان الغنىٰ يحمل صاحبه علىٰ الطغيان كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[العلق:٦-٧]، فلذلك كان الغنىٰ مظنة في كثير من الأحوال إلىٰ شيء من البعد عن الله.

– في الحديث بشارة ونذارة، فالبشارة للمؤمنين من الفقراء الذين صبروا علىٰ حالهم فبُشروا بالفوز العظيم، والنذارة للنساء لمن كانت منهن علىٰ حافة خطر؛ لتستدرك من أمرها حتىٰ تنال رضا الرحمن ورحمته.

* حديث حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه:

– (ألا أخبركم بأهل الجنة؟): هذا في الغالب، وإلا فيوجد من الضعفاء من هم من أهل النار، وكذلك قوله ﷺ: (ألا أخبركم بأهل النار؟) أي: هذه الصفة الغالبة، وإلا فيوجد من المسلمين من هو ضخم البدن وهو من أولياء الله الصالحين، ومن عباده المتقين.

– (كل ضعيف متضعِّف): فيه أن أكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم، ولكنهم عند الله عظماء؛ لإخباتهم لربهم، وتذللهم له، وقيامهم بحق العبودية لله ﷻ.

– في الحديث بشارة للمؤمن المستضعف أن الله لا يجمع له عذابين في الدنيا والآخرة، فمن عاش في هذه الدنيا من المسلمين الصادقين مستضعفًا مبتلىٰ مظلومًا ولم يقدر علىٰ دفع هذا الظلم عن نفسه، فإن الله يكرمه في الآخرة برحمته ومغفرته وجنة عرضها السموات والأرض.

– (كل عتلٍّ جوَّاظ مستكبر): فيه أن صحة الجسد وقوته، وكثرة المال، والتنعم بشهوات الدنيا، والتكبر والتعاظم علىٰ الخلق هي صفات أهل النار.

– وفيه التحذير من هذه الصفات الذميمة؛ لأنها من موجبات النار قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩].

كتاب النار

المفردات

- **لَكَافِيَة**: أي: إن نار الدنيا كانت مجزئة لتعذيب العصاة.
- **أَخْمَصِ قَدَميهِ**: ما لا يصل إلىٰ الأرض من باطن القدم عند المشي.
- **المِرْجَلُ**: هو الإناء الذي يُغلىٰ فيه الماء.
- **القُمْقُم**: هو إناء من نحاس وغيره، يُسخن فيه الماء، ويكون ضيق الرأس.
- **يَحُوطُكَ**: من الحِياطة، وهي المراعاة.
- **وَيغْضَبُ لَكَ**: إشارة إلىٰ ما كان يَرُدُّ به عنه من قول وفعل.
- **ضَحْضَاح**: الضَّحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

الفوائد

• باب صفة النار وأنها مخلوقة

- **(من سبعين جزءًا)**: وفي رواية لأحمد: (من مئة جزء) والجمع: بأن المراد المبالغة في الكثرة لا العَدَدُ الخاص أو الحكم للزائد.

- **(فُضِّلت عليهن بتسعة وستين جزءًا)**: قال الطيبي ما حاصله: إنما أعاد ﷺ حكاية تفضِيل نار جهنم علىٰ نار الدنيا إشارة إلىٰ المنع من دعوىٰ الإجزاء أي: لابد من الزيادة؛ ليتميز ما يَصدر من الخالق ﷻ من العذاب علىٰ ما يصدر من خلقه.

- **(كُلُّهُن مثل حرها)**: أي: حرارة كل جزء من نار جهنم مثل حرارة ناركم ونكايتها وسرعة اشتعالها. وروىٰ ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: (ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعوا الله ﷻ ألا يعيدها فيها)، وذكر ابن عيينه في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه النار قد ضُرب بها في البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها أحد).

- في الحديث: شدة حر نار جهنم وأنها ليست كنار الدنيا، بل لو جمع ما في الوجود من النار التي يوقدها الآدميون لكانت جزءًا من أجزاء جهنم المذكورة.

- وفيه التحذير الشديد والتخويف من النار، وفيه زجر للعصاة، وإيقاظ الهمم للإقبال علىٰ الطاعة وترك الذنوب الموجبة لعذاب النار، وفيه أن النار مخلوقة وموجودة الآن وهذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة.

• باب أهون أهل النار عذابًا

* **حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما**:

- **(إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة)**: قال ابن التين: يُحتمل أن يُراد به أبو طالب.

وقال ابن حجر: وقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم التصريح بذلك، ولفظه: (أهون أهل النار عذابًا أبو طالب) ا.هـ.

كِتَابُ النَّارِ

بَابُ صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

١٣٧٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **نَارُكُمْ**[١] **جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً! قَالَ: **فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**.

بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا*

١٣٧٩ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ**[٢] **يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ (وَالْقُمْقُمُ)**[٣][٤].

١٣٨٠ ـ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ. قَالَ: **نَعَمْ؛ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ.

- **(على أَخْمَص قدميه جمرتان)**: ولمسلم في رواية: (له نعلان وشراكان من نار)، وله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه).

* **حديث ابن عباس رضي الله عنه**:

- **(فإنه كان يحوطك ويغضب لك)**: كان أبو طالب للنبي ﷺ عضدًا وناصرًا علىٰ قومه، فكانوا لا يَصِلُون إليه ﷺ بأذىٰ في حياة أبي طالب، فلما مات تعرض له سفهاء قريش فآذوه، وقد روىٰ ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (ما نالتني قريش شيئًا أكرهه حتىٰ مات أبو طالب).

- حديثا الباب فيهما دليل لجمهور أن أبا طالب مات مشركًا، وفيهما: أن أبا طالب من أهل النار وأنه أهونهم عذابًا بشفاعة النبي ﷺ.

وفيهما رد علىٰ الروافض الذين ادعوا إسلام أبي طالب، واستدلوا علىٰ ذلك بالأحاديث الواهية، قال ابن حجر: ولا يثبت من ذلك شيء. ا.هـ.

- وفيهما: ثبوت الشفاعة لأبي طالب خاصة من بين الكفار، وخصوصية النبي ﷺ وفضله عند ربه وقبول شفاعته، وأن عذاب الكفار متفاوت، وأن أقل عذاب أهل النار لا تطيقه الجبال، نسأل الله السلامة والعافية.

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾

١٣٨١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ(١)؟ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **قَدَمَهُ** ـ، **فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ عز وجل مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عز وجل يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.** (وَفِي رِوَايَةٍ: **وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، ثَلَاثًا**) .

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: **لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟! حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ.** وَفِي رِوَايَةٍ: **بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ.**

بَابُ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الكَافِرِ فِي النَّارِ*

١٣٨٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ(٢) مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ(٣).**



(١) وَلِمُسْلِمٍ: **وَغِرَّتُهُمْ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **وَعَجَزُهُمْ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **فِي النَّارِ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **ضِرْسُ الْكَافِرِ ـ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ ـ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ.**

ـ ١٢٤ ـ

المفردات

- **تَحَاجَّتِ**: أي: تخاصمت.
- **بالمتكبِّرين والمتجـبِّرين**: قيل: هما بمعنىٰ واحد، وقيل: المتكبر: المتعاظم بما ليس فيه، والمتجبر: الممنوع الذي لا يوصل إليه، وقيل: هو الذي لا يكترث بأمر.
- **سَقَطُهم**: أي: المحتقرون بينهم، الساقطون من أعينهم.
- **قَطْ قَطْ**: أي: حسبي حسبي.
- **ويُزوَى بَعضُها إلى بَعض**: أي: ينقبض وينضم.
- **مَنْكِبَي الكافر**: تثنية منكب، وهو مجتمع العضد والكتف.

الفوائد

• **باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾**

* **حديث أبي هريرة رضي الله عنه:**

- **(ضعفاء الناس وسقطهم)**: هذا بالنسبة إلىٰ ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلىٰ ما عند الله ﷻ هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلىٰ ما عند أنفسهم –لعظمة الله ﷻ عندهم وخضوعهم له– في غاية التواضع لله ﷻ والذِّلة في عباده، فوصْفهم بالضعف والسَّقط بهذا المعنىٰ الصحيح، أو المراد بالحصر في قول الجنة: (إلا ضعفاء الناس) الأغلب.

- قال ابن بطال: وحاصل اختصاصهما افتخار إحداهما علىٰ الأخرىٰ بمن يسكنها، فتظن النار أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا أَبَرُّ عند الله تعالىٰ من الجنة، وتظن الجنة بمن أسكنها من أولياء الله تعالىٰ أَبرُّ عند الله ﷻ، فأُجيبتا بأنه لا فضل لإحداهما علىٰ الأخرىٰ من طريق من يسكنهما، وفي كلاهما شائبة شكاية إلىٰ ربهما، إذ لم تذكر كل واحدة منهما إلا ما اختصت به، وقد ردَّ الله ﷻ الأمر في ذلك إلىٰ مشيئته ﷻ. ا.هـ.

- في الحديث: أن الأشياء توصف بغالبها؛ لأن الجنة قد يدخلها غير الضعفاء، والنار قد يدخلها غير المتكبرين، وفيه رد علىٰ من حمل قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:٣٠] علىٰ أنه استفهام إنكار، وأنها لا تحتاج إلىٰ زيادة.

- **(ولكل واحدة منهما ملؤها)**: فيه إشارة إلىٰ أن الجنة يقع امتلاؤها بمن ينشِؤهم الله ﷻ لأجل مِلئِها، وأما النار فيضع فيها قدمه حتىٰ تنقبض وتنضم، فتصير ملأىٰ ولا تحتمل مزيدًا.

- **(وإنه يُنشئ للنار من يشاء)**: قال أبو الحسن القابسي: لا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا ا.هـ.

وقال جماعة من الأئمة: إن هذا الموضع مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالىٰ أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه.

- **(ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحدًا)**: أي أنه يُعذب من يشاء غير ظالم له، ويُحتمل أن يكون راجعًا إلىٰ تخاصم الجنة والنار، فإنه الذي جعل لكل منهما عدلاً وحكمة.

- حديثا الباب فيهما: اتساع الجنة والنار بحيث تسع كل من كان ومن يكون إلىٰ يوم القيامة، وتحتاج إلىٰ زيادة، وقد تقدم أن آخر من يدخل الجنة يُعطىٰ مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

• **باب ما بين منكبي الكافر في النار**

- **(ما بين منكبي الكافر)**: ولمسلم في رواية: (ضرس الكافر –أو ناب الكافر– مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث) وفيه عِظم خلق الكافر في النار ليعظم عذابه ويضاعف أَلَمه. ولكن ثبت في القرآن والسنة أن الكفار يتفاوتون في عذا النار، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾[النحل:٨٨]، وقد تقدم الحديث في أهون النار عذابًا، فلا يستوي من كفر وصدَّ عن سبيل الله، وقتل الأنبياء مع من كفر فقط ولم يؤذ المسلمين، ولم يصد عن سبيل الله.

كِتَابُ الْفِتَنِ

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ»

١٣٨٣ ـ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (دَخَلَ عَلَيْهَا)[1] فَزِعًا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ ـ يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**. وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **نَعَمْ؛ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**.

• (وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: **سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ؛ لِكَيْ يُصَلِّينَ ـ، **فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ**).

بَابُ نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ*

١٣٨٤ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟** (وَفِي رِوَايَةٍ: قَالُوا: لَا. قَالَ:) **إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: خَرَجَ.

- ١٢٥ -

كتاب الفِتَن

المفردات

- رَدْمِ يَأْجُوج: هو السَّدُّ الذي بناه ذو القرنين.
- الخَبَث: أي: الفُسوق والفُجُور.
- أَشْرَف: أي: نظر من مكان مرتفع.
- آطَامِ: جمع أُطُم، وهي الحصون التي تُبنىٰ بالحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطَّح.

الفوائد

• **باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»**

- إنما خصَّ العرب بالذكر لأنهم أول من دخل الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.

* **حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها:**

- **(أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا -وفي رواية: استيقظ النبي ﷺ من النوم مُحمرًّا وجهه-)**: فيُجمع علىٰ أنه دخل عليها بعد أن استيقظ فزعًا، وكانت حمرة وجهه من ذلك الفزع، وجُمع بينهما عند أبي عوانة فقال: (فزعًا محمرًّا وجهه).

- **(ويل للعرب من شر قد اقترب)**: أراد ما وقع بعده من قتل عثمان رضي الله عنه، ثم توالت الفتن حتىٰ صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأَكَلة.

قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة رضي الله عنها: (ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا أنزل من الخزائن) فأشار بذلك إلىٰ الفتوح التي فُتحت بعده فكثرت الأموال في أيديهم، فوقع التنافس الذي جرَّ الفتن، وكذلك التنافس علىٰ الإمارة ا.هـ.

- **(نعم؛ إذا كثر الخبث)**: قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخَيِّر يَهلِك بهلاك الشِّرّير إذا لم يُغيِّر عليه خَبثَه، وكذلك إذا غيَّر عليه لكن حيث لا يُجدي ذلك، ويُصرُّ الشِّرِّير علىٰ عمله السيئ ويفشو ذلك ويكثر حتىٰ يعم الفساد، فيَهلِك حينئذٍ القليل والكثير، ثم يُحشر كل أحد علىٰ نيته، وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الرَّدم أن الأمر إذا تمادىٰ علىٰ ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم علىٰ الناس إهلاكًا عامًّا لهم ا.هـ.

* **حديث أم سلمة رضي الله عنها:**

- **(فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)**: اختُلف في المراد بذلك علىٰ عدة أوجه:

الأول: كاسية في الدنيا بالثياب لغناها، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

الثاني: كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها، أو ضيقة فتبدو أعضاؤها من وراء الثياب، فتُعاقب في الآخرة بالعُري جزاءً علىٰ ذلك.

الثالث: كاسية من نعم الله عز وجل عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب.

الرابع: كاسية من خُلْعة التزوج بالرجل الصالح، عارية في الآخرة من العمل، فلا ينفعها صلاح زوجها، وذكر الطيبي هذا الوجه ورجحه لمناسبة المقال، واللفظة وإن وردت في أزواج النبي ﷺ، لكن العبرة بعموم اللَّفظ.

- في الحديث: جواز قول سبحان الله عند التعجب، واستحباب ذكر الله عز وجل عند الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة خاصة عند آية تحدث، واستحباب الدعاء والتضرع عند الفتن لاسيما في الليل لرجاء وقت الإجابة.

• **باب نزول الفتن كمواقع القطر**

- **(إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم)**: يُحتمل أن تكون بمعنىٰ العلم، أو رؤية العين بأن تكون مُثِّلت له الفتن حتىٰ رآها، واختصت المدينة بذلك؛ لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك.

- **(كمواقع القطر)**: شبَّه وقوع الفتن بوقوع المطر لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرض معينة عمَّها ولو وقع في بعض جهاتها.

- في الحديث تحذير النبي ﷺ أصحابه من الفتن التي ستحدث، ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها.

بَابُ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ

١٣٨٥ ـ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ عُمَرُ ﵁: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ! فَكَيْفَ قَالَ؟ قُلْتُ: **فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ:(١) **وَمَالِهِ** ـ **وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **وَالصَّوْمُ** ـ **وَالصَّدَقَةُ، والأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**. قَالَ: لَيْسَ هَذِهِ أُرِيدُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: قُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ؛ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ. قَالَ: فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَوْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ: فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا(٢). قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ! قَالَ: فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ ﵁. قَالَ: قُلْنَا: فَعَلِمَ عُمَرُ مَنْ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً؛ وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ(٣).

بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ*

١٣٨٦ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁، قَالَ: لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **وَنَفْسِهِ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟! فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ؛ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**. وَفِيهَا: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ.

- ١٢٦ -

المفردات

- **تَمُوج كَمَوْجِ البحر**: أي: تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، وهي كناية عن شدة المخاصمة التي ينشأ عنها المشاتمة والمقاتلة.
- **فَهِبْنَا**: أي: خِفْنا، وهو من حسن الأدب مع الكبار.
- **بالأَغَاليط**: جمع أغلوطة، وهو ما يغالط به، أي: حدثته حديثًا صادقًا محققًا من حديث النبي ﷺ لا اجتهاد ولا رأي.

الفوائد

• **باب الفتنة التي تموج كموج البحر**

- **(فتنة الرجل في أهله وولده وجاره)**: قال ابن المنيِّر: الفتنة بالأهل: تقع بالميل إليهن أو عليهن في القسمة والإيثار حتىٰ في أولادهنَّ، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهنَّ، وبالمال: يقع الاشتغال به عن العبادة، أو يحبسه عن إخراج حق الله ﷻ، والفتنة بالأولاد: تقع بالميل الطبيعي إلىٰ الولد، وإيثاره علىٰ كل أحد، والفتنة بالجار: تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد ا.هـ. وذكر الرجل هنا خرج مخرج الغالب، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم.

- **(تكفِّرها الصلاة -وفي رواية: والصوم- والصدقة..)**: أما تكفير الكبائر بهذه العبادات فقد وقع فيها النزاع، وأما الصغائر فلا نزاع أنها تكفَّر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[النساء:٣١].

قال ابن أبي جمرة: أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات، بل نبَّه بها علىٰ ما عداها، والضابط أن كل ما يَشغل صاحبه عن الله ﷻ فهو فتنة له، وكذلك المكفرات لا تختص بما ذُكر، بل نبَّه به علىٰ ما عداها، فذكر من عبادة الأفعال: الصلاة والصيام، ومن عبادة المال: الصدقة، ومن عبادة الأقوال: الأمر بالمعروف ا.هـ.

- **(بينك وبينها بابٌ مغلق)**: أي: لا يخرج منها شيء في حياتك. قال ابن بطال: إنما عدل حذيفة ﵁ حين سأله عمر ﵁ عن الإخبار بالفتنة الكبرىٰ إلىٰ الإخبار بالفتنة الخاصة؛ لئلا يُغمَّ ويشتغل باله، ومن ثمَّ قال له: (إن بينك وبينها بابًا مغلقًا) ولم يقل له: أنت الباب، وهو يعلم أنه الباب، فعرَّض له بما فهمه ولم يصرِّح وذلك من حسن أدبه ا.هـ.

- **(فإنه إذا كُسِرَ لم يُغْلَق أبدًا)**: قال ابن بطال: إنما قال ذلك؛ لأن العادة أن الغلق إنما يقع في الصحيح، فأما إذا انكسر فلا يُتصور غَلْقُه حتىٰ يُجْبَر ا.هـ.

قال ابن حجر: وإنما قال عمر ﵁ ذلك اعتمادًا علىٰ ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأمة، ووقوع البأس بينهم إلىٰ يوم القيامة ا.هـ.

- **(فعلم عمر من تعني؟ قال: نعم)**: قال ابن بطال: إنما علم عمر ﵁ أنه الباب؛ لأنه كان مع النبي ﷺ علىٰ حراء وأبو بكر وعثمان ﵄ فرجف فقال: (أثبت؛ فإنما عليه نبي وصدِّيق وشهيدان) أو فهم ذلك من قول حذيفة ﵁: (بل يُكسر) ا.هـ.

- وقد وافق حذيفة علىٰ معنىٰ روايته هذه أبو ذر ﵁ كما عند الطبراني في الأوسط بإسنادٍ رجاله ثقات: أنه لقي عمر ﵁ فأخذ بيده فغمَزها، (فقال له أبو ذر: أَرْسِلْ يدي يا قُفل الفتنة) الحديث، وفيه: أن أبا ذر ﵁ قال: (لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم، وأشار إلىٰ عمر ﵁).

وروىٰ البزار هذا المعنىٰ من حديث عثمان بن مظعون ﵁.

- فالذي يظهر -والله أعلم- أن عمر ﵁ علم أنه الباب الذي يكسر من النصوص، وإنما سأل عنه من يذكِّره خشية أن يكون قد نسي كما ذكر ذلك ابن حجر ﵀.

• **باب إخبار النبي ﷺ بما كان وبما هو كائن**

- وفي ذلك الإخبار من دلائل نبوته ﷺ، وتحذيرًا لأمته من الفتن؛ ليتهيؤوا لها، فلا ينزعجوا عند وقوعها، وليكونوا أثبت قلوبًا، وأعلم بالمنهج الشرعي للتعامل معها كما أرشدهم ﷺ.

فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، (عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ)[1]، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ[2].

١٣٨٧ ـ (عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه مُعَلَّقًا) قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ[3].

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْفِتْنَةُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ»

١٣٨٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ): **أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: ثَلَاثًا ـ، ـ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ ـ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**[4].

(١) وَلِمُسْلِمٍ: حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ.
وَفِي رِوَايَةٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: **مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**. قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي.

(٣) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي زَيْدٍ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ سَالِمٌ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ! مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ! سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ... ـ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ـ، قَالَ: وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ =

- ١٢٧ -

المفردات

- **قِبَل المشْرق**: أي: جهته.
- **قَرْنُ الشيطان**: قيل أمتُّه، وقيل: تسلطه، وقيل: جانبا رأسه.

الفوائد

- **(ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة)**: وفي حديث عمر رضي الله عنه التالي: (فأخبرنا عن بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم) قال ابن حجر رحمه الله: ودلَّ ذلك علىٰ أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتُدِئَت إلىٰ أن تفنىٰ إلىٰ أن تُبعَث، فيشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد، وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم، ويقرِّب ذلك مع كون معجزاته لا مِرْيَة في كثرتها أنه ﷺ أُعطي جوامع الكلم ا.هـ.

وهذا الذي رواه حذيفة هنا مجملًا، رواه مسلم من حديث عمرو بن أخطب قال: (صلىٰ بنا رسول الله ﷺ الفجر وصَعِدَ المنبر، فخطبنا حتىٰ حضرت الظهر، فنزل فصلىٰ ثم صعد المنبر، فخطبنا حتىٰ حضرت العصر، ثم نزل فصلىٰ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا).

- **(علمه من علمه، وجهله من جهله)**: وفي رواية مسلم: (حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه) وزاد: (قد علمه أصحابي هؤلاء) أي: علموا وقوع ذلك المقام، وما وقع فيه من الكلام، وقد روىٰ نحو حديث حذيفة هذا من الصحابة: عمر وعمرو بن أخطب، وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم، فلعل حذيفة رضي الله عنه أشار إليهم أو إلىٰ بعض منهم.
- **(إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرف..)**: وفي رواية بلفظ: (نسيته) أي: الذي كان غاب عنه فنسي صورته، ثم إذا رآه عرفه، قال ابن حجر: أنه يرىٰ الشيء الذي كان نسيه فإذا رآه عرفه، وقوله: (كما يعرف الرجل الرجل غاب عنه) أي الذي كان غاب عنه فنسي صورته ثم إذا رآه عرفه ا.هـ. (باختصار).
- حديثا الباب فيهما دليل علىٰ إثبات القدر، وأن الأمر قد فُرغ منه، وأن كل ما يجري في الوجود قد سبق به علم الله عز وجل وكتبه في اللوح المحفوظ، وعلىٰ العبد أن يعلِّق رجاءه بربه، ويسعىٰ في مرضاته ويحسن الظن به سبحانه، ويأخذ بأسباب النجاة من التوكل علىٰ الله والأعمال الصالحة ويرجو رحمة الله التي وسعت كل شيء موقنًا بأن الله جل جلاله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠].

• **باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قِبل المشرق»**

* **حديث ابن عمر رضي الله عنهما:**

- **(يشير إلى المشرق)**: جهة المشرق بالنسبة لأهل المدينة هي جهة العراق ونواحيها عمومًا، ومما يؤيد ذلك رواية مسلم: قال سالم: يا أهل العراق! ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول:...– وذكر الحديث–.
- **(من حيث يطلع قرن الشيطان)**: قال النووي: والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر، كما قال في الحديث الآخر: (رأس الكفر نحو المشرق) وكان ذلك في عهده ﷺ حيث قال ذلك، ويكون حين يخرج الدَّجال من المشرق، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفرة التُّرك الغاشمة العاتية الشديدة البأس ا.هـ.

المفردات

- كِسْرَى: هو لقب لكل من وليَ مملكة الفُرس.
- قَيْصَر: هو لقب لكل من وليَ مملكة الروم.
- سَنَن: أي: طريق.
- أُغَيْلِمَة: المراد بالأغيلمة هنا: الصبيان، وقد يُطلق علىٰ ضعيف العقل والدين ولو كان بالغًا.

الفوائد

- (قالوا: وفي نجدنا! قال: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان): قال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي شرق أهل المدينة، وأصل النَّجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغَوْر، فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغَوْر، ومكة من تهامة ا.هـ.
- قال المهلب: إنما ترك ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن ا.هـ.
وصدق رسول الله ﷺ فأكثر الفتن والقلاقل التي قاست الأمة ويلاتها إنما جاءت من جهة المشرق، فكانت منشأ الخوارج والروافض وغيرها من الفتن.

• باب هلاك كسرى وقيصر

- (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده..): قال النووي: قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرىٰ بالعراق، ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه ﷺ. فأعلمنا بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ، فأما كسرىٰ فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض، وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة رسول الله ﷺ، وأما قيصر فانهزم من الشام، فافتتح المسلمون بلادهما، وأنفقوا كنوزهما في سبيل الله كما أخبر ﷺ، وهذه معجزات ظاهرة ا.هـ. (باختصار).
- سبب الحديث أن قريشًا كانوا يأتون الشام والعراق تجارًا، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليها لدخولهم في الإسلام، فقال النبي ﷺ ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم، وتبشيرًا لهم بأن ملكها سيزول عن الإقليمين المذكورين.

• باب قول النبي ﷺ: «لتَتْبَعُن سنن من كان قبلكم»

- (شبرًا بشبر وذراعًا بذراع): قال عياض: الشِّبر والذراع والطريق ودخول الجُحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهىٰ الشرع عنه وذمَّه ا.هـ.
- (جحر ضبٍّ): خَصَّ جحر الضَّب بالذكر؛ لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الجحر الضيِّق الرديء لاتبعوهم.

(وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا. قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا! قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا. قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا! قَالَ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ).

بَابُ هَلَاكِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ*

١٣٨٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا) هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه مِثْلُهُ[1].

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»

١٣٩٠ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟.

• (وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟).

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ»

١٣٩١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ. قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ.

= بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطأً، فَقَالَ اللهُ عز وجل لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ.

- ١٢٨ -

- قال ابن بطال: أعلم النبي ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء، كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخِر شر، والساعة لا تقوم إلا علىٰ شرار الناس، وأن الدين إنما يبقىٰ قائمًا عند خاصة الناس ا.هـ.
قال ابن حجر بعد أن ساق كلام ابن بطال: وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقية ذلك ا.هـ.

• باب قول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء»

- المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلىٰ يوم القيامة.
- حديث الباب بدون قوله: (سفهاء)، وقد ورد عند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إن هلاك أمتي علىٰ يد غِلْمَة سفهاء من قريش) فذكره في الترجمة إشارة إلىٰ ثبوته بالجملة، لكنه ليس علىٰ شرطه.
- (لو أن الناس اعتزلوهم): محذوف الجواب، وتقديره: لكان أولىٰ بهم، والمراد باعتزالهم: ألا يداخلوهم ولا يقاتلوا معهم، ويفروا بدينهم من الفتن، ويحتمل أن (لو) للتمني فلا يُحتاج إلىٰ تقدير جواب.
وفيه استحباب الاعتزال عند الفتن وفساد الأحوال.

(وَفِي رِوَايَةٍ: **هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**. فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ بَنِي فُلَانٍ وَبَنِي فُلَانٍ لَفَعَلْتُ).

بَابٌ: تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ

١٣٩٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي[١]، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ[٢]**.

بَابٌ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا

١٣٩٣ ـ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ ﷺ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أُرِيدُ نُصْرَةَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ! ـ. قَالَ: ارْجِعْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ[٣]**. قُلْتُ:

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ: **أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟** قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **فَهُمَا عَلَى جُرُفِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جَمِيعًا**.

- ١٢٩ -

المفردات

- **من يُشْرِف لها**: أي: يتطلَّع ويتعرض لها ولا يعرض عنها.
- **تَسْتَشْرِفه**: أي: تهلكه، بأن يُشرف منها علىٰ الهلاك.
- **أو معاذًا**: بمعنىٰ المَلْجأ.

الفوائد

- **(على يَدَيْ غِلْمَة من قريش)**: هذه الرواية مخصصة للأولىٰ، وأن المراد بعض قريش وهم الأحداث منهم لا كلهم، والمراد: أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم للملك، والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبْط بتوالي الفتن، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ.
- وفي رواية عند البيهقي في دلائل النبوة أن أبا هريرة ﷺ كان يمشي في السوق ويقول: (اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان) وفيه إشارة إلىٰ أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين، وهو كذلك، فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي إلىٰ سنة أربع وستين، فمات ثم وليَ ولده معاوية ومات بعد أشهر.
- **(قال مروان..)**: هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وكان ذلك في زمن معاوية ﷺ.
- **(لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت)**: كان أبو هريرة ﷺ يعرف أسماءهم، وكان ذلك من الجراب الذي حفظه عن رسول الله ﷺ ولم يحدِّث به، وكان يقول: (لو حدَّثت به لقطعتم هذا البلعوم).
- استدل بهذا الحديث علىٰ ترك الخروج عن السلطان ولو جار؛ لأن النبي ﷺ أخبر بهم وذكر أن هلاك الأمة علىٰ أيديهم ولم يأمر بالخروج عليهم؛ لأن الخروج أشد فسادًا وهلاكًا، فاختار أخفَّ المفسدتين وأيسر الأمرين.

• **بابٌ: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم**

- حديث الباب فيه التحذير من الفتن، واجتناب الدخول فيها، وأن شرها سيكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة هنا: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يُعلَم المحق من المبطل.
- واختلف العلماء: قيل: يُحمل ذلك علىٰ العموم، وقيل: إذا بغت طائفةٌ علىٰ الإمام فامتنعت من الواجب عليها، ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب علىٰ كل قادر الأخذ علىٰ يد المخطئ، ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور.
- قال الطبري: والصواب أن يُقال: إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب علىٰ كل من قدر عليه، فمن أعان المُحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها ا.هـ.
- وقيل أحاديث النهي خاصة بآخر الزمان، حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك؛ لما في حديث ابن مسعود عند أحمد: قلت يا رسول الله: ومتىٰ ذلك؟ قال: (أيام الهرج) قلت: ومتىٰ؟ قال: (حين لا يأمن الرجل جليسه).

• **بابٌ: إذا التقى المسلمان بسيفيهما**

- **(لأنصُر هذا الرجل..)**: أراد الأحنف أن يخرج بقومه إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ؛ ليقاتل معه يوم الجمل، فنهاه أبو بكرة ﷺ فرجع.
- **(فالقاتل والمقتول في النار)**: هذا الوعيد لا يعني تحقق دخولهما النار، ولكن أمرهما إلىٰ الله ﷻ، إن شاء عذبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلًا، وليس فيه حجة للخوارج ومن قال من المعتزلة بخلود أهل المعاصي في النار.

يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: **إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**.

بَابٌ: تَقْتُلُ عَمَّارًا الفِئَةُ الْبَاغِيَةُ*

١٣٩٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ (ـ فِي ذِكْرِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ـ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ) النَّبِيُّ ﷺ، فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: **وَيْحَ عَمَّارٍ! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، (يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**. قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ)(١).

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ»

١٣٩٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**(٢).

بَابُ ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا*

١٣٩٦ ـ عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها، (قَالَتْ: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلَا لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَبُو قَتَادَةَ ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ...

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ**.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ؛ فَاحْذَرُوهُمْ**.

ـ ١٣٠ ـ

المفردات

- **وَيْحَ عَمَّار**: هي كلمة رحمة، وهي بفتح الحاء إذا أُضيفت، فإن لم تضف جاز الرفع والنصب مع التنوين.
- **دَجَّالُون**: الدَّجل: التخليط والتمويه، ويطلق على الكذب أيضًا.
- **مُبيرها**: المُبِيرُ: المُهْلِك.

الفوائد

- **(إنه كان حريصًا على قَتل صاحبه)**: استدل به من ذهب إلى المؤاخذة بالعزم وإن لم يقع الفعل، وأجيب: أن في هذا فعلًا، وهو المواجهة بالسلاح، ولا يلزم من كونهما في النار أن يكونا في مرتبة واحدة، فالقاتل يُعذب على القتال والقتل، والمقتول يُعذب على القتال فقط، فلم يقع التعذيب على العزم المجرد.
- قال الخطابي: هذا الوعيد لمن قاتل على عداوة دنيوية، أو طلب مُلكٍ مثلًا، فأما من قاتل أهل البغي أو دَفَعَ الصائل فقُتل فلا يدخل في هذا الوعيد، لأنه مأذون له في القتال شرعًا ا.هـ.

ويؤيد ذلك ما أخرجه البزار من حديث الباب من زيادة تبيِّن المراد وهي: (إذا اقتتلتم على الدنيا، فالقاتل والمقتول في النار)، ولا يَرِدُ على ذلك مَنْعُ أبي بكرة رضي الله عنه الأحنف من القتال مع علي رضي الله عنه؛ لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بكرة رضي الله عنه أدَّاه إلى الامتناع والمنع احتياطًا لنفسه ولمن نصحه.

- حديث الباب احتج به من لم يَرَ القتال في الفتنة، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وحملوا الأحاديث الواردة في النهي على من ضَعُف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق.
- قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف، لمَا أقيم حدٌّ ولا أُبطل باطل، ولوَجَد أهل الفسوق سبيلًا إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم. ا.هـ.

• بابٌ: تقتل عمارًا الفئة الباغية

- حديث الباب فيه علم من أعلام النبوة، وفيه فضيلة ظاهرة لعلي ولعمار رضي الله عنهما، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن مصيبًا في حروبه.
- **(وعمار لَبِنَتَيْن)**: زاد معمر في جامعه: (لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ)، وفيه جواز ارتكاب المشقة في عمل البر، وتوقير الرئيس، والقيام عنه بما يتعاطاه من المصالح، وفضل بنيان المساجد.
- **(ويدعونه إلى النار)**: المراد معاوية رضي الله عنه ومن معه، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ والجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، وكان عمار رضي الله عنه يدعوهم إلى الجنة، أي: إلى سببها وهو طاعة الإمام وهو علي رضي الله عنه، وكانوا يدعون إلى خلاف ذلك متأولين فيما ظهر لهم، وقد اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم كانوا مجتهدين، وقد عَفَا الله عن المخطئ في الاجتهاد، فـ رضي الله عنهم أجمعين.

• باب قول النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعوتهما واحدة»

- **(فئتان...دعواهما واحدة)**: المراد: جماعة علي وجماعة معاوية رضي الله عنهما، والمراد بالدعوة: الإسلام على الراجح، وقيل المراد: اعتقاد كل منهما أنه على الحق، وفيه الردُّ على الخوارج ومن تبعهم في تكفيرهم كلا الطرفين، ودل الحديث السابق: (تقتل عمار الفئة الباغية) أن عليًّا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية رضي الله عنه قتلوه.
- **(حتى يبعث دجَّالون)**: المراد: إظهارهم، وفيه أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن جميع الأمور بتقديره ﷻ.
- **(قريبًا من ثلاثين)**: ليس المراد من ادعى النبوة مطلقًا، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة. وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجَّال الأكبر، وفيه علم من أعلام النبوة.

المفردات

- **إِلَّا نِطَاقِي**: النِّطاق: هو ما تشد به المرأة وسطها ليرتفع به ثوبها من الأرض عند المهنة.
- **يُعَيِّرُونَك**: من العَار.
- **إِيهًا**: كلمة تصديق، وأما إِيهٍ بالكسر فكلمة استزادة.
- **شَكَاةٌ**: هي رفع الصوت بالقول القبيح.
- **ظَاهِرٌ عنك**: أي: زائل عنك، والمراد: ارتفع عنك فلم يعلق بك.
- **يُغْبَطُ**: الغبطة: هي تمني مثل حال المغبوط مع بقائها له.

الفوائد

- **(..فلذلك سميت ذات النطاقين)**: فيه التصريح بسبب تسميتها ذات النطاقين، بأنها شقّت نطاقها الواحد نصفين، فجعلت إحداهما نطاقًا صغيرًا واكتفت به، والآخر لسفرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

- **(كان أهل الشام يعيرون ابن الزبير)**: هو عبد الله، والمراد بأهل الشام: عسكر الحجاج بن يوسف، حيث كانوا يقاتلونه من قِبَل عبد الملك بن مروان، أو عسكر الحُصَين بن نُمَيْر الذين قاتلوه قبل ذلك من قِبَل يزيد بن معاوية، فكانوا يقولون له: يا ابن ذات النطاقين علىٰ سبيل المعيرة له بذلك، يريدون بذلك أنها كانت خادمة لا مخدومة علىٰ طريقة أهل الجاهلية في ذم النساء أو مدحهم لهن.

- **(تلك شَكَاةٌ ظاهر عنك عارها)**: أي: لا بأس بهذا القول ولا عار فيه؛ لأنه منقبة لها رضي الله عنها، وقد سمَّاها به النبي ﷺ. فكان إذا عيروه بذلك تمثَّل بهذا القول وهو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي: وعيَّرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها. وكان ابن الزبير رضي الله عنه يكثر من التمثُّل بالشعر وقلما أنشأه.

- في رواية مسلم: (أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن في ثقيف كذَّابًا ومبيرًا) وفيه مناسبة الحديث للباب، وقولها: (أما الكذاب فرأيناه) تعني المختار بن عبيد الثقفي كان شديد الكذب ومن أقبحه أنه ادعىٰ أن جبريل عليه السلام يأتيه، واتفق العلماء علىٰ أنه هو الكذاب، والمبير هو الحجاج بن يوسف، والله أعلم.

- حديث الباب فيه إشارة إلىٰ الفتنة التي حصلت بين عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وبين يزيد بن معاوية؛ لرفض ابن الزبير مبايعة يزيد

إِلَّا نِطَاقِي. قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ فَارْبِطِيهِ، بِوَاحِدِ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ. فَفَعَلْتُ. فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ أَهْلُ الشَّامِ يُعَيِّرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، يَقُولُونَ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ! فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُمْ يُعَيِّرُونَكَ بِالنِّطَاقَيْنِ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ النِّطَاقَانِ؟...، فَكَانَ إِذَا عَيَّرُوهُ بِالنِّطَاقَيْنِ يَقُولُ: إِيهًا وَالْإِلَهِ! تِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا)[1].

بَابٌ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُغْبَطَ أَهْلُ الْقُبُورِ

١٣٩٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:[2] **لَا تَقُومُ**

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نَوْفَلٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولًا لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لَأُمَّةٌ خَيْرٌ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ. قَالَ: فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. قَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ؛ أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ! أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: **أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا**، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**.

- ١٣١ -

بالخلافة بسبب جوره وقبائحه، وظل الأمر علىٰ ذلك حتىٰ مات يزيد، فبايع الناس ابن الزبير، فخرج عليه مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك حتىٰ رجعت الخلافة لبني أمية.

قال ابن كثير رحمه الله: ثم هو -أي: ابن الزبير رضي الله عنه- الإمام بعد معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم الأمر له ا.هـ. ويؤكد علىٰ شرعية ابن الزبير رضي الله عنه كذلك ابن حزم والسيوطي والذهبي رحمهم الله جميعًا.

• **باب: لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور**

- قال ابن بطَّال: تَغَبُّطُ أهل القبور، وتمني الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدِّين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر. ا.هـ.

قال ابن حجر: وليس هذا عامًّا في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه. ا.هـ.

المفردات

- **تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإبل**: يعني من آخرها يبلغ ضوؤها إلىٰ الإبل التي تكون ببصرىٰ.
- **بُصْرَىٰ**: هي مدينة حوران تقع في المنطقة الجنوبية من سوريا.
- **تَضْطَرِبَ**: أي: يضرب بعضها بعضًا.
- **أَلَيَات**: جمع أَلْيَة. وهي العجيزة، وجمعها أَعْجَاز.
- **طَاغِيَة دَوْس**: أي: صنمهم.
- **يَحْسِرَ**: أي: ينكشف.
- **خُوزًا**: خوز: من بلاد الأهواز، وهي من عراق العجم، وقيل: صنف من الأعاجم.
- **كَرْمَان**: اسم بلد، وهو بكسر الكاف علىٰ المشهور، ويُقال بفتحها، وهي بين خراسان وبحر الهند.

الفوائد

- **(فيقول: يا ليتني مكانه)**: فيه جواز تمني الموت عند فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه، ويؤيده رواية مسلم: (لا تذهب الدنيا حتىٰ يمر الرجل علىٰ القبر، فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء) قال ابن حجر: فإنه سيق مساق الذَّم والإنكار، وفيه إيماء إلىٰ أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف، قال النووي: لا كراهة في ذلك، بل فعله خلائق من السلف: منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعيسىٰ الغفاري وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ا.هـ.

وَذِكْرُ الرجل في الحديث للغالب، وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك.

- حديث الباب فيه إشارة إلىٰ أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتىٰ يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقىٰ لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه ونفسه، ومن ثَمَّ عظم قدر العبادة في زمن الفتن كما عند مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه رفعه: (العبادة في الهرج كهجرة إليَّ).

• بابٌ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز

- في حديث الباب آية من أشراط الساعة، قال النووي رحمه الله: وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وست مئة، وكانت نار عظيمة جدًّا خرجت من جنب المدينة الشرقي وراء الحَرَّة، تواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة أن النار المذكورة خرجت وشاهدها ا.هـ.

• باب تَغْيِير الزَّمان حتى تُعبد الأوثان

- حديث الباب فيه إشارة إلىٰ ما سيحدث من الرِّدة والرجوع إلىٰ عبادة الأصنام.
- **(تضطرب أَلَيَات نساء دَوْسٍ)**: فيه عبادة هؤلاء النساء لهذا الصنم، وطوافهن به، وتزاحمهن علىٰ هذا المنكر العظيم. وفي معنىٰ هذا الحديث ما أخرجه الحاكم موقوفًا علىٰ ابن عمر رضي الله عنهما: (لا تقوم الساعة حتىٰ تَدَافع مَنَاكب نساء بني عامر علىٰ ذي الخلصة).

السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ[1] فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ![2].

بَابٌ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ*

١٣٩٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**.

بَابُ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ

١٣٩٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ**. وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

بَابُ فِتْنَةِ كَنْزِ الْفُرَاتِ*

١٤٠٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **عَنْ جَبَلٍ** ـ **مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**[3].

بَابُ قِتَالِ التُّرْكِ

١٤٠١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَانَ مِنَ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو**.
• وَفِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: **فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ**. قَالَ: **فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ**.

- ١٣٢ -

• باب فتنة كنز الفرات

- حديث الباب فيه إخبار النبي ﷺ عن انكشاف نهر الفرات وذهاب مائه وظهور كنز من الذهب، والمراد: المعدن المعهود، وليس البترول كما زعم بعضهم، قال ابن حجر رحمه الله: تسميته كنزًا باعتبار حاله قبل أن يَنكشف، وتسميته جبلًا للإشارة إلىٰ كثرته ا.هـ.
- **(فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا)**: لما يترتب علىٰ طلب الأخذ منه من الاقتتال فضلًا عن الأخذ، ويؤيده ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: (يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتتل عليه الناس، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول رجل منهم: لعلي أنا أكون الذي أنجو).

أما عن زمان حدوثه فقيل: أنه في آخر الزمان عند الحشر، وهذا ظاهر صنيع البخاري بإدخال الحديث تحت باب خروج النار، والأقرب أنه يقع عند ظهور المهدي، وذلك قبل خروج عيسىٰ، وقبل خروج النار، والله أعلم.

• باب قتال الترك

- حديث الباب فيه من أعلام النبوة، حيث أخبر النبي ﷺ أن المسلمين يقاتلون الترك، والمراد بهم المغول والتتار، ووصفهم بأوصاف دقيقة، وقد وقع كما أخبر ﷺ.

الْأَعَاجِمِ): صِغَارَ الْأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الْأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ(١).

بَابٌ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ*

١٤٠٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ.**

بَابُ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ*

١٤٠٣ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ (مُعَلَّقًا)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ(٢).**

• (وَفِي حَدِيثِ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ: **يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً.** وَفِي رِوَايَةٍ: **لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِمْ شَيْئًا**).

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ**).

بَابُ قِتَالِ الْيَهُودِ

١٤٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ(٣) وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ! هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ(٤).**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ.**
(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ.**
(٣) وَلِمُسْلِمٍ: **وَالشَّجَرُ.**
(٤) وَلِمُسْلِمٍ: **إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ.**

- ١٣٣ -

المفردات

– **ذُلْفَ الأُنوف:** أي: صغار الأُنوف، وقيل: المراد قصر الأنف وانبطاحه، وقيل الذَّلف: الاستواء في طرف الأنف.
– **المَجَانُّ المُطْرَقَة:** أي: التُّرُوس التي عليها أغشية الجلد، كناية عن غلظ وجوههم وكثرة لحمها.
– **نِعَالُهم الشعر:** نعالهم من الشعر المضفور، أو أنهم يطيلون شعورهم حتىٰ تصير أطرافه عند أرجلهم بموضع النِّعال.
– **حُفَالة:** أي: الحُثالة، وهي الرديء من كل شيء.
– **لا يُبَاليهم الله بالةً:** أي: لا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا.

الفوائد

– **(خُوزًا وكَرْمان من العجم):** هذه رواية البخاري، وتقدم قبلها: (تقاتلون الترك) واستُشكل؛ لأن خُوزًا وكَرْمان ليسا من بلاد الترك، ويمكن أن يُجاب بأن هذا الحديث غير حديث الترك، ويَجتمع منها الإنذار بخروج الطائفتين.
– الحديث فيه إشارة إلىٰ أن المراد بقتال الترك هو ما سيقع بين المسلمين وبين الأقوام التي خلف جبال القوقاز، ومن شابههم في الأوصاف بالمشرق، والأحاديث بمجموع طرقها تشير إلىٰ عدة معارك وليس معركة واحدة؛ ولذلك اختلف العلماء في كونها وقعت بشكل كامل أو وقع بعضها، وذهب بعضهم أن المراد بالترك هم التتار والمغول الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية من المشرق إلىٰ الشام. والله أعلم، قال النووي: فوُجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا وقاتلهم المسلمون مرات وقتالهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين ا.هـ. (مختصرًا).

• **بابٌ: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان**

– **(رجل من قحطان):** جوَّز القرطبي أنه جَهْجَاه الذي ورد ذكره عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: (حتىٰ يملك رجلٌ يقال له الجهجاه)، ولكنه عند الترمذي وأحمد بلفظ: (حتىٰ يملك رجل من الموالي يُقال له الجهجاه) وهذه الرواية نصٌّ صريح أن الجَهْجَاه من الموالي وهم العبيد، والقحطاني رجل عربي من قحطان وهم أهل اليمن، وكل قبائل قحطان عرب أحرار.
– **(يسوق الناس بعصاه):** كناية عن استقامة الناس وانعقادهم عليه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يعني في الطاعة له والائتمار بأمره، كناية عن استيلائه ونفوذه ا.هـ. ولم يثبت عن النبي ﷺ هل يسوق الناس إلىٰ الخير أم إلىٰ الشر. والله أعلم، قال ابن حجر: وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به النبي ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد ا.هـ.

• **باب من تقوم عليهم الساعة**

– أحاديث الباب فيها إخبار النبي ﷺ عن حال هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة بكل ما فيها من أهوال وشدائد، وهم شرار الخلق الذين فَشَا فيهم الجهل والكفر والفساد والانحلال، الذين لا يعرفون لهم ربًّا ولا يذكرون إلهًا كما عند مسلم من حديث أنس ﷺ: (لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض الله الله) وذلك بعد أن يرسل الله ريحًا طيبة، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، وتبقىٰ حثالة الناس وشرارهم يتهارجون تهارج الحُمر، فهؤلاء شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة كما أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ.
– وفيها: أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتىٰ لا يبقىٰ إلا أهل الشر، واستُدل به علىٰ جواز خلو الأرض من عالم حتىٰ لا يبقىٰ إلا أهل الجهل صِرفًا، ويؤيده حديث: (حتىٰ إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا).

• **باب قتال اليهود**

– **(حتى تقاتلوا):** فيه جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله، ويعتقد باعتقاده، وأن الخطاب الشِّفاهي يعم المخاطبين ومن بعدهم من جهة الحكم.
– **(تقاتلوا اليهود):** قال ابن حجر: فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدَّجال ونزل عيسىٰ ﷺ، وكما وقع صريحًا في حديث أبي أمامة ﷺ في قصة خروج الدَّجال ونزول عيسىٰ ﷺ. ثم قال: وفيه إشارة إلىٰ بقاء دين المسلمين إلىٰ أن ينزل عيسىٰ ﷺ، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال ا.هـ.
– وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر حقيقة كما يدل عليه ظاهر الحديث.

بَابُ الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَؤُمُّ الْبَيْتَ*

١٤٠٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**[(١)]. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**[(٢)].

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ.**

بَابُ هَدْمِ الْكَعْبَةِ

١٤٠٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ.**

• (وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**).

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ.**

(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ بِلَفْظِ: عَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ! فَقَالَ: **الْعَجَبُ! إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ**. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ! قَالَ: **نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ، وَالْمَجْبُورُ، وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ.**

• وَفِي حَدِيثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ** ـ يَعْنِي الْكَعْبَةَ ـ **قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**. قَالَ يُوسُفُ بْنُ مَاهَكَ: وَأَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ.

- ١٣٤ -

المفردات

- **الخَسْف**: الذهاب في الأرض.
- **بَيْدَاءَ**: البيداء هي الصحراء، سميت بذلك لأنها تُبيد من يحلها أي تهلكه.
- **أَسْوَاقُهُم**: قيل: أهل أسواقهم وهم الباعة، وقيل: من عَدَا الحكام.
- **ذُو السُّويْقَتَيْن**: تثنية سُوَيقة، وهي تصغير ساق أي: له ساقان دقيقان.
- **أَفْحَجَ**: الفَحَج: تباعُدُ ما بين الساقين.

الفوائد

• باب الخسفِ بالجيش الذي يؤم البيت

* **حديث عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

- **(يغزو جيش الكعبة)**: وفي بعض طرقه عند مسلم: (إن ناسًا من أمتي) واستُدل به علىٰ أن هذا الجيش ليس هو الذي يهدم الكعبة كما قال ابن التين؛ لأن الذين يهدمونها هم كفار الحبشة كما سيأتي في الباب التالي.
- **(يُخسف بأولهم وآخرهم)**: ولمسلم من حديث حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (يخسف بأوسطهم، وينادي أولهم آخرَهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقىٰ إلا الشريد الذي يخبر عنهم) وفيه بيان حكم الأوسط وأنه داخل فيمن هلك، وظاهره أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إلىٰ الكعبة، وفيه حفظ الله ﷻ لبيته الحرام.
- **(ومن ليس منهم)**: المراد من رافقهم ولم يقصد موافَقَتهم، وقد استشكلت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقوع العذاب علىٰ من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة، فوقع الجواب بأن العذاب يقع عامًّا لحضور آجالهم، ويبعثون بعد ذلك علىٰ نياتهم.
- ولمسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: (يُخسف به، ولكن يُبعث يوم القيامة علىٰ نيته) أي يخسف بالجميع لشؤم الأشرار، ثم يعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده.
- حديثا الباب فيهما: أن الأعمال تُعتبر بنيَّة العامل، وفيها التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضْطُر إلىٰ ذلك.

• باب هدم الكعبة

- أي: في آخر الزمان، وأورد البخاري في صحيحه تحت هذه الترجمة حديث عائشة السابق، ومناسبته لهذه الترجمة من جهة أن فيه إشارة إلىٰ أن غزو الكعبة سيقع، فمرة يهلكهم الله ﷻ قبل الوصول إليها وأخرىٰ يُمكّنهم، والظاهر أن غزو الذين يُخرِّبونها متأخرين عن الأولين.

* **حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- **(من الحبشة)**: أي: رجل من الحبشة، وعند أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأَتَمَّ من هذا السياق ولفظه: (يبايَع للرجل بين الركن والمقام، ولن يَستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلُّوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخرِّبُونَه خرابًا لا يَعمُر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه).
- أحاديث هدم الكعبة التي أخبر بها النبي ﷺ لا تتعارض مع قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[العنكبوت:٦٧]؛ لأن هذه الأحاديث تُحمل علىٰ أن هذا يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة، حيث لا يبقىٰ في الأرض أحد يقول: الله الله، كما ثبت في صحيح مسلم: (لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض: الله الله).
- حديثا الباب فيهما: إخبار النبي ﷺ عن هدم الكعبة واستباحة بيت الله الحرام، وفيه بيان صفة الرجل الذي يفعل ذلك وهو من جملة الإخبار عن الأمور التي تحصل في آخر الزمان، وفيه تحذير للمسلم وحث له علىٰ الاستعداد لتلك الأمور، والاستكثار من العبادة والاعتصام بالكتاب والسنة.
- ويستفاد من حديثي الباب مسارعة المسلم إلىٰ الإكثار من الطواف والصلاة في البيت الحرام قبل ألا يتمكن من ذلك، وقد ورد ذلك صريحًا عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أبي عُبيد في غريب الحديث قال: (استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصلع -أو قال أَصمَع- حَمْش الساقين قاعد عليها وهي تُهدم).

المفردات

- **لَمْ تَجْتَبُوا**: من الجباية أي: لم تأخذوا من الجزية والخراج شيئًا.
- **تُنْتَهَك**: أي: تُتَناول مما لا يحل من الجور والظلم.
- **فَيَمْنَعُونَ ما في أيديهم**: أي: يمتنعون من أداء الجزية.
- **رَفْع الأمانة**: هي ضد الخيانة، والمراد برفعها: إذهابها بحيث يكون الأمين معدومًا أو شبه المعدوم.
- **جَذْر**: الجَذْر: الأصل في كل شيء.
- **فَيَظَلُّ أَثَرُها**: أي: يصير، والمراد: أن الأمانة تذهب حتىٰ لا يبقىٰ منها إلا الأثر الموصوف في الحديث.
- **الوَكت**: أثر النار ونحوه.
- **المَجْل**: هو أثر العمل في الكف.
- **فَنَفِط فَتَراه مُنْتَبِرًا**: أي صار منتفطًا وهو المنتبِر، وانتبر الجرح: إذا وَرِمَ وامتلأ ماءً.

الفوائد

• باب منع أهلِ الذِّمَّة ما في أيديهم

– **(إذا لم تجتبُوا دينارًا ولا درهمًا؟)**: رواه البخاري موقوفًا علىٰ أبي هريرة رضي الله عنه، أما مسلم فرواه مرفوعًا بلفظ: (منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام..) الحديث، وساق الحديث بلفظ الفعل الماضي والمراد به ما يُستقبل مبالغة في الإشارة إلىٰ تحقق وقوعه. قال النووي: وفي معنىٰ منعت العراق وغيرها قولان مشهوران: **أحدهما:** لإسلامهم فتسقط عنهم الجزية وهذا قد وجد. **والثاني:** وهو الأشهر أن معناه أن العجم والروم يستولون علىٰ البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين. وقد روىٰ مسلم هذا بعد هذا بورقات عن جابر قال: (يوشك أهل العراق ألا يجبىٰ إليهم قفيزٌ ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال من قبل العجم يمنعون ذالك)، وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وُجدَ في زماننا في العراق، وهو الآن موجود ا.هـ.

– **(تُنْتَهَكُ ذمة الله وذمة رسوله ﷺ)**: فيه بيان سبب منع أهل الذمة الجزية والخراج، وفيه علم من أعلام النبوة، والتوصية بأهل الذمة؛ لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع للمسلمين، وفيه التحذير من ظلمهم، وأنه متىٰ وقع ذلك نقضوا العهد، فلم يَجتبِ المسلمون منهم شيئًا فتضيق أحوالهم.

– حديث الباب فيه إشارة إلىٰ ضعف المسلمين واستيلاء الروم والعجم علىٰ ملك المسلمين في العراق والشام، بعد ما كانت خاضعة لسلطانهم، فيمنعوا خيرها وخراجها عن المسلمين، وقد تكرر ذلك الأمر مرات في التاريخ، وهو واقع في زماننا، وفيه إشارة إلىٰ حصار أهل هذه البلاد من قِبَل العجم والروم، والله المستعان.

• باب رفع الأمانة

– **(رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر)**: أما الذي وقع ورآه حذيفة رضي الله عنه فهو أن الأمانة نزلت في جذر قلوب أصحاب النبي ﷺ

بَابُ مَنْعِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ*

١٤٠٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، (قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؟ فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِي، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ! عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ. قَالُوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَشُدُّ اللهُ عز وجل قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ؛ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ)(١).

بَابُ رَفْعِ الْأَمَانَةِ

١٤٠٨ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: **أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**. وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: **يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ(٢)، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا أَظْرَفَهُ، وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ**

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ: مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه مَوْقُوفًا: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ. ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ.

- ١٣٥ -

واستقرت، والمراد بها الإيمان، وهي تشمل ما اؤتمن عليه العبد فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، ثم بعد ذلك تعلموا من القرآن والسنة، فكان إيمانهم هو السبب في قبولهم بالأخذ بالقرآن والسنة، وفيه دليل علىٰ أن الإيمان قبل العلم، وهكذا كان منهج الصحابة رضي الله عنهم، يصدقون ويقرون وينقادون ثم يتعلمون تفاصيل الشريعة، ويعملون بها شيئًا فشيئًا، وفيه ارتباط الأمانة بقوة الإيمان، فحيث نزل الإيمان في القلوب وثبت في النفوس، واستوثق بقراءة القرآن والتفقه فيه، ورسخ بالسنة والعمل بها تحققت الأمانة وتمكنت، وأصبح الدين مانعًا من الخيانة، وحائلًا بين شهوات النفس والشيطان وبين حقوق الآخرين. أما إذا ضعف الإيمان وغلبت الشهوات ارتفعت الأمانة والله المستعان.

وأما الثاني والذي ينتظره هو أن الأمانة تُقبض وتزول من قلوب الرجال، والمراد الكمال الواجب وليس أصلها، وهذا يقتضي نقص الإيمان وضعفه، فلا يبقىٰ في القلب من الأمانة إلا أثر يسير كأثر الجمر علىٰ الجلد. وفيه دليل علىٰ تغير أحوال الناس في المبايعات والمعاملات، وانتشار الغش والتدليس والخيانة، وغلبة الشح والطمع، والحرص علىٰ جمع المال ولو من طريق محرم، وهذا واقع في كثير من الأسواق الآن ولا يحتاج إلىٰ برهان. وفيه علم من أعلام النبوة.

– **(ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه..)**: فيه إشارة إلىٰ أن كمال هيئة الرجل وجمال زينته وصورته لا يدل علىٰ صدقه وأمانته ووفائه، وأنه ينبغي للمؤمن ألا يغتر بالظواهر، وأن يحتاط في تعاملاته.

المفردات

- **رَدَّه عليّ سَاعِيه**: أي: واليِه الذي أُقيم عليه لِيُنصِفَ منه، وأكثر ما يستعمل الساعي في ولاة الصدقة، ويحتمل أن يراد به هنا الذي يتولىٰ قبض الجزية.
- **الدَّجال**: من الدَّجل وهو الكذب، وسُمي دَجَّالًا لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل غير ذلك.
- **أُطُم**: بناءٌ كالحصن.
- **مَغَالة**: بطن من الأنصار.

الفوائد

- **(ولقد أتى عليّ زمان..)**: يشير إلىٰ أن حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير، فأشار إليه.
- **(فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا)**: يُحتمل أن يكون ذكره بهذا اللفظ، ويحتمل أن يكون سمَّىٰ اثنين من المشهورين بالأمانة إذ ذاك، فأبهمهما الراوي.

والمراد: أنه لوثوقه بوجود الأمانة في الناس أولًا، كان يُقْدِم علىٰ مبايعة من اتفق من غير بحث عن حاله، فلما بدأ التغير في الناس وظهرت الخيانة صار لا يبايع إلا من يعرف حاله. وهذا لا يتعارض مع قوله في بداية الحديث: (وأنا انتظر الآخر) لأن قوله: (ما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا) هم من أهل العصر الأخير الذي أدركه والأمانة فيهم أقل بالنسبة إلىٰ العصر الأول، وأما الذي ينتظره فإنه حيث تُفقد الأمانة من الجميع إلا النادر.

• **باب ذِكْر الدَّجال**

* **حديث المغيرة بن شعبة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- **(هو أهون على الله من ذلك)**: قال القاضي: هو أهون علىٰ الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالىٰ علىٰ يده مُضلًّا للمؤمنين ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وتثبت الحجة علىٰ الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك.

* **حديث محمد بن المنكدر**:

- **(قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك..)**: كأن جابرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما سمع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحلف عند رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه، فَهِمَ منه المطابقة، وأما سكوت النبي ﷺ علىٰ حلف عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فيحتمل أن النبي ﷺ كان متوقفًا في أمره ثم أُعلِم من الله ﷻ بأنه غيره علىٰ ما تقتضيه قصة تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ؛ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا.

بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ

١٤٠٩ ـ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي:(١) **مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ؟** قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ(٢). قَالَ: **هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ**.

١٤١٠ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَحْلِفُ بِاللهِ أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَّالُ، قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

١٤١١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ(٣)، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:(٤) **أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟** فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ. فَقَالَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **أَيْ بُنَيَّ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَقِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَرْنَا بِصِبْيَانٍ فِيهِمُ ابْنُ صَيَّادٍ، فَفَرَّ الصِّبْيَانُ، وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَكَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **تَرِبَتْ يَدَاكَ!**...

- ١٣٦ -

وأما قسم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحضرة النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدَّجال، فهذا قسم علىٰ غالب الظَّن، وقد جَوَّز بعض العلماء القسم علىٰ غالب الظن، وأنه لا يشترط فيه اليقين.

* **حديث ابن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

- **(قِبَل ابن صيَّاد)**: أي: جهته؛ ليستكشف أمره؛ ليبيِّن لأصحابه تمويهه، فلا يلتبس حاله علىٰ ضعيف لم يتمكن في الإسلام. قال القرطبي: كان ابن صياد علىٰ طريقة الكهنة يُخبر بالخبر، فيصح تارة ويفسد أخرىٰ، فشاع ذلك، ولم ينزل في شأنه وحي، فأراد النبي ﷺ سلوك طريقةٍ يختبر فيها حاله بها ا.هـ. أي: فهو السبب في انطلاق النبي ﷺ إليه.
- **(أشهد أنك رسول الأميين)**: فيه إشعار بأن اليهود الذين كان ابن صياد منهم كانوا معترفين ببعثة رسول الله ﷺ، لكن يدَّعون أنها مخصوصة بالعرب، وفساد حجتهم واضح جدًّا؛ لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب علىٰ الله ﷻ، فإذا ادعىٰ أنه رسوله إلىٰ العرب وإلىٰ غيرهم، تعين صدقه، فوجب تصديقه.

ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **آمَنْتُ بِاللهِ**[١] **وَرُسُلِهِ**. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَاذَا تَرَى؟**[٢] قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ[٣]. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ**. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**. قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَأْتِيَانِ النَّخْلَ الَّذِي فِيهِ ابْنُ صَيَّادٍ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ النَّخْلَ طَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، وَهُوَ يَخْتِلُ ابْنَ صَيَّادٍ أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا (رَمْزَةٌ) - وَفِي رِوَايَةٍ: زَمْزَمَةٌ -، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: أَيْ صَافِ! وَهُوَ اسْمُهُ، فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ**. ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: **إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**[٤].

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: **وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ**.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: صَادِقَيْنِ وَكَاذِبًا، أَوْ كَاذِبَيْنِ وَصَادِقًا.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عز وجل حَتَّى يَمُوتَ**.

- ١٣٧ -

المفردات

- **اِخْسَأْ**: أي: ابْعِد.
- **طَفِقَ**: أي: جَعَل.
- **يَتَّقِي**: أي: يستتر.
- **يَخْتِلُ**: أي: يسمع خفية.
- **قَطِيفَة**: أي: كساء مخمل.
- **رَمْزَة**: صوت خفي بتحريك الشفتين لا يُفهم.
- **زَمْزَمَة**: صوت تحريك الشفتين بكلام من الخيشوم والحلق لا يتحرك فيه اللسان.
- **فَثَارَ**: أي: قام.
- **لو تَرَكَتْهُ بَيَّن**: أي: لو لم تُعْلِمه بمجيئنا لتمادىٰ علىٰ ما كان فيه فسمعنا ما يُستكشَف به أمره.

الفوائد

- **(قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب)**: في حديث جابر عند الترمذي ونحوه عند مسلم: (فقال: أرىٰ حقًّا وباطلًا، وأرىٰ عرشًا علىٰ الماء) وفي حديث أبي سعيد عند مسلم: (أرىٰ صادقين وكاذبًا، أو كاذبين وصادقًا، فقال رسول الله ﷺ: لُبِس عليه، دعوه).
- **(هو الدُّخ)**: قال النووي: والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان:١٠].
- **(اخسأ فلن تعدو قدرك)**: أي لن تجاوز ما قدَّر الله فيك، أو مقدار أمثالك من الكهان. قال القاضي: وأصح الأقوال أن لم يهتد من الآية التي أضمرها النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص علىٰ عادة الكهان إذا ألقىٰ الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب ا.هـ.
- ظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوحَ إليه في ابن صياد بشيء، وإنما أُوحي إليه بصفات الدَّجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، ولذلك لم يقطع النبي ﷺ بأنه هو الدَّجال، وقد امتحنه بآية الدخان لما علم أنه كاهن وتأتيه الشياطين.
- **(إن يكنه فلن تُسلَّط عليه)**: في حديث جابر رضي الله عنه عند أحمد: (فلست بصاحبه إنما صاحبه عيسىٰ ابن مريم).
- **(وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله)**: قال الخطابي: وإنما لم يأذن النبي ﷺ في قتله مع ادعائه النبوة بحضرته؛ لأنه كان غير بالغ؛ ولأنه كان من جملة أهل العهد ا.هـ.

قال ابن حجر: والثاني هو المتعين، وقد جاء مصرحًا به في حديث جابر رضي الله عنه عند أحمد ا.هـ.

- في الحديث: اهتمام الإمام بالأمور التي يخشىٰ منها الفساد والتنقيب عنها، وإظهار كذب المدعي الباطل، وامتحانه بما يكشف حاله، والتجسس علىٰ أهل الرِّيَب، وأن النبي ﷺ كان يجتهد فيما لم يوحَ إليه فيه.
- **(ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه)**: اختُص النبي ﷺ بالتنبيه المذكور دون من قبله من الأنبياء؛ لأن الدَّجال إنما يخرج في أمته دون غيرها ممن تقدم من الأمم، ودلَّ الخبر علىٰ أن عِلْم كونه يختصُّ خروجُه بهذه الأمة كان طُوِيَ عن غير هذه الأمة، كما طُوِيَ عن الجميع علم وقت قيام الساعة.
- **(أنه أعور، وأن الله ليس بأعور)**: إنما اقتصر علىٰ ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة؛ لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلىٰ الأدلة العقلية، فإذا ادعىٰ الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإله يتعالىٰ عن النقص عُلم أنه كاذب.
- زاد مسلم: (تعلمون أنه لن يرىٰ أحد منكم ربه عز وجل حتىٰ يموت) وفيه تنبيه علىٰ كذب الدَّجال؛ لأن رؤية الله عز وجل مقيدة بالموت، والدَّجال يدعي أنه الله، ويراه الناس مع ذلك.

الفوائد

- (فما خفي عليكم..): أي: إن خفي عليكم بعض شأنه فلا يخفىٰ عليكم أن ربكم ليس بأعور.

* حديث أنس رضي الله عنه:

- (مكتوبٌ بين عينيه: كافر): قال النووي: الصحيح الذي عليه المحققون أن الكتابة المذكورة حقيقةٌ، جعلها الله ﷻ قاطعة بكذب الدَّجال، فيُظهر الله ﷻ المؤمن عليها، ويخفيها علىٰ من أراد شقاوته ا.هـ. ويؤيده ما عند مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه: (إن الدَّجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب).

* حديث حذيفة رضي الله عنه:

- (ماءً ونارًا): ولمسلم: (فناره جنةٌ، وجنته نارٌ) وفي رواية: (فلا تَهْلِكُوا) وفي رواية: (وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه؛ فإنه ماء بارد). وعند ابن ماجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (فمن ابتلي بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا).

- (فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء بارد..): قال ابن حجر: هذا كله يرجع إلىٰ اختلاف المرئي بالنسبة للرائي، فإما أن يكون الدجال ساحرًا، فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل الله ﷻ باطن الجنة التي يسخِّرها الدَّجال نارًا، وباطن النار جنة، وهذا الراجح ا.هـ.

- أحاديث الباب فيها حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجود الدَّجال، وأنه شخص بعينه ابتلىٰ الله به عباده وأقدره علىٰ أشياء من ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره وغير ذلك مما سخره الله له ابتلاء وامتحانًا للعباد، ثم بعد ذلك يعجزه الله ﷻ، ويبطل أمره ويقتله عيسىٰ عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، فهذا مذهب أهل السنة خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج وبعض المعتزلة.

• باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

- (أن ينزل فيكم): أي: في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

- (حكمًا عدلًا): أي: حاكمًا، ينزل حاكمًا بهذه الشريعة، فإن الشريعة باقية لا تُنسخ. بل يكون عيسىٰ عليه السلام حاكمًا من حكَّام هذه الأمة.

- (فيكسر الصليب): أي: يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارىٰ من تعظيمه.

- (ويقتل الخنزير): أي: يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارىٰ الذين يزعمون أنهم علىٰ طريقة عيسىٰ عليه السلام، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته. ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير، وتحريم أكله، وأنه نجس، لأن الشيء المنتفع به لا يُشرع إتلافه.

(وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ. ثَلَاثًا).

• وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ[١].

١٤١٢ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:[٢] إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ[٣]، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ؛ فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ[٤].

بَابُ نُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام

١٤١٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ[٥]، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ[٦]، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ثُمَّ يَقُولُ

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ.
• وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: إِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ: كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ.
وَفِي رِوَايَةٍ: الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ...
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَا تَهْلِكُوا.
(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ.
(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ.
(٦) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ.

- ١٣٨ -

- وفيه تغيير المنكرات، وكسر آلة الباطل، ومحل جواز كسر الصليب إذا كان مع محاربين أو الذمي إذا جاوز به الحد الذي عُوهد عليه.

- (ويضع الجزية): قال ابن حجر: المعنىٰ: أن الدِّين يصير واحدًا، فلا يبقىٰ أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، ويؤيده ما عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: (وتكون الدعوىٰ واحدة) ا.هـ.

قال النووي: ومعنىٰ وضع عيسىٰ عليه السلام الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسىٰ عليه السلام؛ لما دلَّ عليه هذا الخبر، وليس عيسىٰ عليه السلام بناسخ لحكم الجزية، بل نبينا ﷺ هو المبيِّن للنسخ بقوله هذا ا.هـ.

- (ويفيض المال): وسبب كثرة المال نزول البركات، وتوالي الخيرات، بسبب العدل وعدم الظلم، وحينئذٍ تخرج الأرض كنوزها، وتقلُّ الرَّغبات في اقتناء الأموال لعلمهم بقرب الساعة.

- (حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها): لرغبة الناس عن الدنيا، وإقبالهم علىٰ العبادة وحبهم لها، قال القرطبي: معنىٰ الحديث: أن الصلاة حينئذٍ تكون أفضل من الصدقة؛ لكثرة المال إذ ذاك، وعدم الانتفاع به حتىٰ لا يقبله أحد. ا.هـ.

أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

١٤١٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**(١).

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»

١٤١٥ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا ـ بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ ـ: **بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**.

بَابُ قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ*

١٤١٦ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ ـ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي(٢) ـ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**.

١٤١٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأَعْرَابِ (جُفَاةً) يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ، فَيَقُولُ: **إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**.

بَابُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

١٤١٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا**

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **وَأَمَّكُمْ؟**.
وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: أَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ...

- ١٣٩ -

المفردات

- **والسَّاعَةَ**: المراد بالساعة هنا: يوم القيامة.
- **من أَقْرَانِي**: أي: مثلي في السِّن، وكان سنُّ أنس ﷺ حينئذٍ نحو سبع عشر سنة.
- **جُفَاةً**: وهذه صفة غالبة في الأعراب؛ لأنهم يسكنون البوادي ويغلب عليهم الشَّظفُ وخشونة العيش، فتجفوا أخلاقهم غالبًا.

الفوائد

- **(واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]...الآية)**: قرأ أبو هريرة ﷺ هذه الآية إشارة إلىٰ صلاح الناس، وشدة إيمانهم، وإقبالهم علىٰ الخير، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة علىٰ جميع الدنيا، وهذا مصيرٌ من أبي هريرة ﷺ إلىٰ أن الضمير في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ وكذلك في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود علىٰ عيسىٰ ﷺ أي: إلا ليؤمنن بعيسىٰ قبل موت عيسىٰ، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه الطبري.
- قيل أن الحكمة في نزول عيسىٰ ﷺ دون غيره من الأنبياء الرَّد علىٰ اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبيَّن الله تعالىٰ كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.
- **(وإمَامُكم منكم)**: عند أحمد من حديث جابر ﷺ في قصة الدَّجال ونزول عيسىٰ ﷺ: (وإذا هم بعيسىٰ ﷺ، فيقال: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدَّم إمامكم فليصلِّ بكم).
- تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسىٰ ﷺ يصلي خلفه، وفي صلاة عيسىٰ ﷺ خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، وفيه شرف أمة محمد ﷺ حيث يصلي وراء إمام منها نبي الله عيسىٰ ﷺ.

• **باب قول النبي ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين»**

- قال القرطبي في التذكرة: معنىٰ هذا الحديث تقريبُ أمر الساعة، ولا منافاة بينه وبين قوله في الحديث الآخر: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، فإن المراد بحديث الباب: أنه ليس بينه وبين الساعة نبي كما ليس بين السبابة والوسطىٰ أصبع أخرىٰ، ولا يلزم من ذلك عِلْمُ وقتها بعينه، لكنَّ سياقه يفيد قُربها، وأن أشراطها متتابعة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨] قال الضحاك: أول أشراطها محمد ﷺ، والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم علىٰ التوبة والاستعداد.

• **باب قرب قيام الساعة**

* **حديث أنس ﷺ**:

- **(حتى تقوم الساعة)**: وفي حديث عائشة ﷺ: (حتىٰ تقوم عليكم ساعتكم)، قال عياض: حديث عائشة ﷺ يُفسِّر حديث أنس ﷺ، وأن المراد ساعة المخاطبين، وهو نظير قوله: (أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن علىٰ رأس مئة سنة منها لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض ممن هو عليها الآن أحد) ا.هـ.

وقال الدَّاودي: هذا الجواب من معاريض الكلام، فإنه لو قال لهم: لا أدري ابتداءً مع ما هم فيه من الجفاء وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم لارتابوا، فعدل إلىٰ إعلامهم بالوقت الذي ينقرضون هم فيه، ولو كان تمكَّن الإيمان في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد ا.هـ.

- فيه حكمة النبي ﷺ حيث عدل بالجواب إلىٰ ساعتهم لأن علم وقت القيامة لا يعلمه إلا الله، أما العلم بانقراض عصرهم هو أولىٰ لهم، لما في معرفته من انبعاث علىٰ ملازمة العمل الصالح قبل فوته، لأن أحدهم لا يدري من الذي يسبق الآخر.

• **باب طلوع الشمس من مغربها**

* **حديث أبي هريرة ﷺ**:

- **(فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا)**: وفي رواية: (فإذا رآها الناس آمن من عليها) أي: علىٰ الأرض من ناس، وإذا كان الناس يرونها في جميع البلدان، بلا استثناء، فيُحتمل أن الناس يرون في كل بلد بحسب مطلعهم، ووقت شروقهم، ويحتمل أن تظهر لأهل الأرض جميعًا في وقت واحد، وقد طلعت من مغربها بكيفية لا يعلمها إلا الله، ويكون ذلك من جملة الآيات، ومظاهر اختلال نظام الكون كله، والله أعلم وهو علىٰ كل شيء قدير.

أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾(١)، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ، فَلَا يَسْقِي فِيهِ، (وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَطْعَمُهَا).

١٤١٩ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ، فَيُؤْذَنَ لَهَا، (وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا)، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(٢).

بَابٌ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾

١٤٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا بَيْنَ

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾.

- ١٤٠ -

المفردات

- **يَتَبَايَعَانِه**: أي: يتساومان فيه، مالكه والذي يريد شراءه.
- **لِقْحَتِه**: هي ذات الدَّرِّ من النوق.
- **يَلِيطُ حَوْضَه**: يصلحه بالطين، فيسدُّ ما تشقق منه.

الفوائد

- **(حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨])**: قال القاضي: المعنىٰ لا تنفع توبةٌ بعد ذلك، بل يُختم علىٰ كل عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها، والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغيُّر العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة، وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة، وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله ا.هـ.

- **(وقد نشرا ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه)**: نسبة الثوب إليهما باعتبار الحقيقة في أحدهما، والمجاز في الآخر؛ لأن أحدهما مالكٌ والآخر مُسْتَام، والمعنىٰ: أنه لا يتم ذلك البيع بينهما من بغتة قيام الساعة، فلا يتبايعانه ولا يطويانه.

- **(وهو يليط حوضه، فلا يسقي منه)**: في حديث ابن عمرو رضي الله عنهما عند الحاكم وأصله في مسلم: (ثم يُنفخ في الصور فيكون أول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيُصعق) وفيه بيان السبب في كونه لا يسقي من حوضه شيئًا.

- **(فلا يَطْعَمُهَا)**: أي من قبل أن يمضغها، أو من قبل أن يبتلعها، ويؤيده ما أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: (تقوم الساعة علىٰ رجل أُكْلَتُه في فِيه يلُوكها فلا يُسيغها ولا يلفظها) وفيه أن القيامة تقوم بغتة.

* **حديث أبي ذر رضي الله عنه:**

- **(أتدري أين تذهب؟)**: أي: أتدري أين تذهب هذه الشمس بعد اختفائها عند الغروب؟ فأجاب: الله ورسوله أعلم؛ لأن هذه الأمور لا تُعلم إلا بالوحي، فأوكل العلم بها إلىٰ الله ورسوله؛ لأن مثل هذا لا مدخل للعقل في إدراكه.

- **(حتى تسجد تحت العرش)**: أي: تسجد لربها حقيقةً، وهي أينما سجدت سجدت تحت العرش، فهو سقف المخلوقات جميعًا، وسجود الشمس ليس مما يستنكر أو يستبعد وقوعه، إذ سجود كل مخلوق بحسبه، وقد أخبر الله ﷻ عن سجود الشمس والقمر في القرآن الكريم فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾[الحج:١٨].

- **(فتستأذن فيؤذن لها..)**: أي أن الشمس حين تذهب وتسجد تحت العرش تستأذن الله تعالىٰ أن تطلع علىٰ الناس مرة أخرىٰ، فيأذن الله ﷻ لها في الطلوع، ويستمر هذا الأمر إلىٰ أن يأتي الأجل الموقوت للقيامة، فيجليها الله تعالىٰ لوقتها؛ حينئذٍ تذهب الشمس وتستأذن ربها في الطلوع، فلا يأذن لها، بل يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ فتطلع من المغرب، وهذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[يس:٣٨].

- قال ابن كثير في البداية: أن الحديث لا يدل علىٰ أنها تصعد فوق السماء حتىٰ تسجد تحت العرش، بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي تدور فيه، فإذا ذهبت فيه حتىٰ تتوسطه فهذا هو محل سجودها، واستئذانها الله في الطلوع من المشرق فيؤذن لها، فإذا كانت الليلة التي يريد الله طلوعها من المغرب يقال لها: ارجعي من حيث جِئت ا.هـ. (باختصار).

• بابٌ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾

- أي: يوم يُنفخ في الصور للبعث فتأتون إلىٰ موضع العرض أممًا، كل أمة مع إمامها، قال ابن جرير: يعني كل أمة مع رسولها، كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[الإسراء:٧١].

النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ(١)، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

بَابُ فِتْنَةِ النِّسَاءِ*

١٤٢١ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.



(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مِنْهُ خُلِقَ.

- ١٤١ -

المفردات

- أَبَيْتُ: أي: امتنعت؛ لأني لا أعلمه فلا أخوض فيه بالرأي، وقيل: أنه امتنع من تفسيره لعدم الحاجة إليه.
- يَبْلَى: أي: يَفْنَىٰ.
- عَجْبُ الذَّنَب: العَجْبُ هو عظم لطيف في أصل الصُّلب، وهو رأس العُصْعُص، وهو مكان رأس الذَّنب من ذوات الأربع.

الفوائد

- (ما بين النَّفْخَتَين): أما النفخة الأولىٰ فهي نفخة الصَّعق التي تصعق الخلق فتُميتهم، وأما الأخرىٰ فهي التي تفزعهم فتُقيمهم من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].
- (قال: أربعون يومًا؟ قال: أبيت..): قال النووي: معناه: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا، أو سنة، أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة ا.هـ.

وهذه إشارة من النووي ﵀ إلىٰ ما رواه ابن مردويه: (أربعون سنة) وقال ابن حجر بشذوذها، وقال: ورد كذلك من وجه ضعيف عن ابن عباس ﵄: (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة) وسنده منقطع.

وفي توقف أبي هريرة ﵁ في ذلك أدبه ﵁، وورعه أن يتكلم برأيه في مسائل الغيب؛ لأنه مما لا يصح فيه الاجتهاد، وهكذا يجب علىٰ المسلم أن لا يخوض فيما لا يحيط به علمًا.

- (ثم ينزل الله من السماء ماءً..): أي إذا أذن الله ﷻ ببعث خلقه، وقيامهم من قبورهم بالنفخة الثانية أعاد إليهم أجسادهم التي بَليت في الأرض، وأنبتهم منها، ويكون نبات الناس من عجب الذَّنب بمطر ينزله الله من السماء علىٰ خلقه. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ﵄: (ينزل الله مطرًا كأنه الطَّل) أما ما رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي هريرة ﵁ في وصف ذلك المطر: (تمطر مطرًا كمني الرجال) فهو ضعيف.
- (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى): هذا عام يخصُّ منه الأنبياء؛ لأن الله ﷻ حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجسادهم، وألحق بعض العلماء بهم الشهداء، وجاء في شرح الطحاوية: حرَّم الله علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدد من دفنه كما هو لم يتغيَّر، فيُحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلىٰ يوم محشره، ويحتمل أن يبلىٰ مع طول المدة، وكأنه -والله أعلم- كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول ا.هـ.

• باب فتنة النساء

- حديث الباب فيه أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[آل عمران:١٤] فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلىٰ أنهن الأصل في ذلك، ويقع في المشاهدة حبُّ الرجل ولده من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها، ومن أمثلة ذلك قصة النعمان ابن بشير في الهبة.
- وفيه تحذير النبي ﷺ من فتنة النساء، وفيه وجوب التحفظ من الاختلاط بين الرجال والنساء، ومنع النساء اللاتي لا يؤمن عليهن ومنهن الفتنة من الخروج والمشي في الطرقات والأسواق وغير ذلك مما فيه اختلاط بالرجال، وأن التهاون في هذه الأمور باب بليَّة وشرٍّ، وهو من أعظم أسباب الفساد.

كتاب الزُّهد والرقائق

المفردات

- **قُوتًا**: القوت هو ما يقوت البدن ويكفُّ عن الحاجة من غير إسراف.
- **يُعِيشُكُم**: من العيش أي: يُقِيتُكُم.
- **مَنَائِح**: جمع منيحة، وهي كعطية لفظًا ومعنىٰ، وأصلها عطية الناقة وتستعار للشاة.
- **بِاللُّحَيم**: بالتصغير لِقلته.
- **الأَسْوَدَان**: التمر والماء: هو علىٰ التغليب، وإلا فالماء لا لون له، وإنما أطلقت علىٰ التمر أسود؛ لأنه غالب تمر المدينة.
- **الكُرَاعَ**: المراد به هنا مستدق الساق العاري من اللَّحم، وهو كذلك اسم يجمع الخيل والسلاح.

الفوائد

• **باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا؟**

* **حديث أبي هريرة رضي الله عنه:**

- **(اللَّهمَّ ارزق آل محمد قوتًا)**: وفي رواية لمسلم: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا) وهو المعتمد، وهو الدَّال علىٰ الكفاف بخلاف اللفظ الأول فإنه يحتمل أن يكون دعاءً بطلب القوت في ذلك اليوم، أو يكون طلب لهم القوت، وفيه دليل علىٰ فضل الكفاف، وأخذ البُلْغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة، وإيثارًا لما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك.
- قال القرطبي: معنىٰ الحديث أنه طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت البدن ويكفُّ عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنىٰ والفقر جميعًا ا.هـ.

* **حديث عائشة رضي الله عنها:**

- **(ثلاثة أهلَّة في شهرين)**: المراد بالهلال الثالث: هلال الشهر الثالث، وهو يُرىٰ عند انقضاء الشهرين، ووقع عند ابن سعد: كان يمر برسول الله ﷺ هلال ثم هلال ثم هلال لا يوقد في شيء من بيوته نار لا لخبز ولا لطبخ.
- فيه جواز ذكر المرء ما كان فيه من الضيق بعد أن يوسع الله ﷻ عليه تذكيرًا بنعمه، وليتأسىٰ به غيره.
- **(وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم..)**: فيه إيثار الواجد للمُعدِم، والاشتراك فيما في الأيدي، وجواز الهدية للنبي ﷺ، وكرم الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم.

كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ

بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا؟

١٤٢٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا**[١].

١٤٢٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ[٢]، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ! مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا. وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ.

١٤٢٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرِ وَالْمَاءِ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ)[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ. قِيلَ: مَا

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **كَفَافًا**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: ثُمَّ الْهِلَالِ.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ.

ـ ١٤٢ ـ

* **حديث عائشة رضي الله عنها:**

- **(توفي النبي ﷺ حين شبعنا من الأسودين..)**: وكان ذلك بعد فتح خيبر كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (ما شبِعنا حتىٰ فتحنا خيبر)، والمراد أنه ﷺ شبع حين شبعوا، واستمر شِبَعهم، وابتداؤه من فتح خيبر، وذلك قبل موته ﷺ بثلاث سنين.
- في الحديث: جواز الشبع، وإن تركه أحيانًا أفضل، أما ما ورد من النهي عن الشِبَع وذمه، فمحمول علىٰ الشبع الذي يثقل المعدة، ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة، ويفضي إلىٰ البطر والنوم والكسل، وقد تنتهي كراهته إلىٰ التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة.
- **(إن كنا لنرفع الكراع..)**: فيه جواز ادخار اللحم وأكل القديد، وثَبَت أن سبب ذلك قلَّة اللحم عندهم، وضيق العيش بحيث أنهم لم يكونوا يشبعون من خبز البر ثلاثة أيام متوالية.

وفيه رد علىٰ من زعم من الصوفية أنه لا يجوز ادخار طعام لغدٍ، وأن اسم الولاية لا يُستحق لمن ادَّخر شيئًا ولو قلَّ، وأن من ادخر أساء الظن بالله ﷻ.

المفردات

- **مَأْدُومٍ**: أي: طعام مخلوط بالإدام.
- **شاة مَصْلِيَّة**: أي: شاة مشويَّة.
- **رَغِيفًا مُرَقَّقًا**: أي: لينًا واسعًا، ومنه الرُّقاق.
- **سَمِيطًا**: المسْمُوط: الذي أُزيل شعره بالماء الساخن، وشوي بجلده، أو يُطبخ، ويصنع ذلك في الصغير السن الطَّري، وهو من فعل المترفين.
- **سُكْرُجَة**: هي صحاف صغار يؤكل فيها، ومنها الكبير والصغير.
- **خِوَان**: بكسر أوله أو ضمه، وهو المائدة المعدة للأكل، وتكون مرتفعة عن الأرض لها قوائم.
- **السُّفَر**: هي الطعام الذي يتخذه المسافر، وأكثر ما يُحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إلىٰ الجلد وسُمي به.
- **رفِّي**: الرَّف: شِبهُ الطاق في الحائط.
- **فَفَنِي**: أي: فَرَغ.
- **قَذِرَنِي النَّاس**: أي: اشمأزوا من رؤيتي.

الفوائد

- **(ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بُرٍّ مأدوم ثلاثة أيام..)**: وذلك لقلَّة ذات اليد وضيق الحال زهدًا وتقلُّلًا من الدنيا، وفيه فضل أمهات المؤمنين رضي اللع عنهن وصبرهن علىٰ البلاء، وإيثار ما عند الله ﷻ علىٰ ما هو فانٍ.

* **حديث أبي هريرة** رضي الله عنه:

- **(ولم يشبع من خبز الشعير)**: مع أن هذا الخبز من أشدِّ أنواع المخبوزات طعمًا ومذاقًا وملمسًا، ففيه خشونة وصلابة، ولا يَستَسِيغُه كثير من الناس، ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ لا يجده ليشبع منه هو وأهلُه.

* **حديث أنس** رضي الله عنه:

- **(ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا..)**: وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد وشدة الحال، مع تمكين الله له وفتحه عليه، ولا تعارض بين أحاديث الباب وبين ما في الصحيحين: أنه كان يأخذ مما أفاء الله عليه من بني النضير وفَدَك قوته وقوت عياله سنة، ثم يجعل ما فضل من ذلك في الكُراع والسلاح عُدة في سبيل الله؛ لأنه لم يكن يكنز مالًا، وكان كثير الصدقة، وكان يأتيه الضيفان، فيكرمهم بما عنده حتىٰ ينتهي، وربما كان هذا حالهم في أكثر الأوقات.
- في الحديث زهد النبي ﷺ وما كان فيه من شدة العيش، وصبر أمهات المؤمنين علىٰ ذلك رضي الله عنهن.

اضْطَرَّكُمْ إِلَيْهِ؟ فَضَحِكَتْ،) قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ.

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ؛ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنَ خُبْزِ الشَّعِيرِ).

• (وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: مَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ).

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ. قِيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى السُّفَرِ).

١٤٢٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ، فَفَنِيَ.

بَابُ حَدِيثِ أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ

١٤٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ ـ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ ـ. فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا؛ قَدْ قَذِرَنِي**

- ١٤٣ -

- **(ما علمت النبي ﷺ أكل على سُكْرُجة قط)**: إما لكونها لم تُصنع عندهم إذ ذاك، أو استصغارًا لها؛ لأن عادتهم الاجتماع علىٰ الأكل، أو لأنها كانت تُعَدُّ لوضع الأشياء التي تعين علىٰ الهضم، ولم يكونوا يشبعون، فلم يكن لهم حاجةٌ بالهضم.

* **حديث عائشة** رضي الله عنها:

- **(فكِلْتُهُ فَفَنِي)**: قال ابن بطال: فيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلوم للعلم بكيله، وأن الطعام غير المكيل فيه البركة؛ لأنه غير معلوم مقداره ا.هـ.

فيه دليل علىٰ أن الإنسان إذا كان الشيء وصار يلاحظ هل نقص هل زاد، فإن بركته تنزع، ولهذا قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (لا توعي فيوعي الله عليك).

- فيه أن من رزق شيئًا أو أكرم بكرامة أو لُطِفَ به في أمر ما فالمتعين عليه موالاة الشكر ورؤية المنة لله ﷻ، ولا يحدث في تلك الحالة تغييرًا.

• باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل

- **(بدا لله ﷻ أن يبتليهم)**: أي: سبق في علم الله ﷻ فأراد إظهاره، وقد أخرجه مسلم بلفظ: (أراد الله أن يبتليهم) فلعل التغيير من الرواة.

المفردات

- **شَاةً وَالِدًا**: أي: ذات ولد، ويقال: حامل.
- **فَأُنتِجَ هَذَان**: أي: صاحب الإبل والبقر، والمشهور في اللغة: نُتِجَت الناقة، ونَتَجَ الرجل الناقة: أي حمل عليها الفحل.
- **تَقَطَّعَت بِيَ الحِبَال**: أي: الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق.
- **أَتَبَلَّغ عليه**: من البُلغة وهي الكفاية، والمعنىٰ أتوصل به إلىٰ مرادي.
- **لكابِرٍ عن كابر**: أي: كبير عن كبير في العز والشَّرف.
- **لا أَجْهَدُك**: أي: لا أشق عليك في ردِّ شيء تطلبه مني أو تأخذه.
- **فَإِنَّمَا ابتُليتُم**: أي: امتُحنتم.
- **الحُبْلَةِ وهذا السَّمُر**: هما نوعان من شجر البادية، وقيل: الحُبْلة: ثمر العِضَاة، والعِضَاة: شجر الشوك، كالطَّلح والعَوْسَج.

الفوائد

- **(فمسحه فذهب..)**: وفيه: قدرة الله ﷻ، وأنه إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، ولو شاء لأذهب العاهات بدون مسح الملك، ولكن الله ﷻ جعل ذلك سببًا لما يأتي ذكره من البلاء والامتحان. وفيه إثبات وجود الملائكة، وطاعتهم لله ﷻ، وما أقدرهم الله علىٰ التشكل في صورة بني آدم.
- **(فقد رضي الله عنك وسخط علىٰ صاحبيك)**: فيه إثبات صفتي الرضا والسخط لله ﷻ علىٰ الوجه اللائق به ﷻ، وفيه التحذير من كفران النعم، والترغيب في شكرها، والاعتراف بها، وحمد الله ﷻ عليها.
- وفيه فضل الصدقة، والحث علىٰ الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزَّجر عن البخل؛ لأنه حمل صاحبه علىٰ الكذب، وعلىٰ جحد نعمة الله ﷻ.
- وفيه تفاوت بني آدم في شكر نعمة الله ونفع العباد، وفيه أن شكر النعمة والاعتراف بفضل الله سبب الهداية والتوفيق إلىٰ رضا الله ﷻ.
- وفيه جواز ذكر ما اتَّفق لمن مضىٰ، ليتَّعظ به من سمعه، ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يُفصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك.

النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، (وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي)، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.

بَابُ قَوْلِ سَعْدٍ رضي الله عنه: «مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ»

١٤٢٧ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو (وَفِي رِوَايَةٍ: رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ) وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ

- ١٤٤ -

• **باب قول سعد رضي الله عنه: «ما لنا طعام إلا وَرَق الحُبْلة»**

- **(إني لأوَّل العرب رمى بسهم في سبيل الله)**: وذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب، وكان أول قتال بين المشركين والمسلمين، وأول سريَّة بعثها النبي ﷺ في السنة الأولىٰ من الهجرة، ليلقوا عيرًا لقريش فتراموا بالسهام، فكان سعد رضي الله عنه أول من رمىٰ، ذكر ذلك الزبير بن بكَّار بسندٍ له.
- فيه منقبة ظاهرة له، وجواز مدح الإنسان نفسه عند الحاجة.
- **(وما لنا طعام إلا ورق الحُبْلةِ وهذا السَّمُر)**: فيه بيان ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا، والتقلل منها، والصبر في طاعة الله تعالىٰ علىٰ المشاقِّ الشديدة.
- **(ليضع كما تضع الشاة..)**: كناية عن الذي يخرج منه في حال التغوط، وأنه يصير بَعَرًا لا يختلط من شدة اليَبَس الناشئ عن قَشَف العيش.

المفردات

- **تُعَزِّرُنِي**: أي: تؤدبني، وقيل: توبخني علىٰ التقصير فيه.
- **خِبْتُ**: أي: إن كنت محتاجًا إلىٰ تعليمهم.
- **حفظ اللسان**: أي: عن النطق بما لا يسوغ شرعًا مما لا حاجة للمتكلم به.
- **لا يُلقي لها بالًا**: أي: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها.
- **يَهْوِي**: أي: يسقط.

الفوائد

- **(ثم أصبحت بنو أسد تعزِّرُني على الإسلام)**: المعنىٰ: أن سعدًا ﵁ أنكر أهلية بني أسد لتعليمه الأحكام مع سابقته وقديم صحبته، وقد تقدمت قصته مع الذين زعموا أنه لا يحسن يصلي وشكوه إلىٰ عمر ﵁.

- **(وإني لثلث الإسلام)**: قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه: أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يُخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنين الآخرين: خديجة وأبا بكر ﵄، أو النبي ﷺ وأبا بكر ﵁، وقد كانت خديجة ﵂ أسلمت قطعًا، فلعله خصَّ الرجال.

- قال ابن الجوزي: إن قيل: كيف ساغ لسعد ﵁ أن يمدح نفسه ومن شأن المؤمن ترك ذلك لثبوت النهي عنه؟ فالجواب: أن ذلك ساغ له لمَّا عيَّره الجهال بأنه لا يحسن الصلاة، فاضطر إلىٰ ذكر فضله، والمِدحة إذا خلت عن البغي والاستطالة وكان مقصود قائلها إظهار الحق وشكر نعمة الله ﷻ لم يكره ا.هـ.

• باب ما يبقى مع الميت

- **(يتبعه أهله وماله وعمله)**: هذا يقع في الأغلب، ورُبَّ ميِّتٍ لا يتبعه إلا عمله فقط.

والمراد من يتبع جنازته من أهله ورفقته ودوابه علىٰ ما جرت به عادة العرب، وإذا انقضىٰ أمر الحزن عليه رجعوا، سواءٌ أقاموا بعد الدفن أم لا، ومعنىٰ بقاء عمله أنه يدخل معه القبر.

وقد وقع في حديث البراء ﵁ الطويل في المسألة في القبر عند أحمد وغيره وفيه: (ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب حسن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح)، وقال في حق الكافر: (ويأتيه رجل قبيح الوجه) الحديث، وفيه: (أبشر بالذي يسوؤك)، وفيه: (عملك الخبيث).

- في الحديث: الحث علىٰ العمل الصالح، والتحذير من الغفلة والمعاصي، وعدم الاغترار بالدنيا وزخرفها وأنها لا تغني عن أصحابها شيئًا إلا إذا جعلها في طاعة الله ومرضاته.

• بابٌ: لينظر إلى من هو أسفل منه

- قال ابن بطال: هذا الحديث جامعٌ لمعاني الخير؛ لأن المرء لا يكون بحالٍ تتعلق بالدين من عبادة ربه ﷻ مجتهدًا فيها، إلا

كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ: مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ! خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي.

(وَفِي رِوَايَةٍ: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الْإِسْلَامِ).

بَابُ مَا يَبْقَى مَعَ الْمَيِّتِ*

١٤٢٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ.**

بَابٌ: لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ

١٤٢٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**[1].

بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ

١٤٣٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ)، **وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ** (مِنْ سَخَطِ اللهِ) **لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**. وَفِي رِوَايَةٍ: **أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**[2].



(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **وَالْمَغْرِبِ**.

- ١٤٥ -

وجد من هو فوقه، فمن طلبت نفسه اللَّحاق به استقصر حاله، فيكون أبدًا في زيادةٍ تقربه من ربه ﷻ، ولا يكون علىٰ حالة خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالًا منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله ﷻ وصلت إليه دون كثيرٍ ممن فُضِّل عليه بذلك من غير أمرٍ أوجبه، فَيُلزِم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده ا.هـ.

• باب حفظ اللسان

- حديث الباب فيه حثٌّ علىٰ حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم وإلا أمسك.

- قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر. وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي علىٰ المسلم فتكون سببًا لهلاكه، وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدَّت إلىٰ ذلك، فيكتب علىٰ القائل إثمها، والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة، أو يفرَّج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلومًا. ا.هـ.

كتاب فضائل القرآن

كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ

بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

١٤٣١ ـ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ.**

بَابُ فَضْلِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

١٤٣٢ ـ (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ)[١]: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: **أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟** (فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟)[٢] فَقَالَ: **اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ.**

(وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!) إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**[٣].

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ بِنَحْوِهِ.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟.
(٣) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **احْشُدُوا؛ فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**. فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.
• وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: **إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ.**

ـ ١٤٦ ـ

المفردات

- **من آخِرِ سُورَةِ البَقَرَة**: أي: من قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] إلىٰ آخر السورة.
- **وكَأَنَّ الرَّجُلَ**: أي: السائل.
- **يَتَقَالُّهَا**: أي: يعتقد أنها قليلة، والمراد استقلال العمل لا التنقيص.

الفوائد

• **باب فضل سورة البقرة**

- **(كفتاه)**: ذكر ابن حجر ﷺ في معنىٰ (كفتاه) سبعة أقوال: **الأول:** بمعنىٰ أجزأتاه عن قيام الليل، وقال: وهذا ورد صريحًا من طريق عاصم عن علقمة عن أبي مسعود ﷺ قال: (من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة). **الثاني:** أنهما كفتاه من قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان يقرأه في الصلاة أو في غير الصلاة. **الثالث:** أنهما كفتاه فيما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنهما اشتملتا علىٰ أمور الإيمان وأعماله وأصوله جميعًا، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فتكفيه في باب الاعتقاد المجمل، ثم تفصيل ذلك يُعلم ويؤخذ من أدلته. **الرابع والخامس والسادس** متقاربة في المعنىٰ، وهو: كفتاه من شر الشيطان والجن والإنس، وذكر ابن حجر ما يشهد بكفايتهما له من الشيطان بحديث النعمان بن بشير ﷺ عند الحاكم وصححه: (إن الله كتب كتابًا وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يُقرأن في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال). **السابع:** أنهما تغنيانه عن طلب الأجر فيما سواهما.
- وذكر النووي وابن حجر ﷺ: أنه يجوز أن يُراد ذلك كله، ففضل الله واسع. ويشهد لذلك أن من القواعد الأصولية: أن ما جاء في النصوص مطلقًا يظل مطلقًا ما لم يقيده الدليل.
- في الحديث فضل خواتيم سورة البقرة، واستحباب قراءتها كل ليلة سواء خارج الصلاة أو في الصلاة، وقد أخرج عبدالرزاق في مصنفه عن عبدالرحمن بن يزيد: (كانوا يستحبون أن يركعوا بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وبعد العشاء في ركعتين بآخر سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾..) الحديث، وفيه جواز قول سورة البقرة خلافًا لمن كرهه وقال: تقول: السورة التي تذكر فيها البقرة.

• **باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**

* **حديث أبي سعيد الخدري** ﷺ:

- **(أَيَعْجَز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟)**: فيه إلقاء العالم المسائل علىٰ أصحابه، واستعمال اللفظ في غير ما يتبادر للفهم؛ لأن المتبادر من إطلاق ثلث القرآن أن المراد ثلث حجمه المكتوب مثلًا، وقد ظهر أن ذلك غير مراد.
- وفيه أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، وقد حمله بعض العلماء علىٰ ظاهره فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت علىٰ القسم الثالث، فكانت ثلثًا باعتبار هذا المعنىٰ، ويؤيده ما رواه مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: (جزأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن.

وحمله بعضهم علىٰ تحصيل الثواب أي: أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن، وقيل: مثله بغير تضعيف وهي دعوىٰ بلا دليل، ويؤيد إطلاق الثواب ما رواه مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ وفيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن). وقيل: المراد من عمل بما تضمنته من الإخلاص والتوحيد كان كمن قرأ ثلث القرآن.

- في الحديث فضل سورة الإخلاص واستحباب قراءتها كل ليلة في الصلاة وخارج الصلاة.
- **(أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ..)**: ذكر ابن حجر أن القارئ هو قتادة بن النعمان ﷺ، والذي سمعه لعله أبو سعيد ﷺ؛ لأنه أخوه لأمه وكانا متجاورين، وقال: وبذلك جزم ابن عبد البر، فكأنه أبهم نفسه وأخاه، وفيه مرعاة الإخلاص.

الفوائد

* **حديث عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

– **(فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]):** قال ابن دقيق العيد: هذا يدل علىٰ أنه كان يقرأ بغيرها ثم يقرأها في كل ركعة، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون المراد أنه يختم بها آخر قراءته، فيختص بالركعة الأخيرة، وعلىٰ الأول فيؤخذ منه جواز الجمع بين سورتين في ركعة ا.هـ.

– **(لأنها صفة الرحمن):** قال ابن التين: إنما قال: إنها صفة الرحمن؛ لأن فيها أسماءه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته ا.هـ.

– ويحتمل أن يكون الصحابي المذكور مستندًا لشيء سمعه من النبي ﷺ إما بنصٍّ أو باستنباط، وقد أخرج البيهقي عن ابن عباس بسند حسن في كتاب الأسماء والصفات أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: صِف لنا ربك الذي تَعبُد، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلىٰ آخرها فقال: «هذه صفة ربي ﷻ».

– **(أخبروه أن الله يحبه):** قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سبب محبة الله ﷻ له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرب ﷻ دالةٌ علىٰ صحة اعتقاده.

* **حديث أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

– **(كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء):** هو غير أمير السرية، ويدل علىٰ تغايرهما أن في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يبدأ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأمير السرية كان يختم بها، وفي هذا كان يصنع ذلك في كل ركعة، ولم يصرِّح بذلك في قصة الآخر، وفي هذا أن النبي ﷺ سأله، وأمير السرية أمر أصحابه أن يسألوه، وفي هذا قال: إنه يحبها فبشره بالجنة، وأمير السرية قال: إنها صفة الرحمن، فبشره أن الله ﷻ يحبه.

– **(حبك إياها أدخلك الجنة):** دلَّ تبشيره له بالجنة علىٰ الرضا بفعله، وعبر بالفعل الماضي (أدخلك) وإن كان دخول الجنة مستقبلًا تحقيقًا لوقوع ذلك. وفيه أن المقاصد تغيِّر أحكام الفعل؛ لأن الرجل لو قال: إنه لا يحفظ غيرها لأمره بحفظ غيرها، لكنه اعتلَّ بحبها فظهرت صحة قصده فصوَّبه.

– وفيه جواز ذلك الفعل، لكنه لا يستحب؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

– في الحديث: جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه، والاستكثار منه، ولا يُعَدُّ ذلك هجرانًا لغيره.

١٤٣٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟** فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ.**

• (وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَلَّقًا: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا! إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: **يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟** فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: **حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**).

بَابُ فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ

١٤٣٤ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **وَيَعْمَلُ بِهِ**) **كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ** (وَفِي رِوَايَةٍ: **وَيَعْمَلُ بِهِ**) **كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ.**

- ١٤٧ -

• باب فضل القرآن على سائر الكلام

– **(كمثل الأُترُجَّة):** قيل الحكمة من تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة؛ لأنه يُتداوىٰ بقشرها، وهو مُفرِّحٌ بالخاصِّيَّة، ويستخرج من حبِّها دُهنٌ له منافع، وغِلاف حبِّه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها من المزايا كِبَر جرمها، وحسن منظرها، وتفريح لونها ولين ملمسها وغير ذلك من منافعها.

– في الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دلَّ عليه.

– وفيه أن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلىٰ الله ﷻ، ولا تزكو عنده، وإنما يزكو عنده ما أُريد به وجهه، وكان عن نية التقرب إليه، وشبَّهه بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يَفُز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق، ولا اتصل بالقلب، وهؤلاء هم الذين يمرقون من الدِّين.

بَابُ فَضْلِ حِفْظِ الْقُرْآنِ*

١٤٣٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ)(١) مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ(٢) وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ.

بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

١٤٣٦ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه (مُعَلَّقًا، عَنْ) أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، (قَالَ):(٣) بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ (سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ) إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**. قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا. قَالَ: **وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟** قَالَ: لَا. قَالَ: **تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**.

١٤٣٧ ـ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو

(١) وَلِمُسْلِمٍ: **الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ**.
(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **يَتَتَعْتَعُ فِيهِ**.
(٣) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهُ مَوْصُولًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ...

ـ ١٤٨ ـ

المفردات

- **السَّفَرة**: أي: الكَتَبَة.
- **البَرَرَة**: أي: المكرمين عند الله ﷻ.
- **بِشَطَنَيْن**: تثنية شَطَن، وهو الحبل الطويل الشديد الفتل.
- **فَتَغَشَّتْهُ سَحَابة**: أي: أَظَلَّته.

الفوائد

• باب فضل حفظ القرآن

- حديث الباب فيه فضيلة حافظ القرآن وقارئه بمهارة أو بمشقة، وفيه استحباب ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلىٰ الأفهام، وأن من المؤمنين من يكون في درجة الملائكة المقربين.

- **(مع السَّفرة..)**: قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون معنىٰ أنه مع السفرة أنه في منازلهم في الآخرة، أي يكون رفيقًا لهم فيها، لاتصافه بصفتهم في حملهم كتاب الله تعالىٰ، ويحتمل أن يكون المعنىٰ أنه عامل بعملهم، كما يقال: معي بنو فلان، أي في الرأي والمذهب ا.هـ.

- **(وهو عليه شديد)**: ولمسلم: يَتَتَعْتَع فيه، قال القاضي عياض: ليس معناه أن الذي يتتعتع فيه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة الكرام البررة، وله أجور كثيرة، وكيف يُلحق من لم يعتن بكتاب الله بمن اعتنىٰ به وحفظه وأتقنه وأكثر من تلاوته وروايته حتىٰ مهر فيه؟ ا.هـ.

• باب نزول السَّكينة والملائكة عند قراءة القرآن

* **حديث أبي سعيد** رضي الله عنه:

- **(اقرأ يا ابن حُضير)**: أي: ينبغي أن تستمرَّ علىٰ قراءتك، وليس أمرًا له بالقراءة في حالة التحديث، فكأنه يقول: استمِر علىٰ قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك.

- **(فأشفقتُ يا رسول الله أن تطأ يحيى)**: أي: خشيت إن استمرَّيت علىٰ القراءة أن تطأ الفرس ولدي. ودلَّ سياق الحديث علىٰ محافظة أسيد رضي الله عنه علىٰ خشوعه في صلاته؛ لأنه لم يرفع رأسه إلىٰ السماء حتىٰ اشتد الخطب، ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته، للنهي عن رفع البصر إلىٰ السماء في الصلاة.

- **(دنت لصوتك)**: وفي رواية: (اقرأ أُسيد، فقد أُتيت من مزامير آل داود) وفي هذه إشارة إلىٰ الباعث علىٰ استماع الملائكة لقراءته.

- **(ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم)**: أي أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون علىٰ عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم، وفيه جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة.

- وفيه منقبة لأسيد بن حضير رضي الله عنه، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل. وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوِّت الخير الكثير، فكيف لو كان بغير الأمر المباح.

وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ (وَفِي رِوَايَةٍ: فَخَرَجَ الرَّجُلُ، فَنَظَرَ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا)، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ.**

بَابُ اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ

١٤٣٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ.**

• وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.**

بَابُ اسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ

١٤٣٩ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ: إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**[١].

١٤٤٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**[٢].

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: بِعُقُلِهَا.

- ١٤٩ -

المفردات

- **اغْتِباطِ**: من الغبطة وهي: تمني أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه، وهو المراد بالحسد الذي أطلق في الحديث.
- **هَلَكَتِهِ في الحقِّ**: أي: إنفاقه في الحق.
- **الحِكْمَة**: قيل: هي القرآن، وقيل: السنة، أو أعم من ذلك، وضابطها: ما منع الجهل وزجر عن القبح.
- **استِذْكَار**: أي: طلب تذكره.
- **وتَعَاهُدِه**: أي: تجديد العهد به بملازمة تلاوته.
- **الإبل المُعَقَّلَةِ**: أي: الإبل المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد به ركبة البعير.
- **كَيْت وكَيْت**: يُعبر بها عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل.
- **تَفَصِّيًا**: أي: تفلتًا وتخلصًا.

الفوائد

- **(تلك السكينة تنزلت بالقرآن)**: تكرر لفظ السكينة في القرآن والحديث، فروىٰ الطبراني وغيره عن علي رضي الله عنه قال: هي ريح هفَّافة لها وجه كوجه الإنسان، وقيل: هي الرحمة، وقيل: هي سكون القلب، واختاره الطبري، وقيل: هي الطمأنينة، وقيل غير ذلك. وقال النووي: المختار أنها شيء من المخلوقات، فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة ا.هـ.

• **باب اغتباط صاحب القرآن**

- وجه مطابقة الترجمة لحديثي الباب: أن غير صاحب القرآن يغبط صاحب القرآن بما أعطيه من العمل بالقرآن، فاغتباط صاحب القرآن بعمل نفسه أولىٰ إذا سمع هذه البشارة الواردة في الحديث.

* **حديث ابن عمر** رضي الله عنهما:

- **(لا حسد إلا في اثنتين)**: المراد بالحسد هنا: الغبطة، أي: لا غبطة كاملة التأكيد لتأكيد أجر متعلَّقها إلا الغبطة بهاتين الخصلتين. قال ابن حجر: وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنىٰ أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص علىٰ هذا يُسمىٰ منافسة، فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة في هذين الأمرين ا.هـ. (باختصار).

* **حديث عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه:

- **(آتاه الله مالًا فسُلِّط على هلكته في الحق)**: قال ابن حجر: وعبَّر بذلك ليدل علىٰ أنه لا يُبقي منه شيئًا، وكمَّله بقوله: (في الحق) أي: في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم ا.هـ. (باختصار). وقال ابن المنيِّر: في هذا الحديث حُجَّة علىٰ جواز إنفاق جميع المال وبذله في الصحة والخروج عنه بالكلية في وجوه البر، ما لم يؤدِّ إلىٰ حرمان الوارث ونحو ذلك مما منع منه الشرع ا.هـ.

- **(ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها..)**: فيه الترغيب في ولاية القضاء لمن استجمع شروطه، وقويَ علىٰ أعمال الحق، وَوَجد أعوانًا؛ لما فيه من الأمر بالمعروف، ونصر المظلوم، وأداء الحق لمستحِقِّه، وكفِّ يد الظالم، والإصلاح بين الناس، وكل ذلك من القربات.

- حديثا الباب فيهما: فضل حفظ القرآن وتلاوته، والقيام به في الصلاة، وتعليمه للناس والاشتغال به قراءة وحفظًا وتعليمًا. وفيهما: فضل الإنفاق في وجوه الخير والبر، وفضل الصدقات والصِّلات وغير ذلك من وجوه الإحسان بالمال.

• **باب استذكار القرآن وتعاهده**

* **حديث ابن عمر** رضي الله عنهما:

- **(كمثل صاحب الإبل المعقَّلة)**: شبَّه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشىٰ منه الشراد، فما دام التعاهد موجود فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودًا بالعقال فهو محفوظ، وخصَّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا، وفي تحصيلها بعد استكمال نفورها صعوبة، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن القرآن أشد وأبلغ في النفور من الإبل.

- حديثا الباب فيهما: شدة تفلت القرآن من الصدور، فعلىٰ من وفق لحفظه، أو أجزاء منه أن يتعاهده بمداومة المراجعة حتىٰ يثبت ولا يتفلت، وفيهما: أن المطالب العالية لا تنال إلا بالتعب والنصب، ومن ذلك حفظ القرآن، فهو من أعلىٰ المطالب وأجلِّ النعم، ومن فرَّط في استذكاره عُوقب بوقوع النسيان عليه، فيكون معرضًا للذم.

المفردات

- أَذِنَ: أي: استمع.
- مِزْمَارًا: المراد: الصوت الحسن، وأصله الآلة، وأطلق اسمه على الصوت مشابهة.
- فَرَجَّعَ فِيها: أي: ردَّد الصوت في الحلق.

الفوائد

• بابٌ: من لم يتغنَّ بالقرآن

- (يتغنَّى): اختلفوا في معناها على عدة أقوال وجمعها ابن حجر رحمه الله فقال: أنه يحسِّن به صوته جاهرًا به مترنِّمًا على طريق التحزُّن، مستغنيًا به عن غيره من الأخبار، طالبًا به غنى النفس راجيًا به غنى اليد ا.هـ.
- (ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن): أي: ليس على سُنَّتِنَا وطريقتنا من لم يحسن صوته بالقرآن ويجهر به.
- في الحديث: استحباب التغني بالقرآن وتحسين الصوت به، ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنُّم أكثر من ميلها لمن لا يترنَّم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وهذا لا يعني جواز قراءة القرآن بالألحان والمقامات الموسيقية، بل كره السلف ذلك، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن التطريب والتغني إن كان فطرة من غير تكلف ولا تعليم ولا تمرين فهو جائز، ولو أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين فلا بأس بذلك، أما إن كان التغني صناعة وتمرينًا وأوزانًا فقد كرهه السلف وعابوه وذمُّوه.

• باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن

- (آل داود): قال الخطابي: يريد داودَ نفسه؛ لأنه لم يُنقل أن أحدًا من أولاد داود عليه السلام ولا من أقاربه كان أُعطي من حسن الصوت ما أُعطي.
- ولمسلم: (لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة): وزاد أبو يعلى: قال أبو موسى: (أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيرًا) وفيه أن تحبير الصوت وتحسينه والعناية بذلك أمر مطلوب؛ ليخشع القارئ والمستمع، وهذا لا يتنافى مع الإخلاص؛ لأنه مندوب إليه شرعًا، وقد أقرَّ النبي ﷺ أبا موسى عليه. وقد نُقل الإجماع على استحباب سماع القرآن من ذي الصوت الحسن.

• باب القراءة على الدَّابة

- فيه إشارة إلى الرد على من كره ذلك، والقراءة على الدابة سنَّة، وأصلها قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾[الزخرف:١٣].
- (فرجَّع فيها): وفسره بقوله: (آآآ، ثلاث مرات) وهذا يحتمل أمرين: **أحدهما:** أن ذلك حدث من هزِّ الناقة، **والآخر:** أنه أشبع

بَابٌ: مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ

١٤٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: يَتَغَنَّى. (وَفِي رِوَايَةٍ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ).

بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ

١٤٤٢ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى[(١)]، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ.

بَابُ الْقِرَاءَةِ عَلَى الدَّابَّةِ

١٤٤٣ ـ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ (وَفِي رِوَايَةٍ: قِرَاءَةً لَيِّنَةً)، فَرَجَّعَ فِيهَا. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ. (فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: آ آ آ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

بَابُ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ، وَهَلْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟

١٤٤٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَرْحَمُهُ اللهُ! لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أُنْسِيتُهَا ـ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا.

(١) وَلِمُسْلِمٍ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ!

المدَّ في موضعه فحدث هذا، وهذا أشبه بالسياق؛ لما ورد في بعض طرقه: (لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن) أي: النَّغم.

والترجيع قدر زائد على الترتيل، والمراد: تحسين الصوت بالتلاوة لا ترجيع الغناء، لأن التلاوة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة.

- في الحديث: ملازمة النبي ﷺ للعبادة والذكر، وجواز القراءة بالترجيع مع مراعاة قواعد وأصول التلاوة.

• باب نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كَذَا وكَذَا؟

- (أُنسيتُها): هي مفسرة لقوله: (أَسْقَطْتُها) فكأنه قال: أسقطتها نسيانًا لا عمدًا، وفي رواية: (كنت نَسيتُها)، قال الإسماعيلي: النسيان من النبي ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين: أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وهذا عارض سريع الزوال، والثاني: أن يرفعه الله ﷻ عن قلبه على إرادة نسخ التلاوة ا.هـ. (باختصار).

- في الحديث: جواز النسيان على النبي ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقًا، وفيه جواز رفع الصوت بالقراءة في الليل، وفي المسجد، والدعاء لمن حصل له من جهته خير، وإن لم يقصد المحصول منه ذلك.

المفردات

- **أَحْرُف**: الحرف في اللُّغة هو الوجه.
- **ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ**: أي: من الصلاة، لقوله في رواية: (حتىٰ سلَّم).
- **ثُمَّ لَبَّبْتُه بِرِدَائِه**: أي: جمعت عليه ثيابه عند لَبَّته لئلا يتفلَّت مني.

الفوائد

- **(أصوت عبَّادٍ هذا؟)**: في رواية أبي يعلىٰ في مسنده: المذكور عبَّاد بن بشر في الموضعين، وظاهر الحال أن المبهَم في الرواية التي قبل هذه (قارئًا) هو المفسَّر في هذه الرواية، وقيل أن المبهم في الرواية الأولىٰ هو عبد الله بن يزيد الأنصاري، فتكون قصتين، ويحتمل التعدد من جهة أخرىٰ وهو أنه سمع صوت رجلين، فعرف أحدهما فقال: (أصوت عبَّادٍ هذا؟) ولم يعرف الآخر فسأل عنه، والذي لم يعرفه هو الذي تذكَّر بقراءته الآية التي نسيها.

• **بابٌ: أنزل القرآن على سبعة أحرف**

* **حديث عمر بن الخطاب** رضي الله عنه:

- **(فقال لي: أرسله)**: لم ينكر النبي ﷺ علىٰ عمر رضي الله عنه بل قال له: (أرسِله)؛ لأن عمر رضي الله عنه فعل ذلك عن اجتهاد منه، ظنًّا أن هشامًا رضي الله عنه قد خالف الصواب، وكان عمر رضي الله عنه شديدًا في الأمر بالمعروف، وتُحمل مبادرته بالإنكار علىٰ هشام أنه لم يكن سمع حديث: (أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف) إلا في هذه الوَاقعة.
- **(إن القرآن نزل على سبعة أحرف)**: اختلف العلماء في معنىٰ الأحرف، وأقربها -والله أعلم- أن الأحرف نزلت علىٰ ألفاظ متعددة كما بينه حديث الباب؛ لأن إنكار عمر رضي الله عنه وقع علىٰ الحروف وليس علىٰ المعاني، والخلاف بهذه الحروف ليس للتضاد، ولكنه للتنوع، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو بمنزلة قول أحدكم: هلمَّ أقبل تعال.

والأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة كما يعتقد بعض الناس لاتفاقها في العدد، والقراءات السبعة ليست توقيفية العدد، ولكنها من اجتهاد مجاهد رحمه الله، وهي إحدىٰ الأحرف السبعة، وهو الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين عليه.

(وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: **يَا عَائِشَةُ! أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا؟** قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: **اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا**).

بَابٌ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ

١٤٤٥ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا! فَقَالَ لِي: **أَرْسِلْهُ**. ثُمَّ قَالَ لَهُ: **اقْرَأْ**. فَقَرَأَ، قَالَ: **هَكَذَا أُنْزِلَتْ**. ثُمَّ قَالَ لِي: **اقْرَأْ**. فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: **هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ؛ فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**.

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**[1].

بَابُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ

١٤٤٦ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ[2]: **اقْرَأْ عَلَيَّ**. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: **نَعَمْ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي** ـ. فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا، لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

- ١٥١ -

- **(فاقرؤوا منه ما تيسر)**: أي: من المنَزَّل، وفيه إشارة إلىٰ الحكمة في التعدد المذكور، وأنه للتيسير علىٰ القارئ، وهذا يؤيد القول بأن المراد بالأحرف تأدية المعنىٰ باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة؛ لأن لغة هشام بلسان قريش وكذلك عمر رضي الله عنهما، ومع ذلك اختلفت قراءتهما، وهذا ما عليه أكثر أهل العلم في المراد بالأحرف السبعة.

• **باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره**

- **(اقرأ عليّ)**: قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحبَّ أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوىٰ علىٰ التدبر ونفسُه أخلىٰ وأنشط لذلك من القارئ؛ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها ا.هـ.

شَهِيدًا﴾، قَالَ: (حَسْبُكَ الْآنَ)[١]. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

بَابُ الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

١٤٤٧ ـ عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنَّا بِحِمْصَ، فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ! قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **أَحْسَنْتَ**. وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ، فَقَالَ: أَتَجْمَعُ أَنْ تُكَذِّبَ بِكِتَابِ اللهِ وَتَشْرَبَ الْخَمْرَ؟ فَضَرَبَهُ الْحَدَّ.

بَابٌ: اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ

١٤٤٨ ـ عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ.**

١٤٤٩ ـ (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: **كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ** ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **فَاقْرَآ** ـ، **وَلَا تَخْتَلِفُوا**)؛ **فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**[٢].



(١) وَلِمُسْلِمٍ: **شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتُ فِيهِمْ.**

(٢) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا. قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ.**

- ١٥٢ -

المفردات

- **ائْتَلَفَت**: أي: اجتمعت واتفقت.
- **فَقُومُوا عَنْه**: أي: تفرقوا؛ لئلا يتمادىٰ بكم الاختلاف إلىٰ الشَّر.

الفوائد

- **(فإذا عيناه تذرفان)**: قال ابن حجر: والذي يظهر أنه بكىٰ رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملِهم، وعملُهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلىٰ تعذيبهم -والله أعلم- ا.هـ.

وقال النووي: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ [الإسراء:١٠٩]، ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[مريم:٥٨]. والأحاديث فيه كثيرة. ا.هـ.

- في الحديث استحباب البكاء عند سماع القرآن وقراءته، وطريقة تحصيله بأن يحضر قلبه ويتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، وينظر تقصيره في ذلك، ويتأمل وعد الله للمتقين ويحاسب نفسه هل هو أهلٌ لما أعده الله لهم من النعيم المقيم أم هو من المفرطين الغافلين؟

• باب القُرَّاء من أصحاب النبي ﷺ

- أي: الذين اشتهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه، وهذا اللفظ كان في عرف السلف أيضًا لمن تفقَّه في القرآن.
- **(كنا بحمص، فقرأ ابن مسعود رضي الله عنه..)**: ظاهره أن علقمة حضر القصة لكن عند مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (كنت بحمص فقرأت..) وهذا يقتضي أن علقمة لم يحضر القصة، وإنما نقلها عن ابن مسعود رضي الله عنه.
- **(ووجد منه ريح الخمر)**: هي جملة حالية، وفي رواية مسلم: (فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر)، حمله النووي علىٰ أن الرجل اعترف بشربها بلا عذر، وإلا فلا يجب الحدَّ بمجرد ريحها.

وأجاب ابن حجر أنه ورد النقل علىٰ أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يرىٰ وجوب الحد بمجرد ريحها، وورد في البخاري عن علي رضي الله عنه أنه أنكر علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه جَلْدَه الرجل بالرائحة وحدها. إذ لم يُقر أو يُشهدَ عليه، والمسألة خلافية، وأكثر أهل العلم علىٰ عدم وجوب الحدِّ بمجرد ريحها، وهو الأقرب.

- **(فضربه الحدَّ)**: يحتمل أنه رفعه إلىٰ الأمير فضربه الحد، فأسند الضرب إلىٰ نفسه مجازًا لكونه كان سببًا فيه، أو كما قال النووي: هذا محمول علىٰ أن ابن مسعود رضي الله عنه كانت له ولاية إقامة الحدود نيابة عن الإمام، إما عمومًا وإما خصوصًا ا.هـ.

• بابٌ: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

- **(فإذا اختلفتم فقوموا عنه)**: المراد: اقرؤوا والزموا الائتلاف علىٰ ما دلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارضُ شُبهةٍ يقتضي المنازعة الداعية إلىٰ الافتراق فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلىٰ الفرقة، ويحتمل أنه ينهىٰ عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن يتفرقوا عند الاختلاف، ويستمر كل واحد منهم علىٰ قراءته، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الباب لما وقع الاختلاف بينه وبين الصحابي في الأداءين فترافعوا إلىٰ النبي ﷺ فقال: (كلكم محسن).
- حديثا الباب فيهما: الحضُّ علىٰ الجماعة والأُلفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المراء في القرآن بغير حق، وأشَرُّ من ذلك أن تظهر دلالة الآية علىٰ شيء يخالف الرأي، فيُتَوَسَّلُ بالنظر وتدقيقه إلىٰ تأويلها وحملها علىٰ ذلك الرأي، ويقع اللَّجاج في ذلك والمناضلة عليه.

كِتَابُ التَّفْسِيرِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بَابٌ: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾

١٤٥٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:** ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾، **فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ.**

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

١٤٥١ ـ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاؤُوا لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾.

بَابٌ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾

١٤٥٢ ـ (عَنْ مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ قَالَ: أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما ـ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، قَالَ: نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا)(١).

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: =

ـ ١٥٣ ـ

كتاب التفسير

المفردات

- **حِطَّةٌ**: أي: احطُط عنَّا خطايانا.
- **أَسْتَاهِهِمْ**: جمع إست، وهو الدُّبر.

الفوائد

سورة البقرة

• **باب: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾**

- **(فبدَّلوا..)**: أي غيروا، ولم يمتثلوا ما أمرهم الله به، وخالفوا في القول والفعل، فقد أمروا بالسجود عند انتهائهم شكرًا لله تعالىٰ، فبدلوا السجود بالزحف، وأُمروا أن يقولوا: حِطة، فقالوا: حنطة أو قالوا: حِطة وزادوا فيها: حبَّة في شعرة.

وفيه تعنُّت بني إسرائيل وكفرهم لنعم الله ﷻ، فكم أنعم الله عليهم من النعم المتتالية، فأنجاهم من العذاب المهين، وحماهم من استباحة دمائهم وأموالهم، وأغرق عدوهم فرعون وجنوده، وأمدَّهم بالأرزاق والأقوات، ومكَّن لهم في الأرض، ثم يقابلون الإحسان بالإساءة، والنعم بالجحود، والصفح والغفران بالتمادي والطغيان، والاستعلاء علىٰ أمر الله ﷻ.

• **باب قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾**

أي: بيان سبب نزول هذه الآية.

- **(كانت الأنصار إذا حَجوا فجاؤوا)**: هذا ظاهر في اختصاص ذلك بالأنصار، لكن في حديث جابر رضي الله عنه عند الحاكم: أن سائر العرب كانوا كذلك إلا قريش.

- **(لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم..)**: وبيَّن الزهري السبب في صنيعهم ذلك فقال: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يَحُلْ بينهم وبين السماء شيء، فكان الرجل إذا أهلَّ فبدت له حاجة في بيته لم يدخل من الباب من أجل السقف أن يحول بينه وبين السماء.

- في الحديث إبطال عادة من عادات الجاهلية، وفيه إغلاق باب الحيل علىٰ الأحكام الشرعية، إلا فيما أذن فيه الشرع، وفيه أن العبادات وأعمال البر توقيفية، فلا يُتعبد الله بالبدع والعادات الجاهلية، وإنما يُعبد بما شرع، وأن الطريق الصحيح إلىٰ الله هو ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

• **باب: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾**

- **(عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ)**: عدم معرفة هذا الرجل لا تضر؛ لأن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسول الله ﷺ، قال ابن حجر في الإصابة: اتفق أهل السنة علىٰ أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ المبتدعة. ا.هـ.

- **(قال: أحسبه ابن عمر رضي الله عنهما)**: قال ابن حجر: وعندي في ثبوت كونه ابن عمر توقف؛ لأنه ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن اطلع علىٰ كون هذه الآية منسوخة، لما عند الطبري بسند صحيح أنه تلا هذه الآية فقال: (والله لئن واخذنا الله بها لنهلكنَّ، ثم بكىٰ حتىٰ سمع نشيجه) فلما بلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ما وجد، فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]ا.هـ. (بتصرف واختصار).

- **(نسختها الآية التي بعدها)**: المراد بالنسخ هنا التخصيص، فقد وقع العفو من الله ﷻ علىٰ ما يطرأ من الوساوس والخواطر التي لا طاقة للإنسان بها، ووقعت المحاسبة علىٰ ما يصمِّم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ولا يستمر عليه، وهذا تخفيف من الله ﷻ اقتضته رحمته فله الحمد علىٰ ما تفضل به علىٰ عباده.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بَابٌ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾

١٤٥٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ.**

= ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾. قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.** قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، قَالَ: **نَعَمْ**. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾، قَالَ: **نَعَمْ**. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾، قَالَ: **نَعَمْ**. ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، قَالَ: **نَعَمْ**.

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾...

- ١٥٤ -

الفوائد

سورة آل عمران

• **بابٌ:** ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾

– قال الطبري: قيل إن هذه الآية نزلت في الذين جادلوا رسول الله ﷺ في أمر عيسىٰ ﵇، وقيل: في أمر مدة أمر هذه الأمة، والثاني أولىٰ؛ لأن أمر عيسىٰ ﵇ قد بينه الله ﷻ لنبيه ﷺ، فهو معلوم لأمته بخلاف أمر هذه الأمة، فإن علمه خفي عن العباد ا.هـ.

– **المحكم والمتشابه في القرآن:**

قال السعدي ﵀: القرآن كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث ا.هـ.

فالقرآن من حيث المحكم والمتشابه له أربعة أوصاف:

الأول: محكم عام، كما وصفه الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] ومعنىٰ ذلك أنه في غاية الإحكام ونهاية الانتظام، فأخباره كلها حق وصدق لا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وبركة وصلاح، ونواهيه متعلقة بالشرور والأضرار، والأخلاق الرذيلة، والأعمال السيئة، فهذا إحكامه، وهو وصف عام لكل آيات القرآن، صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، فلا تناقض فيه ولا اختلاف، ولا خلل ولا ظلم، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾[الأنعام:١١٥]. **الثاني:** المتشابه العام، كما وصفه الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزمر:٢٣] أي متشابهًا في الحسن والصدق الحق، ووروده بالمعاني النافعة المزكية للعقول، المطهرة للقلوب، المصلحة للأحوال، فألفاظه أحسن الألفاظ، ومعانيه أحسن المعاني، متجانسة ومتماثلة في الحسن والصدق، وآياته يشهد بعضها لبعض، ويعضد بعضها بعضًا. **الثالث:** المحكم الخاص، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]، والمراد بالمحكم هنا غير المراد بالمحكم العام، فالمراد به هنا أن القرآن الكريم فيه المحكم وهو الواضح البيِّن الذي لا يلتبس معناه، وهذا هو الغالب في القرآن، وهو أصل الكتاب كما قال تعالىٰ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧] أي أصله الذي يُرجع إليه عند الاشتباه، وهي الآيات التي أحكمت بالبيان والتفصيل والحُجج والأدلة علىٰ الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وما أشبه ذلك.

– وقوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧]: الكتاب إذا أُطلق في القرآن والسنة مجردًا من غير عطف يدخل فيه السُّنة، لأنها وحيٌ؛ ولحديث زيد ابن خالد وأبي هريرة ﵄ في الصحيحين لما أراد النبي ﷺ أن يقضي في الزنا قال: (لأقضين بينكما بكتاب الله) فقضىٰ بحكمه، ومنه التغريب، وليس التغريب في المتلوِّ من القرآن، وإنما هو من السنة.

الرابع: المتشابه الخاص: وهو القسم الثاني من تقسيم الله للقرآن في قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[آل عمران:٧] فالمتشابه هنا ليس كالمتشابه العام السابق بيانه، وإنما هو متشابه خاص مقابل الإحكام الخاص، **وهو علىٰ نوعين:** مطلق ونسبي، **فالأول** وهو المتشابه المطلق ويكون في الحقائق الغيبية مثل كيفية صفات ﷻ، وحقيقة الجنة والنار، وغير ذلك من أمور الغيب، فهذه الحقائق لا يعلمها إلا الله ﷻ.

والثاني: والمتشابه النسبي، فيكون متشابهًا بالنسبة للبعض، وغير متشابه بالنسبة لغيرهم، ولذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]..الآية، فيها قراءتان: الوصل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[آل عمران:٧] فهذا يقصد به المتشابه النسبي، أي يعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم، والوقف في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويُراد به المتشابه المطلق الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

– والحكمة من نزول القرآن علىٰ هذين الوجهين الابتلاء والامتحان؛ لأن الذي في قلبه زيغ يتبع المتشابه فيبقىٰ في حيرة من أمره، وأما الراسخون في العلم، فإنهم يؤمنون به كله متشابهه ومحكمه، ويعلمون أنه من عند الله، وأنه لا تناقض فيه، ويردون المتشابه منه إلىٰ المحكم فيصير المتشابه محكمًا.

– **(فاحذروهم):** المراد التحذير من الإصغاء إلىٰ الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظَهَر ذلك من اليهود في تأويلهم الحروف المقطعة، وأن عددها بالجُمل مقدار مُدَّة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتىٰ جاء عن ابن عباس ﵄ أنه فسر بهم هذه الآية.

المفردات

- **خِفْتُم**: أي: ظَنَنتُم.
- **تُقْسِطُوا**: أي: تعدلوا.
- **في اليَتَامَى**: فيه حذف تقديره: في نكاح اليتامىٰ.
- **في حَجْر وليها**: أي: الذي يلي مالها.

الفوائد

• **باب: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾**

* **حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:**

- **(أن رجلًا من المنافقين)**: هكذا ذكره أبو سعيد رضي الله عنه في سبب نزول الآية، وفي حديث ابن عباس الذي بعده أن المراد من أجاب من اليهود بغير ما سُئل عنه وكتموا ما عندهم من ذلك، وقيل: نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يؤمنون بمحمد ﷺ، ولا مانع من أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة وعمومها يتناول كل من أتىٰ بحسنة فَفَرِح بها فرح إعجاب، وأحَبَّ أن يحمده الناس ويُثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم.

* **حديث علقمة بن وقاص**

- **(إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم..)**: وفي رواية لمسلم: (إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب)، قال ابن حجر: الشيء الذي سأل النبي ﷺ عنه اليهود لم أَرَهُ مفسرًا وقد قيل: إنه سألهم عن صفته عندهم بأمر واضح، فأخبروه عنه بأمر مجمَل، وروىٰ عبدالرزاق من طريق سعيد بن جبير في قوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] قال: محمد، وفي قوله: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ [آل عمران:١٨٨] قال: بكتمانهم محمدًا، وفي قوله: ﴿أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران:١٨٨] قال: قولهم: نحن علىٰ دين إبراهيم عليه السلام ا.هـ. وقال آخرون: عنىٰ بذلك قومًا من أحبار اليهود، كانوا يفرحون بإضلالهم الناس، ونسبة الناس إياهم إلىٰ العلم.

سورة النساء

• **باب: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾**

- قال ابن كثير رحمه الله: أي إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة، وخاف ألا يعطيها مهر مثلها، فليعدل إلىٰ ما سواها من النساء فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه ا.هـ.

باب: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾

١٤٥٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ الْآيَةَ.

١٤٥٥ ـ (عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ) ـ وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ـ: أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ؟ إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ. ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كَذَلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾.

سُورَةُ النِّسَاءِ

بَابٌ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾

١٤٥٦ ـ عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ﴾ إِلَى ﴿وَرُبَٰعَ﴾، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ، فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ

- ١٥٥ -

- وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: أنه كان الرجل تكون عنده اليتيمة في حجره، فإن كانت جميلة تزوجها من غير أن يقسط في صداقها، وإن كانت دميمة رغب عن نكاحها وعضلها أن تنكح غيره؛ لئلا يشاركه في مالها، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلىٰ سنَّتهن في الصَّداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ا.هـ.

أي: كما أنه يرغب عن نكاحها إن كانت قليلة المال والجمال، فلا يحل له أن يتزوجها إن كانت ذات مال وجمال إلا بالإقساط إليها، والقيام بحقوقها كاملة غير منقوصة.

وهذا المعنىٰ هو الموافق لما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها في حديث الباب.

يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا -، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ. قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، وَالَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ الآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(١). قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللهِ فِي الآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ يَعْنِي: هِيَ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ لِيَتِيمَتِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي حَجْرِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ؛ مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ يَتِيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وَكَانَ لَهَا عَذْقٌ، وَكَانَ يُمْسِكُهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ، فَنَزَلَتْ فِيهِ:) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

بَابٌ: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

١٤٥٧ - عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيمِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا، أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ مَكَانَ قِيَامِهِ عَلَيْهِ بِمَعْرُوفٍ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: يَقُولُ: مَا أَحْلَلْتُ لَكُمْ، وَدَعْ هَذِهِ الَّتِي تَضُرُّ بِهَا.

- ١٥٦ -

المفردات

- **يَسْتَفْتُونَكَ**: يطلبون الفتوىٰ، أي: جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل علىٰ السائل.
- **عَذْقٌ**: النخلة بِحَملها.
- **يُمْسِكُهَا عليه**: أي: لأجله.
- **وَالِي اليَتِيم**: هو المتصرف في مال اليتيم بالوصية ونحوها.

الفوائد

- **(وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن)**: أي: إن خفتم ألا تعدلوا في اليتامىٰ الأطفال اللاتي لا أولياء لهن يطالبونكم بحقوقهن، ولا تأمنوا من ترك القيام بحقوقهن لعجزهن عن ذلك، فتزوجوا من النساء القادرات علىٰ تدبير أمورهن، أو من لهن أولياء يمنعونكم من الحَيْف عليهن.
- **(يعني: هي رغبة أحدكم ليتيمته)**: قال ابن حجر رحمه الله: وفي رواية: (عن يتيمته) ففيه تعيين أحد الاحتمالين في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[النساء:١٢٧] لأن رغب يتغير معناه بمتعلقه، يُقال: رغب فيه: إذا أراده، ورغب عنه: إذا لم يرده؛ لأنه يحتمل أن تحذف (في) وأن تحذف (عن)، وقد تأوله سعيد بن جبير علىٰ المعنيين فقال: نزلت في الغنية والمعدمة، والمروي هنا عن عائشة رضي الله عنها أوضح في أن الآية الأولىٰ نزلت في الغنية، وهذه الآية نزلت في المعدمة.
- **(فَنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها..)**: أي: نُهُوا عن نكاح المرغوب فيها لجمالها ومالها. لأجل زهدهم فيها إذا كانت قليلة المال والجمال، فينبغي أن يكون نكاح اليتيمتين علىٰ السواء في العدل.
- في الحديث اعتبار مهر المثل في المحجورات، وأن غيرهن يجوز نكاحها بدون ذلك، وفيه أن للولي أن يتزوج من هي تحت حجره إذا أقسط في صداقها، قال القرطبي: فإذا بلغت اليتيمة وأقسط الولي في صداقها جاز له أن يتزوجها ويكون هو الناكح والمنكِح ا.هـ.

وفيه أن للولي حقًّا في التزويج؛ لأن الله ﷻ خاطب الأولياء بذلك.

- استدل به الأحناف علىٰ تزويج الولي غير الأب التي دون البلوغ؛ لأنها بعد البلوغ لا تكون يتيمة، والجمهور علىٰ أن اليتيمة لا يجوز تزويجها قبل أن تبلغ وتستأذن سواء كان من سيتزوجها هو وليها أو غيره.
- في الحديث حفظ الإسلام لحقوق المرأة، وفيه أن الولاية لا تعطي للولي الحرية المطلقة في استخدام ولايته كما يعتقد البعض، فليس للولي أن يتصرف بما يتعارض مع مصلحة اليتيمة، أو يستغل ولايته لأكل مالها أو عضلها عن الكفء، وإن ظلم وتعدىٰ انتقلت الولاية من الولي الأقرب إلىٰ الولي الأبعد، وإذا وقع الظلم من الجميع انتقلت الولاية إلىٰ القاضي، فالولاية علىٰ اليتيمة إنما شرعت لتحقيق مصلحتها، وولي اليتيمة يحمل علىٰ عاتقيه أمانة عظيمة يجب عليه أن يقدرها قدرها؛ لأن الله قد عظم حق اليتيم في كتابه الكريم وفي سنة نبيه ﷺ.
- **(أن رجلًا كانت له يتيمة فنكحها..)**: ظاهره أنها نزلت في شخص معين، والمعروف التعميم؛ لرواية: (أنزلت في الرجل يكون عنده يتيمة..)، وهو كذلك في الرواية السابقة.

• بابٌ: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

- قال ابن حجر: في الباب حديث مرفوع أخرجه أبو داود: (جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيمًا له مال، وليس عندي شيء، أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف) وإسناده قوي ا.هـ. (باختصار).
- **(فليأكل بالمعروف)**: قال النووي: يجوز للوليِّ أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف إذا كان محتاجًا، وهو مذهب الجمهور.

بَابٌ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾

١٤٥٨ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أُحُدٍ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فَرِيقٌ يَقُولُ: اقْتُلْهُمْ. وَفَرِيقٌ يَقُولُ: لَا. فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

بَابٌ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾

١٤٥٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، هَذِهِ مَكِّيَّةٌ، نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ: الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ.

بَابٌ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾

١٤٦٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: (تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ). قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿السَّلَامَ﴾.

بَابٌ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾

١٤٦١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾،

- ١٥٧ -

المفردات

- أَرْكَسَهُم: أي: ردَّهم إلىٰ حكم الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل.
- بِمَا كَسَبُوا: أي: بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا علىٰ النفاق.
- نُشُوزًا: أي: بغضًا.

الفوائد

• بابٌ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾

- أي: ما شأنكم أيها المؤمنون صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل من المنافقين: فريق يقول بقتالهم وكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم؟ فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلىٰ الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهدوا من لم يوفقه الله إلىٰ الحق؟! ومن يضلل الله فلن تجد له طريقًا للهداية.

- حديث الباب فيه سبب نزول هذه الآية، وقد أورد جمهور المفسرين عدة أسباب لهذه الآية، ومنها: أنها نزلت في قوم خرجوا من أهل مكة حتىٰ أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، فارتدوا واستأذنوا النبي ﷺ في الرجوع إلىٰ مكة ليأتوا ببضائع، فاختلف فيهم المؤمنون، فبيَّن الله ﷻ نفاقهم بهذه الآيات، والله أعلم.

• بابٌ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾

- (هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء): احتج ابن عباس رضي الله عنهما بهذه الآية المحكمة بأن القاتل متعمدًا لا توبة له، هذا هو المشهور عنه رضي الله عنه، ورُوي عنه أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١١٠] وهذه الرواية الثانية هي مذهب أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين ومن بعدهم، وما رُوي عن بعض السلف مما يخالف ذلك فهو محمول علىٰ التغليظ والتحذير من القتل.

وليس في هذه الآية التي احتج بها ابن عباس رضي الله عنهما تصريح بأنه يخلد في النار، وإنما فيها أنه جزاؤه، ولا يلزم منه أن يُجازىٰ، فقد يدخل النار يجازىٰ فيها علىٰ هذه الكبيرة ثم يخرج كسائر عصاة الموحدين، أو يعفو الله عنه فلا يدخل النار أصلًا، بل تتداركه رحمة الله ﷻ، إلا إذا قتل عمدًا مستحلًّا له بغير حق ولا تأويل فهو كافر مرتد يخلد به في جهنم بالإجماع.

- (نسختها آيةٌ مدنية: التي في سورة النساء): يعني بالناسخة: آية النساء ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾[النساء:٩٣] ..الآية، وهذا مبني علىٰ قوله: أن لا توبة له، وعنه رواية أخرىٰ وقعت في البخاري بعد هذا: إن الآية نزلت في المعاصي التي تكون في زمن الشرك، ثم يقع الإسلام بعدها.

وحينئذٍ فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ، فقيل: لعله قال بالنسخ ثم رجع عنه.

قال ابن حجر رحمه الله: ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خصَّ منها مباشرة المؤمن القتل متعمدًا، وكثير من السلف يطلقون النسخ علىٰ التخصيص، وهذا أولىٰ من حمل كلامه علىٰ التناقض، وأولىٰ من دعوىٰ أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه ا.هـ.

• بابٌ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾

- حديث الباب فيه سبب نزول هذه الآية، ورُوي في سبب نزولها غير ذلك.

- وفي الآية وحديث الباب دليل علىٰ أن من أظهر شيئًا من الإسلام لم يحل دمه حتىٰ يُختبر أمره؛ لأن السلام تحية المسلمين، وكانت تحيتهم في الجاهلية غير ذلك، فكانت هذه علامة، ولا يلزم منه الحكم بإسلام من اقتصر علىٰ ذلك، وإجراء أحكام المسلمين عليه، بل لابد من التلفظ بالشهادتين علىٰ تفاصيل في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم، والله أعلم.

قَالَتْ: الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا[1]، يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَمْسِكْنِي وَلَا تُطَلِّقْنِي، (ثُمَّ تَزَوَّجْ غَيْرِي، فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ النَّفَقَةِ عَلَيَّ، وَالْقِسْمَةِ لِي) ـ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: يَرَى مِنِ امْرَأَتِهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ: كِبَرًا أَوْ غَيْرَهُ...، قَالَتْ: فَلَا بَأْسَ إِذَا تَرَاضَيَا).

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

١٤٦٢ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بَابٌ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾

١٤٦٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! (وَفِي رِوَايَةٍ: فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: وَلَهَا صُحْبَةٌ وَوَلَدٌ.

- ١٥٨ -

المفردات

- لَيسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا: أي: في المحبة والمعاشرة والملازمة.

- لَمْ يَلْبِسُوا: أي: لم يخلطوا.

الفوائد

- (فتقول: أجعلك من شأني في حل..): أي: إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر منها، أو يعرض عنها، فلها أن تسقط حقها أو بعضه، من نفقة أو كسوة، أو مبيت، أو غير ذلك من الحقوق عليه، وله أن يقبل ذلك منها فلا جناح عليها ولا عليه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء:١٢٨] أي: أن الصلح الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق، أو خير من الفراق أو الخصومة.

- (فنزلت هذه الآية في ذلك): أي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾[النساء:١٢٨]..الآية.

- قال النحاس: الفرق بين النشوز والإعراض: أن النشوز التباعد، والإعراض أن لا يكلمها ولا يأنس بها، وظاهر الآية أنها تجوز المصالحة عند مخافة أي نشوز أو أي إعراض، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيجوز التصالح بأي نوع من أنواعه، إما بإسقاط النوبة أو بعضها أو بعض النفقة أو بعض المهر. ا.هـ.

سورة المائدة

• باب قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

- (لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا): أي: لعظمناه وجعلناه عيدًا لنا في كل سنة لعظم ما حصل فيه من إكمال الدين، والعيد فعلٌ من العَوْد، وإنما سمي به؛ لأنه يعود في كل عام.

- (قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه..): قال النووي: ومراد عمر ﷺ إنا قد اتخذنا ذلك اليوم عيدًا من وجهين، فإنه يوم عرفة ويوم جمعة، وكلٌّ واحد منهما عيدٌ لأهل الإسلام.

- استُدل بهذا الحديث علىٰ مزية الوقوف بعرفة يوم الجمعة علىٰ غيره من الأيام؛ لأن الله تعالىٰ إنما يختار لرسوله ﷺ الأفضل، وأن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة والأمكنة، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة)؛ ولأن في يوم الجمعة الساعة المستجاب فيها الدعاء، ولاسيما علىٰ قول من قال: إنها بعد العصر.

سورة الأنعام

• بابٌ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾

- (شقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ): الذي يظهر أنهم حملوا الظلم علىٰ عمومه الشرك فما دونه، وإنما حملوه علىٰ العموم لأن قوله: (بظلم) نكرة في سياق النفي، لكن عمومها هنا بحسب الظاهر، وبيَّن لهم النبي ﷺ أن ظاهرها غير مراد، بل هو من العام الذي أريد به الخاص، فالمراد بالظلم أعلىٰ أنواعه وهو الشرك.

- (فنزلت: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]): فيه أن سبب نزول هذه الآية هو سؤال الصحابة ﷺ لكن يعكِّر عليه رواية البخاري: (فقال: ليس بذلك، ألا تسمعون قول لقمان؟) وفي رواية الباب: (ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]) ويستفاد منه أن الآية التي في لقمان كانت معلومة عندهم، ولذلك نبههم عليها.

قال ابن حجر في رفع هذا الإشكال: يحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال، فتلاها عليهم، ثم نبههم، فتلتئم الروايتان.

المفردات

- الأَنْفَال: هي الغنائم.
- طَرَفَيِ النَّهار: قيل: الصبح والمغرب، وقيل: الصبح طرف والظهر والعصر طرف.

الفوائد

- (﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]): لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وإرجاع الفضل لغير المنعم ﷻ، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما سُئل النبيﷺ: (أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك) فالشرك أظلم الظلم، ولذلك كان جزاء صاحبه الخلود في النار يوم القيامة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة].
- في الحديث: الحمل علىٰ العموم حتىٰ يرد دليل التخصيص، وأن النكرة في سياق النفي تعمُّ، وأن الخاص يقضي علىٰ العام، والمبيَّن علىٰ المجمل، وأن اللفظ يحمل علىٰ خلاف ظاهره لمصلحة دفع التعارض، وأن درجات الظلم تتفاوت، وأن المعاصي لا تسمىٰ شركًا، وأن من لم يشرك بالله فله الأمن من الخلود في النار، والاهتداء للجنة ولو كان عاصيًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

سورة الأنفال

• باب قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾

- (قال: التوبة؟ هي الفاضحة): سميت بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين وكشفت أعمالهم وأساليب نفاقهم وألوان فتنتهم وتخذيلهم للمؤمنين؛ لتواجههم بها حتىٰ يتوبوا، وكذلك بيَّنت للمؤمن سبل التوقي والحذر منهم.
- (ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم): كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[التوبة:٧٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[التوبة:٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾[التوبة:٦١].
- (سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر): وفي مسند الإمام أحمد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ قسمها علىٰ السَّواء، فكانت في ذلك تقوىٰ الله وطاعة رسوله ﷺ، وإصلاح ذات البين)، وسبب اختلافهم أن الغنائم يومئذٍ مرتبطة بحسن البلاء في المعركة، وكانت بذلك شهادة علىٰ حسن البلاء؛ لقوله ﷺ: (من فعل كذا فله كذا) وكانوا حريصين علىٰ هذه الشهادة من الله ورسوله ﷺ في أول مشهد لهم مع المشركين، ولم يكن همهم الغنائم للدنيا؛ لأنهم ما بين مهاجر سابق وأنصاري شارك إخوانه المهاجرين ماله ودياره، ولقد أخذهم الله بالتربية الربانية قولًا وعملًا، ونزع منهم تلك الغنائم وردَّها لرسول الله ﷺ فلم تعد حقًّا لهم يتنازعون فيه، إنما أصبح فضلًا من الله عليهم بقسمة النبي ﷺ بينهم كما علمه ربه، وفيه أن الاختلاف وسوء الأخلاق سبب للحرمان من الرزق، وأن الأحكام الشرعية سبب لاجتماع الكلمة وإصلاح القلوب إذا التزمتها الأمة.

ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾

١٤٦٤ ـ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُورَةُ التَّوْبَةِ. قَالَ: التَّوْبَةُ؟ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ: وَمِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا. قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ. قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْحَشْرِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ.

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الْآيَةَ

١٤٦٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الْآيَةَ.

سُورَةُ هُودٍ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾

١٤٦٦ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً[1]،

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ.

ـ ١٥٩ ـ

- (قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النَّضير): حيث نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ فأحلَّ الله بهم بأسه الذي لا مردَّ له، وأنزل عليهم قضاءه، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنت عنهم من الله شيئًا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال].

• باب قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية

- (قال أبو جهل: اللَّهُمَّ إن كان هذا..): ظاهره أن أبا جهل هو القائل ذلك، وإن كان هذا القول نُسب إلىٰ جماعة، فلعله بدأ به ورضي الباقون فنُسب إليهم. روىٰ ابن جرير أنهم قالوا ذلك، ثم لما أمسوا ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال]، ثم حلَّ بهم العذاب لما تركوا الندم علىٰ ما وقع منهم، وبالغوا في معاندة المسلمين ومحاربتهم، وصدهم عن المسجد الحرام، والله أعلم.
- في الحديث: فضل الاستغفار وأنه أمان من العذاب ونزول العقوبات العامة والخاصة.

المفردات

- زُلَفًا: أي: ساعات.
- الوَسِيلَة: أي: القُربة.
- مُتَّكئٌ: وفي رواية عند البخاري: (يتوكأ) أي: يعتمد.
- عَسِيب: أي: عصًا من جريد النخل.
- فَقُمتُ مَقَامي: في رواية عند البخاري: (فتأخرت عنه) أي: أدبًا معه لئلا يتشوش بقربي منه.

الفوائد

- (قال الرجل: أَلِي هـذه؟): أي: الآية، يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي؟ وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك، وعند مسلم في رواية: (فقال معاذ: يا رسول الله، أله وحده أم للناس كافة؟) ويُحمل علىٰ تعدد السائلين.
- (﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤]): تمسك بظاهره المرجئة، وقالوا: إن الحسنات تكفر كل السيئات كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق علىٰ المقيد عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) وهو الأقرب بأن الكبائر تحتاج توبة.
- استدل بهذا الحديث علىٰ عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلىٰ سقوط التعزير عمن أتىٰ شيئًا منها وجاء تائبًا نادمًا. واستنبط منه ابن المنذر أنه لا حدَّ علىٰ من وُجد مع امرأة أجنبية في ثوب واحد.
- وفيه أن العبادات تكفر الذنوب، لكن ينبغي للعبد ألا يغتر، لأن العبادات المكفرة هي التي يؤتىٰ بها علىٰ وجهها الصحيح من الإخلاص فيها، والإتيان بشروطها وأركانها وواجباتها.

سورة الإسراء

• باب قوله: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية

- (فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم): أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن علىٰ عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة.

وروىٰ الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية.

- فيه رد علىٰ الجهال الذين يتوسلون بالصالحين والأولياء ونحوهم، ويدعونهم من دون الله، وأن هؤلاء المدعوين يطلبون القربة إلىٰ الله بطاعته، ويرجون رحمته ويخافون عذابه؛ ولهذا عملوا واجتهدوا في عبادته، وفيه أن التوسل إلىٰ الله بالصالحين ونحوهم ودعائهم من دون الله شرك، وإنما يتوسل إلىٰ الله بالتوحيد والعمل الصالح بفعل الأوامر وترك النواهي.

فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ[1]، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، قَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي**.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ الآيَةَ

١٤٦٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ[2]، وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ.

بَابٌ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾

١٤٦٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالُوا: سَلُوهُ. فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ).

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ! قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَالإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

• بابٌ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾

- (لا يستقبلكم بشيء تكرهونه): قال ابن حجر: ووقع في بعض التفاسير: أن الحكمة في سؤال اليهود عن الروح: أن عندهم في التوراة أن روح بني آدم لا يعلمها إلا الله ﷻ، فقالوا: نسأله، فإن فسَّرها فهو نبي، وهو معنىٰ قولهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ا.هـ.
- (﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء:٨٥]): قال ابن بطال: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله ﷻ بعلمه بدليل هذا الخبر، قال: والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه، حتىٰ يضطرهم إلىٰ رد العلم إليه. ا.هـ.
- في الحديث: جواز سؤال العالم حيال قيامه ومشيه إذا كان لا يثقل ذلك عليه، وأدب الصحابة مع النبي ﷺ، والعمل بما يغلب علىٰ الظن، والتوقف عن الجواب بالاجتهاد لمن يتوقع النص، وأن بعض العلم قد استأثر الله ﷻ بعلم حقيقته، وأنه يجب التوقف فيه وتفويض علمه إلىٰ الله ﷻ تأدبًا وحذرًا من أن يقول علىٰ الله ما ليس له به علم.

المفردات

- **وَلَا تُخَافِتْ**: المراد بالمخافتة: خفض الصوت.
- **كَبْشٍ**: الكبش هو الذكر من الضأن بعدما يكبر.
- **أَمْلَحَ**: قيل: هو الأبيض الخالص، وقيل: الأبيض الذي يشوبه السواد، وقيل: الذي يخالط بياضه حمره، وقيل غير ذلك.
- **فَيَشْرَئِبُّون**: أي: يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

الفوائد

• **بابٌ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾**

- حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فيه سبب نزول هذه الآية، وفيها إرشاد من الله ﷻ لرسوله ﷺ للسلامة من أذىٰ المشركين وسبهم للقرآن، فأمره ألا يجهر بصلاته الجهر الذي يحصل به أذىٰ المشركين، ولا يخافت بها المخافتة التي تفوِّت المصلحة، بل يكون بين ذلك سبيلًا.

- وفيه أن هذه الآية نزلت في الصلاة وفي حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها نزلت في الدعاء، وهو عام في الصلاة وغيرها، ورجَّح النووي وغيره قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ لأن حديثه أصح مخرجًا، ويمكن الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة.

- حديثا الباب فيهما مشروعية ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها، وفيهما وفي الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل لها، وأن وسائل المحرم لو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تُفضي إلىٰ الشر.

سورة الكهف

• **بابٌ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾**

- أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات والمعجزات التي دلت علىٰ صدق النبي ﷺ، فحبطت بسبب ذلك أعمالهم، فلا يُقيم الله ﷻ لهم يوم القيامة وزنًا؛ لأن الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم، لعدم شرطها وهو الإيمان، لكن تُعدُّ أعمالهم وتُحصىٰ، ويقررون بها، ويخزون علىٰ رؤوس الأشهاد.

- في الباب إثبات الميزان، وإقامته يوم القيامة، وأنه ميزان حقيقي له كفتان لا يعلم حقيقتهما إلا الله، توزن به أعمال العباد، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

- **(إنه ليأتي الرجل العظيم السمين)**: استُدل به علىٰ وزن العامل يوم القيامة مع عمله، وقيل: هذا مَثَلٌ ضربه النبي ﷺ للذي يغتر بالأجسام، وهو كناية عن عدم اكتراث الله بالأجساد، فإن الله لا ينظر إلىٰ الصور، وإنما ينظر إلىٰ الأعمال والقلوب.

والقول بوزن العاملين له قوة، وقال به عدد كبير من العلماء، إلا أن القول بوزن الأعمال فقط هو الأظهر، وبه قال السفاريني

بَابٌ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾

١٤٦٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. وَفِي رِوَايَةٍ: أَسْمِعْهُمْ وَلَا تَجْهَرْ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ.

١٤٧٠ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: أُنْزِلَتْ فِي الدُّعَاءِ.

سُورَةُ الْكَهْفِ

بَابٌ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

١٤٧١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. وَقَالَ: اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.**

سُورَةُ مَرْيَمَ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

١٤٧٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ**(١)**، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ**

(١) وَلِمُسْلِمٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

- ١٦١ -

والقرطبي وغيرهما، ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

سورة مريم

• **باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾**

* **حديث أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- سُمي يوم القيامة بيوم الحسرة؛ لأنه يتحسر فيه الكافر علىٰ كفره، وحرمانه من الجنة، وما فاته من النعيم المقيم، ويتحسر الظالم علىٰ ظلمه، والمسيء علىٰ إساءته وتفريطه.

- **(يؤتى بالموت)**: قال القرطبي: الحكمة في الإتيان بالموت هكذا الإشارة إلىٰ أنهم حصل لهم الفداء به كما فُدِي ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكبش. ا.هـ.

- وإتيان الموت علىٰ هيئة كبش أملح حقٌّ يثبت علىٰ ظاهره بلا تأويل، وأن الله يجعل الموت وهو من المعاني في صورة عَرَض -كبش أملح- فيذبح دلالة علىٰ أنها حياة بلا موت لأهل الجنة وأهل النار، وهذا ليس بمستغرب في قدرة الله ﷻ، ولا يُعترض عليه بالعقول، فيوم القيامة مليء بالمعجزات وخوارق العادات التي لا تُحصىٰ، وكلها ثابتة بالقرآن والسنة، فلا يجوز للعقل التعدي إلىٰ أشياء قد كفاه النقل الصحيح إثباتها.

وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. (وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ)، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. (وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ)، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ[1]. فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ.

بَابٌ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾

١٤٧٣ ـ عَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لِي: لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. قَالَ: قُلْتُ: لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ. قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ.

- ١٦٢ -

المفردات

- قَيْنًا: أصله الحداد، ثم صار يُطلق عند العرب علىٰ كل صانع.
- دَيْنٌ: في رواية عند البخاري: أنه أجرةُ سيفٍ عمله له.

الفوائد

- (يا أهل الجنة خلود فلا موت..): فيه إشارة إلىٰ أن الذبح للموت لا يكون إلا بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، واستقرار أهل النار في النار، ويقتضي هذا أنه لا يكون الذبح قبل خروج الموحدين من جهنم؛ لأن الخطاب يكون لأهل الجنة وأهل النار، ولا ينسب الموحدون للنار وهم سيخرجون منها.

- (وكلهم قد رآه، فيذبح): وذلك زيادة في نعيم المؤمنين فلا يفكرون أن النعيم سينتهي، ونكاية في عذاب الكافرين، فلا يفكرون أن العذاب سينتهي.

- في الحديث: خلود أهل الجنة فيها ودوام نعيمهم، وخلود أهل النار من الكافرين فيها لا إلىٰ أمد ولا غاية، بلا موت ولا حياة نافعة، ولا راحة، وأن الجنة والنار لا تفنيان، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

* **حديث ابن عمر** رضي الله عنهما:

- (جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار): في مسند الإمام أحمد: (يؤتىٰ بالموت يوم القيامة، فيوقف علىٰ الصراط) وقد قضىٰ الله ﷻ بذبح الموت زيادة في نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين، وذلك ليدفع كل معاني الأمل من نفوس الكافرين في النجاة، وليقطع كل ظن في الفناء مما ينغص عيش أهل الجنة، ويذهب كمال نعيمهم، فيفرح أهل الجنة فرحًا عظيمًا، ويشقىٰ أهل النار شقاء مريعًا، فلا نجاة لهم في حاضرهم ولا في مستقبلهم، فيعذبون حسيًّا في النار، ويعذبون معنويًا بانقطاع الرجاء من النجاة.

• **باب: قوله** ﷻ: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾

- (حتى تموت، وتبعث): قال ابن حجر: مفهومه أنه يكفر حينئذٍ، لكنه لم يُرِد ذلك؛ لأن الكفر حينئذٍ لا يُتصور، فكأنه قال: لا أكفر أبدًا، والنكتة في تعبيره بالبعث تعيير العاص بأنه لا يؤمن به، وبهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل قوله هذا، فقال: علّق الكفر، ومن علّق الكفر كفر. ا.هـ.

- بوَّب البخاري علىٰ هذا الحديث: (باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟) ولم يجزم بالحكم لاحتمال أن يكون الجواز مقيدًا بالضرورة، أو أن ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومنابذتهم، وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه.

قال المهلب: كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين: أحدهما: أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله، والآخر: أن لا يعينه علىٰ ما يعود ضرره علىٰ المسلمين ا.هـ.

وقال ابن المنير: استقرت المذاهب علىٰ أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يُعَدّ ذلك من الذِّلة، بخلاف أن يخدمه في منزله وبطريق التبعية له ا.هـ.

- (﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [مريم:٧٧]): أسلوب تعجب واستنكار من موقف هذا الكافر؛ أي: أرأيت يا محمد أمر هذا الكافر بآيات الله، والجاحد بنعمه وآلائه، ما هو المصير الذي سينتظره، وما هي العاقبة التي ستناله جزاء موقفه؟!

- في الحديث سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[مريم:٧٧]..الآيات، وهي تخاطب كل من كفر بآيات الله وجحد نعمه، وتجبر وتكبر علىٰ خالقه ورازقه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

سُورَةُ الْحَجِّ

بَابٌ: قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾

١٤٧٤ ـ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ.

• (وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

سُورَةُ النُّورِ

بَابٌ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾

١٤٧٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ،

ـ ١٦٣ ـ

المفردات

- بَرَزُوا يوم بَدْرٍ: من المبارزة وهي المقاتلة بالسيف ونحوه.
- يَجْثُو: أي: يقعد على ركبتيه مخاصمًا.
- غَزَاةٍ غَزَاها: هي غزوة بني المصطلق.
- هَوْدَج: الهودج: مَحْمِلٌ له قبة تُستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير، يركب عليه النساء ليكون أستر لهنَّ.
- وقَفَلَ: أي: رجع من غزوته.
- آذَن ليلة بالرَّحِيل: أي: أَعْلَمَ بالرحيل.
- فَمَشَيْتُ حتى جَاوزت الجيش: أي: لتقضي حاجتها منفردة.
- جَزْع: خرز معروف في سواده بياض كالعروق.
- أَظْفَار: نوع من القسط، وفي رواية: (ظَفَار) وهي مدينة باليمن، وقيل: جبل.
- العُلْقَة: أي: القليل.

الفوائد

سورة الحج

• بابٌ: قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾

* حديث قيس بن عباد:

- فيه سبب نزول قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[الحج:١٩] وقيل: نزلت في أهل الكتاب والمسلمين، وقيل: نزلت في الكفار والمؤمنين، ولا تعارض بين ذلك كله وبين حديث الباب؛ لأن الذين تبارزوا ببدر كانوا فريقين: مؤمنين وكفار؛ ولأن الآية إذا نزلت في سبب من الأسباب لا يمتنع أن تكون عامة في نظير ذلك السبب.
- وفيه جواز المبارزة خلافًا لمن أنكرها كالحسن البصري، وشَرَطَ الأوزاعي والثوري وأحمد للجواز إذن الأمير على الجيش، وفيه فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم.

* حديث علي رضي الله عنه:

- (أول من يجثو): المراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة؛ لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام كما في حديث قيس بن عباد أنها كانت يوم بدر. وفيه منقبة ظاهرة لعلي رضي الله عنه.

سورة النور

• بابٌ: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾

- (أقرع بين أزواجه): فيه مشروعية القرعة، وفيه استحباب إقراع الرجل بين أزواجه عند السفر، ويجوز له تعيين إحداهن بالسفر أو البقاء لمصلحة.
- (بعد ما أُنزل الحجاب): أي: بعد ما أُنزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يُمنعن، وهذا قالته توطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه، وهم يظنون أنها فيه.
- (فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثِقَلَ الهودج): وفي رواية: (خفَّة الهودج) وهو أوضح؛ لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه، فكأنها تقول: كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت ذلك بقولها: (وكنت جارية حديثة السن) فمع نحافتها صغيرة السن، وذلك أبلغ في خفتها.
- وفيه أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها، والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج، بحيث أنها لم تكن فيه وهو يظنون أنها فيه، وكأنهم جوَّزوا أنها نائمة.

فَاحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ - وفي رواية: حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ -، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ (وفي رواية: ثُمَّ يَنْصَرِفُ)، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا، لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ! أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ (وفي رواية معلقة: فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي كَأَنَّ الَّذِي خَرَجْتُ لَهُ لَا أَجِدُ مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا)، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ؟

- ١٦٤ -

المفردات

- **فَأَمَمْتُ**: أي قَصَدتُ.
- **سَوَادَ إِنْسَانٍ**: أي: شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أم امرأة.
- **فَخَمَّرتُ وجهي**: أي: غطيت وجهي.
- **بِجِلْبَابِي**: أي: الثوب الذي كان عليها.
- **مُعَرِّسِين**: التَّعريس: نزول المسافر في آخر الليل، وقد استعمل في النزول مطلقًا، وهو المراد هنا.
- **نَحْرِ الظَّهِيرَة**: أولها وهو وقت شدة الحر.
- **تَوَلَّى الإِفْكَ**: أي: تصدىٰ لذلك الكذب وتقلَّده.
- **يُفِيضُونَ**: أي: يَخُوضُون.
- **نَقِهْتُ**: الناقِه: الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته.
- **قِبَلَ المَنَاصِعِ**: أي: جهتها، والمناصع: صعيد أفيح خارج المدينة.
- **مُتَبَرَّزُنَا**: أي: موضع لقضاء الحاجة.
- **الكُنُف**: جمع كنيف، وهو الساتر، وهو المكان المتخذ لقضاء الحاجة.
- **التَّنَزُّه**: أي: طلب النزاهة، والمراد: البعد عن البيوت.
- **مِرْطِهَا**: كساء من خزٍّ أو صوف أو غيره.
- **تَعِسَ مسطح**: أي: كُبَّ لوجهه، أو هلك، وقيل غير ذلك.
- **يا هَنْتَاه**: أي: هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهاء، كأنها نسبتها إلىٰ قلة المعرفة بمكايد الناس.

الفوائد

- **(وكنت جارية حديثة السن)**: هو كما قالت ﵂؛ لأنها أُدخلت علىٰ النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين، وأكثر ما قيل في المريسيع أنها كانت في شعبان سنة ست، فتكون لم تُكْمِل خمس عشرة، وإن كانت المريسيع قبل ذلك، فتكون أصغر من ذلك.
- **(فجئت منزلهم وليس فيه أحد)**: لأنها لم تستصحب أحدًا معها لترسله إذ تأخرت للبحث عن العقد لينتظروها، وهذا مما يستفاد من قولها: (حديثة السن)؛ لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك تستصحب معها غيرها إذا خرجت، وقد وقع لها ضياع العقد بعد ذلك فأعلمت النبي ﷺ بأمره فقام بالناس علىٰ غير ماء حتىٰ وجدته، ونزلت آية التيمم بسبب ذلك، فظهر تفاوت حال من جرَّب الشيء ومن لم يجرِّبه.
- **(من وراء الجيش)**: قال ابن حجر: وقع في حديث ابن عمر ﵄ بيان سبب تأخر صفوان ﵁، ولفظه: (سأل النبي ﷺ أن يجعله علىٰ الساقة، فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فمن سقط له شيء أتاه به). ا.هـ.
- **(فاستيقظت باسترجاعه)**: أي: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكأنه شقَّ عليه ما جرىٰ لعائشة ﵂، أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفىٰ بالاسترجاع رافعًا به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وفيه دلالة علىٰ فطنة صفوان ﵁ وحسن أدبه.
- **(فوطئ يدها)**: أي: ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج لمسها عند ركوبها، وفي حديث أبي هريرة ﵁: (فغطىٰ وجهه عنها ثم أدنىٰ بعيره منها).
- **(فهلك من هلك)**: أشارت بذلك إلىٰ الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك، وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحة عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.
- **(فقالت: تعس مسطح)**: قال ابن أبي جمرة: يُحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمدًا لتتوصل إلىٰ إخبار عائشة ﵂ بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقًا أجراه الله ﷻ علىٰ لسانها لِتستيقظ عائشة ﵂ من غفلتها عما قيل فيها ا.هـ.

فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ. ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَذِنَ لَهَا، (وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾) ـ. قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ! هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟ (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ. فَاسْتَعْبَرْتُ وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ لِأُمِّي: مَا شَأْنُهَا؟ قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذُكِرَ مِنْ شَأْنِهَا. فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ أَيْ بُنَيَّةُ إِلَّا رَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ! فَرَجَعْتُ). قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ؛ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: **يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ**؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. ـ وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): وَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اصْدُقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ! حَتَّى أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ! وَاللهِ مَا عَلِمْتُ

- ١٦٥ -

المفردات

- **وَضِيئَة**: من الوضاءة، أي: حسنة جميلة، وعند مسلم: (حَظِيَّة) من الحظوة أي: رفيعة المنزلة.
- **ضَرَائِر**: جمع ضَرَّة، وقيل للزوجات ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرىٰ بالغيرة.
- **أَكْثَرن عليها**: أي: القول في عيبها.
- **لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ**: أي: لا ينقطع.
- **ولا أَكْتَحِلَ بنوم**: استعارة للسهر.
- **اسْتَلْبَث الوحيُ**: بالرفع أي: طال لبث نزوله، وبالنصب (الوحيَ) أي: استبطأ النبي ﷺ نزوله.
- **أَغْمِصُهُ**: أي: أُعيبه.
- **الدَّاجِن**: هي الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلىٰ المرعىٰ، وقيل: كل ما يألف البيوت مطلقًا شاة أو طيرًا.
- **حتى أسقطوا لها به**: أي صرحوا لها بالأمر.

الفوائد

- **(ولها ضرائر إلا أكثرن عليها)**: أرادت أمها أن تهون عليها مصابها، فأعلمتها أنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسىٰ بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيِّب به خاطرها من أنها فائقة الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلىٰ ما وقع من حَمنة بنت جحش رضي الله عنها حَميَّة لأختها زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، رغم ما وقع من زينب رضي الله عنها من الورع الذي منعها من الكلام في عائشة رضي الله عنها، كما منع أمهات المؤمنين، وإنما خُصت زينب بالذكر لأنها هي التي كانت تُسامي عائشة في المنزلة، وفيه تعزية المصاب بكلام يناسبه ويريح خاطره.
- **(أهلك يا رسول الله)**: وفي رواية عند مسلم: (هم أهلُك) أي: العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرِّئًا من المشورة، ووكل الأمر إلىٰ رأي النبي ﷺ، ثم لم يكتفِ بذلك حتىٰ أخبره بما عنده فقال: (ولا نعلم إلا خيرًا).
- **(لم يضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير)**: قال النووي: رأىٰ ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأىٰ من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإراحة خاطره ا.هـ. وفيه حب علي رضي الله عنه للنبي ﷺ، وفيه أن الحميَّة لله ولرسوله لا تُذم، لأنه أشار علىٰ النبي ﷺ بفراقها رعاية لجناب النبي ﷺ.

وقال ابن أبي جمرة: لم يجزم علي رضي الله عنه بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقَّب ذلك بقوله: (وسل الجارية تصدقك) ففوض الأمر في ذلك إلىٰ النظر إلىٰ النبي ﷺ ا.هـ. وفيه استشارة الفاضل للمفضول، وأن الاستشارة سنة نبوية.

- **(جارية حديثة السِّنِّ تنام عن العجين..)**: قال ابن المنيِّر: هذا من الاستثناء البديع الذي يُراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رُميت به، وأقرب إلىٰ أن تكون من الغافلات المؤمنات ا.هـ.

وقد ورد التصريح من بريرة بنفي العيب عن عائشة رضي الله عنها كما في رواية الباب: (ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ علىٰ تبر الذهب الأحمر) وفي رواية عند الطبري: فقالت الجارية الحبشية: (والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله، قالت: فعجب الناس من فقهها).

- **(فقالت: سبحان الله!)**: فيه قول سبحان الله عند التعجُّب، ومشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب، وتوجيهه هنا أنه ﷺ يُنزه أن يحصل لقرابة رسول الله ﷺ تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا.

عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تِبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ -. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ - وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): خَطِيبًا، فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي** -، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: - وَفِي رِوَايَةٍ: **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ** -، **مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي** - وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): **وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي** -. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَاللهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ (قَبْلَ ذَلِكَ) رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ -، فَقَالَ: كَذَبْتَ! لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ! وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا - وَفِي رِوَايَةٍ: أَنْ يَقْتَتِلُوا -، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ. وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، (حَتَّى أَظُنُّ) - وَفِي رِوَايَةٍ: يَظُنَّانِ - أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ. قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: **يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ**

-١٦٦-

المفردات

- فَاسْتَعْذَرَ: أي: طلب من يعذره منه، أي: ينصره.
- احْتَمَلَتْهُ الحميَّة: أي: أَغْضَبَتْه.
- لَعَمْرُ الله: العَمْر: هو البقاء، وهو العُمر بضمها، لكن لا يستعمل في القَسَم إلا بالفتح.

الفوائد

- (فقام سعد بن معاذ..): في رواية ابن إسحاق أن القائل هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه، وقد حقق ذلك ابن القيم وابن الجوزي؛ لأن سعد بن معاذ رضي الله عنه مات إثر غزوة بني قريظة عقب غزوة الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح، وحديث الإفك كان في غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، وكانت سنة ست على قول الجمهور.
- (وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا): أي: كامل الصلاح، وفي رواية الواقدي: (وكان صالحًا لكن الغضب بلغ منه) ومع ذلك لم تَغْمَصْ عليه في دينه، وفيه ورع عائشة وإنصافها رضي الله عنها.
- (فإنك منافق تجادل عن المنافقين): أطلق أسيدٌ ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله، وأراد بقوله: (فإنك منافق) أي: تصنع صنيع المنافقين، وفسره بقوله: (تجادل عن المنافقين).
- لم يرد سعد بن عبادة رضي الله عنه الرضا بما نُقل عن عبد الله ابن أُبي، وإنما بمعنى قول عائشة رضي الله عنها: (وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا) أي: لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الجاهلية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين.

قال ابن حجر: وقد اعتذر المازَرِيُّ عن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة رضي الله عنهما: (إنك منافق) أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنَق والمبالغة في زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أبي وغيره، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، قال: ولعله ﷺ إنما ترك الإنكار عليه لذلك ا.هـ.

- فيه نصرة الأنصار للرسول ﷺ، وفيه خطر الحميَّة، وفيه التغليظ على من وقف مع أهل الباطل وإن كان حميَّةً، وفيه أن كل ابن آدم خطاء، ومنهم الصحابة، وفيه أن الإحجام عن نصرة النبي ﷺ من النفاق.
- (فجلست تبكي معي): فيه فضل هذه الصحابية الجليلة رضي الله عنها ومؤازرتها لأم المؤمنين رضي الله عنها في محنتها، وقد ضربت أروع الأمثلة في المساندة والمؤازرة وقت المصائب بين المسلمين، وهذا من مقتضيات الإيمان وما تستلزمه الأخوة بين المؤمنين من التراحم والتعاطف كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). واستحباب إظهار ذلك التعاطف عند المصائب لأن فيه تسلية للمصاب ومشاركته في حزنه وألمه مما يخفف عنه، ولذلك ورد في بعض الروايات أن عائشة رضي الله عنها قالت: (لا أنساها لها) اعترافًا بفضلها وحفظًا لمعروفها رضي الله عنها.
- (فتشهد ثم قال..): قال ابن حجر: وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء ا.هـ.
- (فإن كنتِ بريئة فسيبرِّئكِ الله): أي: بوحي ينزله بذلك قرآنًا أو غيره، يقينًا بعدل الله ورحمته بأوليائه، ونصرة المظلوم، وردًّا لكيد المنافقين، وبراءة لبيت النبوة من هذا البهتان والإفك المبين.
- فيه حزم الرجل مع أهله، والتقصير في الملاطفة معهن عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق؛ لئلا يُظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حق أهله؛ لأن ذلك من خوارم المروءة، وفيه البحث والتنقيب على الأمر القبيح إذا أُشيع، وتعرُّف صحته أو فساده، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين.

كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ اذا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ. (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: فَقُلْتُ: أَلَا تَسْتَحِي مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا؟)، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ! قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ! قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: فَلَمَّا لَمْ يُجِيبَاهُ تَشَهَّدْتُ فَحَمِدْتُ اللهَ، وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ!) إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ - وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُنِّي! وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾. ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللهُ، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ، فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: **يَا عَائِشَةُ! (احْمَدِي اللهَ)؛ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ**. (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: قَالَتْ: وَكُنْتُ أَشَدَّ مَا كُنْتُ غَضَبًا). فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ لَا أَقُومُ

- ١٦٧ -

المفردات

- **أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ**: أي: وقع منك على خلاف العادة.
- **قَلَصَ دَمْعِي**: أي: استمسك نزوله فانقطع.
- **ما رَامَ مَجْلِسَه**: أي: ما فارق مجلسه.
- **البُرَحاء**: هو شدة الكرب.
- **الجُمَان**: اللؤلؤ، فشبَّهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابهتها في الصفاء والحسن.
- **يَومٍ شَاتٍ**: أي في زمن الشتاء.
- **سُرِّي**: أي: كُشف.

الفوائد

- **(فاستغفري الله وتوبي إليه)**: أهمية التوبة والاعتراف بالذنب، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وفيه عدم محاباة النبي ﷺ لأهله.

- **(وقلت لأبي: أَجِبْ عني رسول الله ﷺ)**: كأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر رضي الله عنه بقوله: (لا أدري)؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى؛ ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها: (لا أدري)، وفيه تَثَبُّت أبي بكر في الأمور مع علمه بحسن طريقة ابنته وقوله كما ورد في بعض طرق الحديث: (والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام؟).

- **(وأنا جارية حديثة السِّن، لا أقرأ كثيرًا من القرآن)**: قالت هذا توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام.

- **(وصدقتم به)**: وفي رواية: (لقد تكلمتم به وأُشْرِبته قلوبكم) قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وقد اعتقدت أنه ينبغي لكل من سمع بذلك أن يقطع بكذبه؛ لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها، ويُعتذر عنهم بأنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم بذلك، ولا يكفي مجرد التكذيب والسكوت عليه، بل تعيَّن قطع شبهتهم، أو يكون مرادها بمن صدَّق من أصحاب الإفك، ولكن ضمت إليهم من لم يكذبهم تغليبًا.

وفيه وجوب دفع المؤمن عن نفسه وعدم اعترافه على نفسه بما لم يفعله وإن كذبه الناس.

- **(إلا أبا يوسف)**: وفي رواية بزيادة: (واختُلس مني اسمه) وفي رواية: (نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف) وفيه أن الهم والحزن سبب لنسيان العلم. وفيه الاستعانة بالله عند حلول المصائب، والصبر على البلاء وأقدار الله المؤلمة.

- **(وأنا أرجو أن يُبرِّئني الله)**: فيه إيمان عائشة رضي الله عنها وحسن ظنها بربها، وعلمها وفضلها رضي الله عنها وأرضاها.

- **(ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري)**: فيه من مهمات الأدب: إزدراء الإنسان لنفسه وهضمه لها، وفيه نصرة الله ﷻ لأوليائه، وأن مع العُسر يسرًا، ومع الشدة فرجًا، ومن الكرب يجعل الله مخرجًا، وأن البلايا قد يكون في باطنها خيرًا كثيرًا، فبهذا الابتلاء ظهر قدر عائشة رضي الله عنها وعفتها وعناية الله ﷻ ولطفه بها.

- **(يا عائشة احمدي الله؛ فقد برأك الله)**: فيه استحباب تبشير المسلم، والضحك والسرور إذا وجد ما يقتضيه، وإسناد الفضل والخير إلى الله والحث على حمده عند تجدد النعم.

- فيه إظهار براءة عائشة رضي الله عنها وخطأ اعتقاد بعض الناس: أنه ما من شائعة إلا وفيها نسبة من الصحة، فحادثة الإفك رغم انتشارها وإشاعة المنافقين لها إلا أنها كانت إفكًا وبهتانًا من أصلها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾[النور:١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦] وفيه أدب للمسلم ألا يتكلم في أعراض الناس إلا لمصلحة شرعية وبعد التثبت مما يقول، لا بمجرد الهوى والانسياق وراء شائعات؛ لأن الأمر عند الله عظيم كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور:١٥].

إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: وَلَا أَحْمَدُهُ، وَلَا أَحْمَدُكُمَا، وَلَكِنْ أَحْمَدُ اللهَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي؛ لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ، فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ، وَلَا غَيَّرْتُمُوهُ). فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ الْآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ـ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ ـ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: **يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟** فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ! قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

• (وَفِي حَدِيثِ أُمِّ رُومَانَ ـ وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ رضي الله عنهما ـ: قَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَأَبُو بَكْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ، فَطَرَحْتُ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، فَغَطَّيْتُهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: **مَا شَأْنُ هَذِهِ؟** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخَذَتْهَا الْحُمَّى بِنَافِضٍ. قَالَ: **فَلَعَلَّ فِي حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ؟** قَالَتْ: نَعَمْ).

(١) وَلِمُسْلِمٍ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ.

- ١٦٨ -

المفردات

- **وَلَا يَأْتَلِ**: أي: ولا يُقسم.
- **أَحْمِي سَمعي وبَصري**: أي: من الحماية، فلا أَنسُبُ إليها ما لم أسمع وأبصر.
- **تُساميني**: أي: تعاليني، من السُّمو: وهو العلو والارتفاع.

أي: تطلب من الحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن لزينب رضي الله عنها من المكانة عند النبي ﷺ مثل التي لها.

- **فَعَصَمَها الله**: أي: حفظها ومنعها.
- **بالوَرَع**: أي: بمحافظتها علىٰ دينها ومجانبة ما تخشىٰ من سوء عاقبته.
- **وَطفِقَت**: أي: شرعت أو جعلت.
- **تُحارب لها**: أي: تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتخفض منزلة عائشة رضي الله عنها، وتعلو مرتبة أختها زينب رضي الله عنها.
- **فهلكت فيمن هلك**: أي: حُدَّت فيمن حُدَّ، أو أثمت مع من أثم.
- **حُمَّى بنافض**: أي: بِرَعْدَة.
- **كَنَفِ أُنْثَىٰ**: أي: ثوبها الذي يسترها، وكنَّىٰ هنا بذلك عن الجماع.

الفوائد

- **(ولا أحمدُ إلا الله)**: وفي رواية: (وكنت أشدَّ ما كنت غضبًا) وفيه عذرها في إطلاق ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب، من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها. قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالًا كما يُدِلُّ الحبيب علىٰ حبيبه ا.هـ.
- **(فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾[النور:١١])**: لم يقع من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك، بأوجز عبارة وأشبعها؛ لاشتماله علىٰ الوعيد الشديد، والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة، وأساليب مُتقنة، كلٌّ واحدٍ منها كافٍ في بابه، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير مَنْ هو منه بسبيل.
- **(فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه..)**: فيه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجودًا؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه، وفيه أن ظلم ذوي القربىٰ أشد علىٰ المرء وأبلغ من غيره.
- **(فقال أبو بكر: بلى والله)**: فيه انقياد الصديق رضي الله عنه للحق، وخضوعه لأمر الله ﷻ، وفيه فضل العفو عن الناس، وفضل صلة الرحم ببذل المال، وأن من حلف ألا يفعل شيئًا من الخير استُحب له الحِنث، ويكفر عن يمينه.
- في الحديث براءة عائشة رضي الله عنها من هذا البهتان، وقد أجمع أُلو العلم قاطبة من أهل السنة والجماعة علىٰ أن من سبَّ أم المؤمنين صاحبة الطهر المبين رضي الله عنها وأرضاها، ورماها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم، وقال النووي: براءة عائشة من الإفك هي براءة قطعية بنص القرآن الكريم، فلو تشكك فيها إنسان –والعياذ بالله– صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين، وقال ابن القيم: واتفقت الأمة علىٰ كفر قاذفها –أي عائشة رضي الله عنها وأرضاها–.
- **(ما كشفت من كنف أنثى قط!)**: صفوان رضي الله عنه لم يكن حصورًا، فهو الذي اشتكته امرأته إلىٰ النبي ﷺ؛ لأنه يجبرها علىٰ الإفطار إذا صامت، فلما سأله أخبره بأنه شاب لا يصبر، وهذا أظهر في بيان فضله، ولا يعارض هذا قوله: (ما كشفت من كنف أنثىٰ قط)؛ لأن ذلك كان قبل زواجه.
- في حادثة الإفك فضل عائشة رضي الله عنها وبراءتها في قرآن يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، وما أورثته الحادثة من تعلق قلبها بالله، والصبر علىٰ أقدار الله، وبيان لعظيم مكانتها، وفيها من الآداب العظيمة التي استفادتها الأمة ببركة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها وعن صحابة نبيه أجمعين.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾*

١٤٧٦ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً! فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، وَنَزَلَ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾

١٤٧٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**(١). ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

بَابُ قولِهِ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾*

١٤٧٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾، قَالَتْ: كَانَ ذَاكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله.

- ١٦٩ -

المفردات

- **لا تَقْنَطُوا**: أي: لا تيأسوا.
- **قُرَّةَ أَعْيُنٍ**: قرة العين يعبر بها عن المسرَّة، ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه، فتستقر به عينه ولا تطمح لسواه.
- **ذُخْرًا**: أي: جعلتُ ذلك لهم مذخورًا.
- **بَلْهَ ما اطلعتم عليه**: أي: دعْ ما أُطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادُّخر لكم.
- **زَاغَتِ الأَبْصَار**: مالت عن استقامتها حيرة ودهشة، وهو كناية عن شدة الخوف، لأن الخائف لا يستقر له بصر.
- **وبَلَغَتِ القُلوب الحَنَاجر**: الحناجر: جمع حنجرة، وهي جوف الحلقوم، والمراد: أن قلوبكم فزعت فزعًا شديدًا، حتىٰ لكأنها انتقلت عن أماكنها إلىٰ أعلىٰ حتىٰ قاربت أن تخرج من أفواهكم.

الفوائد

سورة الفرقان

• باب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾

- حديث الباب فيه سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الفرقان:٦٨] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣]، وفيه أن الشرك والزنا والقتل من كبائر الذنوب التي تستلزم التوبة، ولا تكفرها الحسنات، وفيه فضل التوبة إلىٰ الله ووجوبها، وأنها تمحو السيئات، وفيه الرجاء في رحمة الله وسعة فضله وواسع رحمته، وأنه لا يتعاظمه ذنب ﷻ، فيَغفر لمن تاب، ويبدل سيئاته حسنات؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠]، فهو سبحانه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

- استُدل بعموم قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر:٥٣] علىٰ غفران الذنوب جميعًا كبيرها وصغيرها، سواءٌ تعلقت بحقوق الآدميين أم لا، والمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة، وأنها تغفر لمن شاء الله ﷻ ولو مات علىٰ غير توبة، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلىٰ شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه أو محاللته منه. وفي سعة فضل الله ما يمكن أن يعوض صاحب الحق عن حقه، ولا يُعذب العاصي بذلك، ويرشد إليه عموم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

سورة السجدة

• باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾

- فلا تعلم نفس ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تقر به العين، وينشرح له الصدر، جزاءً لهم علىٰ أعمالهم الصالحة.

- (**يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين..**): الإضافة في قوله: (لعبادي) للتشريف، وفيه إكرام الله تعالىٰ لهؤلاء المؤمنين، وعند مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يرفعه وفيه: (قال الله: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر). قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] الآية.

- (﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ**﴾[السجدة:١٧]): نكرة في سياق النفي فتعُم، ويدخل فيها جميع النفوس، وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل). قال الحسن: أخفىٰ القوم أعمالًا فأخفىٰ الله تعالىٰ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

سورة الأحزاب

• باب قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾

- (﴿**مِّن فَوْقِكُمْ**﴾[الأنعام:٦٥]): أي: من فوق الوادي من قِبَل المشرق، وهم أسد وغطفان، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[الأحزاب:١٠]: أي: من بطن الوادي، من قِبَل المغرب، وهم قريش وكنانة.

- (**كان ذاك يوم الخندق**): يوم أرسل الله علىٰ الأحزاب ريحًا وجنودًا من عنده، فانهزموا ورجعوا خائبين، وكفىٰ الله المؤمنين القتال، بعد ما بلغ منهم الخوف مبلغًا عظيمًا، فأدركتهم رحمة الله، فنصر الله عبده، وهزم الأحزاب وحده.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بَابٌ: قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ الآيَةَ

١٤٧٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ (وَفِي رِوَايَةٍ: خَتَنٌ لَهُمَا)، كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا؛ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآيَةَ.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بَابٌ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

١٤٨٠ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ. (فَفَزِعْنَا)، فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَغَضِبَ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: اللهُ أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ. فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**. فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: مِنَ الْجُوعِ ـ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا؛ فَادْعُ اللهَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ؛ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ!

- ١٧٠ -

المفردات

- **تَسْتَتِرُونَ**: أي: تستخفون.
- **خَتَنٌ لَهُمَا**: الخَتَن: كل من كان من قِبَل المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت أو زوج الأخت، والأنثىٰ: خَتَنَة.
- **في كِنْدَة**: هو موضع بالكوفة، ويُحتمل أن الرجل كان يحدِّث بين قوم هم من كندة القبيلة المعروفة.
- **فَأَخَذَتْهُم سَنَة**: أي: أصابهم القَحْط.
- **جِئْتَ تأمر بِصِلَةِ الرَّحم**: يعني: والذين هلكوا بدعائك من ذوي رحمك، فينبغي أن تصل رحمك بالدعاء لهم.

الفوائد

سورة فُصِّلت

• **بابٌ: قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ الآية**

- قال ابن كثير: أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها علىٰ الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم تعتقدون أنه لا يعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت:٢٢-٢٣] أي هذا الظن الفاسد -وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون- هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٣] أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.

- **(كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم)**: فيه إشارة إلىٰ أن الفطنة قلما تكون مع البطنة، قال الشافعي: ما رأيت سمينًا عاقلًا إلا محمد بن الحسن.

- **(إن كان يسمع إذا جهرنا؛ فإنه يسمع إذا أخفينا)**: أي: لأن نسبة جميع المسموعات إليه واحدة. قال ابن بطال: في الحديث إثبات القياس الصحيح، وإبطال القياس الفاسد؛ لأن الذي قال: (يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إذا أخفينا) قاس قياسًا فاسدًا؛ لأنه شبَّه سمع الله تعالىٰ بأسماع خلقه الذين يسمعون الجهر ولا يسمعون السر، والذي قال: (إن كان يسمع إذا جهرنا؛ فإنه يسمع إذا أخفينا) أصاب في قياسه حيث لم يشبِّه الله تعالىٰ بخلقه، ونزَّهه عن مماثلتهم، وإنما وصف الجميع بقلة الفقه؛ لأن هذا الذي أصاب لم يعتقد حقيقة ما قاله، بل شك بقوله: (إن كان). ا.هـ.

- **(﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾[فصلت:٢٢])**: الآية الكريمة فيها توبيخ للمشركين علىٰ جهالتهم وسوء أدبهم مع ربهم، حيث ظنوا أن الله تعالىٰ لا يعلم الكثير من أعمالهم، وتُنبِّه المؤمنين إلىٰ أنه من الواجب عليهم أن يعلموا أن الله تعالىٰ قد أحاطهم علمًا، ولا يخفىٰ عليه شيء من أقوالهم وأفعالهم، وأنه سبحانه يعلم السر وأخفىٰ.

- في الحديث سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فصلت:٢٢] الآية، وفيه بيانٌ لعقائد المشركين الفاسدة، وفيه تنبيه علىٰ إثبات علم الله المحيط الشامل، وإثبات السمع والبصر لله عز وجل علىٰ الوجه اللائق به، وأن صفاته لها الكمال المطلق، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

سورة الدخان

• **بابٌ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾**

- حديث الباب فيه تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لآية الدخان بما كان حصل لقريش من شدة الجوع بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله ﷺ، وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه في هذا التفسير جماعة من السلف: كمجاهد وإبراهيم النخعي والضَّحاك، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

وقد ذهب علي وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم وكثير من التابعين إلىٰ أن آية الدخان من الآيات المنتظرة، وهو اختيار ابن كثير رحمه الله، ويؤيده ما ورد عن علي رضي الله عنه عند عبد الرزاق قال: (آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ويَنْفُخُ الكافر حتىٰ ينقدَّ) أي: ينشقَّ، وكذلك ما ورد عند مسلم عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: (لا تقوم الساعة حتىٰ تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان..) الحديث. قال النووي رحمه الله: ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار. ا.هـ.

المفردات

- **الرَّفَاهِيَة**: أي: التوسع والراحة.
- **البَطْشَة**: هي يوم بدر.
- **الحُجُرات**: جمع حُجرة، وهي بيوت نساء النبي ﷺ.
- **مُنَكِّسًا**: أي: مطرقًا إلى الأرض في حزن.

الفوائد

- **(لِمُضَرَ؟ إنك لجريء!)**: أي: تأمرني أن أستسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك بالله؟! ولعل أبا سفيان عدل في سؤاله عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم فيُذَكَّر بجرمهم، فقال: (لمُضر) ليندرجوا فيهم، وقد فطِن النبي ﷺ لذلك.
- **(أَفَيُكشَف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا..)**: أي: بخلاف القحط فإنه يُكشف بدعائه كشفًا قليلًا. ردَّ ابن مسعود رضي الله عنه بذلك على من قال أن الدُّخان في الآية يُراد به: (دخان يجيء يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم).
- **(فذلك قوله تعالى)**: أي: سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[الدخان:١٦] يوم بدر.
- **(﴿لِزَامًا﴾)**: في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[الفرقان:٧٧] أي: فسوف يكون تكذيبكم أيها الكافرون لزامًا لكم، يعني: مقتضيًا لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره ابن مسعود رضي الله عنه في حديث الباب.

سورة الحجرات

• **بابٌ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية**

- أخرج البخاري في صحيحه سبب نزول هذه الآية من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (أنه قدمَ ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن مَعْبَد بن زُرَارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾[الحجرات:١] حتى انْقَضَت)، وقد تعددت أسباب النزول في سورة الحجرات حسب مناسبة الآيات.
- اشتملت سورة الحجرات على آداب عظيمة، وتوجيهات وإرشادات جليلة تنظم حياة المجتمع المسلم على الأخلاق الرفيعة والمنهج القويم في التعامل بين المسلمين وبين نبيهم ﷺ، وبينهم وبين بعضهم البعض؛ ولعنايتها بالأخلاق والآداب سُميت بسورة الأخلاق.
- من الآداب التي حثت عليها هذه السورة الجليلة أدب الحديث مع النبي ﷺ، حيث نهى الله ﷻ المسلمين عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، كما نهاهم عن مناداته باسمه كما ينادي بعضهم بعضًا احترامًا وتوقيرًا له ﷺ.

قَالَ: لِمُضَرَ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ! فَاسْتَسْقَى؛ فَسُقُوا. (وَفِي رِوَايَةٍ مُعَلَّقَةٍ: فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، وَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ؛ قَالَ: **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا**. فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقُوا النَّاسُ حَوْلَهُمْ) ـ. فَقَرَأَ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَآئِدُونَ﴾ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ ـ، أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ؟ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ، وَ﴿لِزَامًا﴾ (يَوْمَ بَدْرٍ).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: اللِّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ، وَالدُّخَانُ[1].

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بَابٌ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الْآيَةَ

١٤٨١ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، (فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ)[2]. فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ! كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ[3].

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: قَالَ: مَصَائِبُ الدُّنْيَا، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ أَوِ الدُّخَانُ. شُعْبَةُ الشَّاكُّ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: **يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشْتَكَى؟** قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى...

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: وَكَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ.

- ١٧١ -

- **(افتقد ثابت بن قيس)**: أي ابن شمَّاس خطيب رسول الله ﷺ، وفيه حرص النبي ﷺ ومحبته لأصحابه، وتفقد من غاب منهم.
- **(فقال رجل: يا رسول الله)**: هو سعد بن معاذ رضي الله عنه؛ لرواية مسلم: (فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ..) الحديث، وفيه استحباب تفقُّد الجار جارَه؛ لقول سعد رضي الله عنه في رواية مسلم: (إنه لجاري، وما علمت عليه شكوى).
- **(كان يرفع صوته)**: هكذا ذكره أنس رضي الله عنه بلفظ الغَيبة، وهو التفات، وكان السياق يقتضي أن يقول: (كنت أرفع صوتي)، والالتفات أُسلوب بلاغي يستعمل لتنشيط السامع ولفت انتباهه، واستُعمل هنا لئلا ينسب الراوي الكلام إلى نفسه، من كونه حبط عمله وأنه من أهل النار، وهو من الأدب.
- **(فقد حبط عمله وهو من أهل النار)**: ظن ثابت بن قيس رضي الله عنه أنه هو المقصود بقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:٢] وأن عمله قد حَبِط، وذلك لأن صوته كان مرتفعًا خلقةً، فظن أنه هو المقصود بالوعيد في الآية.
- في الحديث منقبة لثابت بن قيس رضي الله عنه وفيه ورعه ووقوفه عند حدود الله ﷻ، ومحاسبته لنفسه، وشفقته من معصية الله ﷻ وحزنه حتى حبسه ذلك عن الخروج من بيته.

المفردات

- مُـدَّكِر: اسم فاعل من ادَّكَرَ، وادَّكَر الشخص الموعد؛ أي استحضره في ذهنه واسترجعه بعد نسيان.
- نَفَرٌ مِنَ الجِن: النَّفر: من ثلاثة إلىٰ عشرة من الرِّجال.
- عَامِدِين: أي: قاصدين.
- سُوق عُكَاظ: هو موسم معروف للعرب، كان من أعظم مواسمهم وهو نخلٌ في وادٍ بين مكة والطائف؛ وهو إلىٰ الطائف أقرب.
- حِيلَ: أي: حُجِزَ ومُنِع.
- الشُّهب: نجم مضيء لامع في السماء، فإذا دخل جو الأرض اشتعل وصار رمادًا.
- ما حَالَ بينكم وبين خَبَرِ السَّماء إلا..: الذي قال لهم ذلك هو إبليس كما عند الترمذي.
- فاضْرِبُوا مَشَارِق الأرض ومغاربها: أي: سيروا فيها كلَّها.
- تِهَامَة: اسم لكل مكان غير عالٍ من بلاد الحجاز، سُميت بذلك لشدة حرها اشتقاقًا من التَّهم: وهو شدة الحر وسكون الريح، وقيل: من تَهِمَ الشيء: إذا تغيَّر، قيل لها ذلك لتغير هوائها.
- بِنَخْلَة: موضع بين مكة والطائف.

الفوائد

- (ولكن من أهل الجنة): فيه فضيلة ثابت بن قيس ﵁ وبشارته بالجنة، وفيه استحباب تبشير المسلم وإدخال السرور علىٰ قلبه، وإزالة ما يكدره.

سورة القمر

• باب: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

- (﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٥]): قال ابن حجر: تكرر في هذه السورة قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ بحسب تكرُّر القصص من أخبار الأمم؛ استدعاءً لأفهام السامعين ليعتبروا. ا.هـ.

قال السعدي ﵀ في تفسير هذه الآية: أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، وألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم؛ لأنه أحسن الكلام لفظًا، وأصدقه معنىً، وأبينه تفسيرًا، فكل من أقبل عليه، يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه. والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم وأجلها علىٰ الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أُعين عليه.

قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيُعان عليه؟ ولهذا يدعو الله عباده إلىٰ الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٥]. ا.هـ.

سورة الجن

• باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾

- (انطلق النبي ﷺ): قال ابن حجر: كذا اختصره البخاري هنا،

فَأَتَى الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: (اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ)[(١)] مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ[(٢)].

سُورَةُ الْقَمَرِ

بَابٌ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

١٤٨٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: (قَرَأْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَهَلْ مِنْ مُذَّكِرٍ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

سُورَةُ الْجِنِّ

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾

١٤٨٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ:[(٣)] انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ! قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ؛ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ

(١) وَلِمُسْلِمٍ: بَلْ هُوَ...

(٢) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمْ.

ـ ١٧٢ ـ

وأخرجه أبو نعيم في المستخرج فزاد في أوله: (ما قرأ رسول الله ﷺ علىٰ الجن ولا رآهم، انطلق..) إلىٰ آخره، وهكذا أخرجه مسلم، فكأن البخاري حذف هذه اللفظة عمدًا؛ لأن ابن مسعود ﵁ أثبت أن النبي ﷺ قرأ علىٰ الجن ا.هـ.

- (وأُرسلت عليهم الشهب): قال عياض ظاهر الحديث أن الرَّمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين وطلبهم سببَه، ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعًا إليها في حكمهم، حتىٰ قُطع سببَها بأن حِيل بين الشياطين وبين استراق السمع كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٩] وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ. وقال: وقال بعضهم: لم تزل الشُّهب يُرمىٰ بها مُذ كانت الدنيا، واحتجوا بما جاء في أشعار العرب من ذلك ا.هـ. (باختصار).

- وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن]: أن الشهب كانت ترمي الشياطين فتصيب تارة ولا تصيب أخرىٰ، وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة صيانة وحفظًا لما كان ينزل علىٰ النبي ﷺ من الكتاب والحكمة، فوصفوها لذلك بالرَّصد؛ لأن الذي يرصد الشيء لا يخطئه، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها.

المفردات

- آذَنَ: أي: أعلم.
- يُعَالِجُ: المُعَالَجة: محاولة الشيء بمشقة.
- المُطَفِّفِين: التطفيف هو البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضىٰ من الناس، وإما النقصان إن قضاهم.

الفوائد

- (وقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[الجن:١]): قال الماوَرْدي: ظاهر هذا أنهم آمنوا عند سماع القرآن، قال: والإيمان يقع بأحد أمرين: إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول، أو يكون عنده علمٌ من الكتب الأولىٰ فيها دلائل علىٰ أنه النبي المبشَّر به، وكلا الأمرين في الجن محتمل، والله أعلم. ا.هـ.

- (وإنما أوحي إليه قول الجن): هذا كلام ابن عباس رضي الله عنهما، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولًا أنه لم يجتمع بهم، وإنما أوحي إليه بأنهم استمعوا، ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا، أن لا يكون قد اجتمع بهم بعد ذلك، ويؤيد ذلك ما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: (أتاني داعي الجن، فانطلقت معه، فقرأت عليه القرآن..) ويمكن الجمع بالتعدد.

- في الحديث إثبات وجود الجن والشياطين، وأنهما لمسمًّىٰ واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، وفيه أن صلاة الجماعة شُرعت قبل الهجرة، وفيه: مشروعيتها في السفر، وفيه الجهر بالقراءة في صلاة الصبح.

- وفيه أن الاعتبار بما قضىٰ الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن الذين أرسلهم إبليس لينظروا الذي حال بينهم وبين خبر السماء لو لم يكونوا عنده في أعلىٰ مقامات الشر ما اختارهم، ومع ذلك غلب عليهم ما قضىٰ لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون.

* حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود:

- (أنه آذنت بهم شجرة): ولا منافاة بينه وبين أنه أُعلِم بالوحي، إذ يُحتمل أن الشجرة آذنت بحضورهم إجمالًا، والقرآن أخبره ﷺ بنوع من التفصيل ببيان ما جرىٰ فيما بينهم، وكان في إعلام الشجرة وإيمان الجن نوع تسلية للنبي ﷺ؛ لأن ذلك وقع -كما قيل- في رجوعه من الطائف وكان حزينًا كسير القلب لما لاقاه من أهل الطائف من رد دعوته وإيذائه ﷺ.

سورة القيامة

• بابٌ: قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾

- (يعالج من التنزيل شدَّة): هذه الجملة توطئة لبيان السبب في النزول، وكانت الشدة تحصل له عند نزول الوحي لثقل

السَّمَاءِ. فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾. فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، (وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ).

١٤٨٤ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ مَسْرُوقًا: مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُوكَ ـ يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ رضي الله عنه ـ: أَنَّهُ آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بَابٌ: قَوْلُهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾

١٤٨٥ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ (وَفِي رِوَايَةٍ: يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ)، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ، ثُمَّ تَقْرَؤُهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ، وَأَنْصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

١٤٨٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ

- ١٧٣ -

القول كما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: (فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء). فكان يعالج شدة من أجل تحفُّظه، فلما نزلت صار يستمع، فإذا ذهب الملك قرأه كما سمعه.

- (يحرِّك شفتيه): وفي رواية الترمذي: (يحرك به لسانه يريد أن يحفظه): وفي رواية الطبري عن الشعبي: (عَجِلَ أن يتكلم به من حبِّه إياه) وكلا الأمرين مُراد، ولا تنافي بين محبته إياه والشدة التي تلحقه في ذلك.

فأمر أن يُنْصِت حتىٰ يُقضىٰ إليه وحيُه، وَوُعِد بأنه آمنٌ من تفلُّته منه بالنسيان أو غيره.

- (﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٩]): قال ابن عباس: (أن نُبيِّنه علىٰ لسانك)، ويحتمل أن يُراد بالبيان بيان مجملاته وتوضيح مشكلاته، فاستدل به علىٰ جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، كما هو مذهب الجمهور من أهل السنة، ونصَّ عليه الشافعي لما تقتضيه (ثم) من التراخي. وهذا الاستدلال لا يتم إلا علىٰ تأويل البيان بتَبْيين المعنىٰ.

- في الحديث استحباب الترتيل والتأني في قراءة القرآن، وقد ترجم عليه البخاري: باب الترتيل في القراءة.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ: يَقُومُ أَحَدُهُمْ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى يَغِيبَ ـ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ.

سُورَةُ الِانْشِقَاقِ

بَابٌ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

١٤٨٧ ـ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ (كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ)، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: (وَفِي رِوَايَةٍ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!) أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ. وَفِي رِوَايَةٍ: عُذِّبَ.

سُورَةُ الشَّمْسِ

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾*

١٤٨٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ. وَذَكَرَ النِّسَاءَ، فَقَالَ: يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ! ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟

(وَفِي رِوَايَةٍ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَضْحَكَ الرَّجُلُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفُسِ).

ـ ١٧٤ ـ

المفردات

- **رَشْحِهِ**: الرَّشْح: هو العرق، شبِّه برشح الإناء لأنه يخرج من البدن شيئًا فشيئًا.
- **لا تَسْمَعُ**: أتىٰ بالمضارع استحضارًا للصورة الماضية لقوة تحققها.
- **حُوسِبَ**: أي: حساب استقصاء.
- **انْبَعَثَ أَشْقَاهَا**: أي: نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة.
- **وَالَّذِي عَقَرَ**: أي: عقر ناقة صالح ﷺ، والمراد: أنه قطع إحدىٰ قوائمها لتسقط ويتمكن من ذبحها.
- **عَزِيزٌ**: قليل المثل.
- **عَارِمٌ**: أي: صعب علىٰ من يَرُومه، كثير الشَّر.
- **مَنِيعٌ**: أي: قوي ذو مَنَعَة، له رهط يمنعونه من الضَّيمَ.
- **الضَّرْطَة**: فسَّرها في الرواية: (مما يخرج من الأنفس) يشير إلىٰ الريح التي تخرج من الدُّبر بصوت.

الفوائد

- **(يقوم أحدهم)**: إشارة إلىٰ قيام الناس من قبورهم في يوم القيامة، فيصيبهم ما يصيبهم في ذلك اليوم من الشدة والحر، وينالهم من ذلك بقدر أعمالهم، فيكون العبد بحسب تقصيره وحاله مع الله ﷻ. وفيه التذكير بلقاء الله ﷻ، والتنبيه علىٰ إعداد العدة لذلك اليوم.
- **(حتى يغيب في رشحه إلى أنصاف أذنيه)**: وهذا بحسب عمله، ومن الناس من يكون دون ذلك كما عند مسلم من حديث المقداد بن الأسود ﷺ وفيه: (تُدنىٰ الشمس يوم القيامة من الخلق حتىٰ تكون منهم مقدار مِيل، فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حَقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا) وأشار رسول الله ﷺ بيده إلىٰ فِيه.

سورة الانشقاق

• **باب**: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

- **(إلا راجعت فيه حتى تعرفه)**: فيه ما كان عند عائشة ﷺ من الحرص علىٰ تفهُّم معاني الحديث. وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجَّر من المراجعة في العلم، وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وتفاوت الناس في الحساب.
- **(من حُوسب عُذِّب)**: قال عياض: قوله: (عُذِّب) له معنيان: أحدهما: أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف علىٰ قبيح ما سلف والتوبيخ تعذيب.

والثاني: أنه يفضي إلىٰ استحقاق العذاب، إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله ﷻ، لإقداره عليها وتفضُّله عليه بها وهدايته لها، ولأن الخالص لوجهه قليل ا.هـ.

قال النووي: التأويل الثاني هو الصحيح؛ لأن التقصير غالب علىٰ الناس، فمن استُقصِي عليه ولم يُسامح هلك ا.هـ.

- **(إنما ذلك العرض)**: قال القرطبي: أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتىٰ يعرف منَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة، كما في حديث ابن عمر ﷺ في النجوىٰ ا.هـ. وهو في الصحيحين وفيه: (سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم).

سورة الشمس

• **باب قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾**

- **(﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[الشمس:١٢])**: وهو الذي قال الله تعالىٰ: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر:٢٩] وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم شريفًا في قومه نسيبًا رئيسًا مُطاعًا كما في حديث الباب.
- **(مثل أبي زمعة)**: هو الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العُزَّىٰ، وهو جد عبد الله بن زمعة راوي هذا الخبر، وكان الأسود أحد المستهزئين المرادين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]. ويُحتمل أن يريد غيره ممن يُكنَّىٰ أبا زمعة من الكفار.
- **(يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد..)**: فيه جواز تأديب الرقيق بالضرب الشديد، والإيماء إلىٰ جواز ضرب النساء دون ذلك، وفي سياقه استبعاد وقوع الأمرين من العاقل، أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته.
- وقد ورد النهي عن ضرب النساء مطلقًا، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله ﷻ.

سُورَةُ اللَّيْلِ

بَابٌ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾

١٤٨٩ ـ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: كُلُّنَا. قَالَ: فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾! وَاللهِ لَا أُتَابِعُهُمْ.

(وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عَلْقَمَةُ: قَدِمْتُ الشَّأْمَ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا. فَأَتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ. فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسَّرَكَ لِي. قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: السِّوَاكِ ـ، وَالْوِسَادِ، وَالْمِطْهَرَةِ؟ وَفِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ـ يَعْنِي عَمَّارًا ـ، أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ؟ ـ يَعْنِي حُذَيْفَةَ ـ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللهِ...).

سُورَةُ الضُّحَى

بَابُ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

١٤٩٠ ـ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ (وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ قُرَيْشٍ)، فَقَالَتْ:

- ١٧٥ -

المفردات

- **أَصْحَابُ عبد الله**: أي: ابن مسعود رضي الله عنه.
- **وهؤلاء**: أي: أهل الشام.
- **صَاحب النَّعلين**: أي: نَعْلَي رسول الله ﷺ، وكان ابن مسعود يحملهما ويتعاهدهما.
- **والوِسَادَ**: هي ما يوضع عليه الرأس أو يتَّكأ عليها، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتولىٰ أمر وسادة رسول الله وسواكه.
- **المِطْهَرَة**: الإناء الذي يتطهر به.
- **جُندُب بن سفيان**: هو البجلي.
- **اشْتَكَى**: أي: مَرِضَ.
- **فجاءت امرأة**: هي أم جميل العوراء بنت حرب، أخت أبي سفيان، وامرأة أبي لهب.
- **وما قَلَىٰ**: أي: ما أبغضك.

الفوائد

سورة الليل

• **باب**: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾

- **(والذَّكر والأنثى)**: هذه القراءة لم تُنقل إلا عمن ذُكر هنا، ومن عداهم قرؤوا: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل:٣] وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلىٰ أبي الدرداء رضي الله عنه ومن ذُكر معه، ولعل هذا مما نُسخت تلاوته ولم يبلغ النسخُ أبا الدرداء ومن ذكر معه.
- **(أوليس عندكم ابن أم عبد)**: يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكانت أمه تُكنىٰ أم عبد، ومراد أبي الدرداء رضي الله عنه بذلك أنه فهم منهم أنهم قدموا في طلب العلم، فبيَّن لهم أن عندهم من العلماء من لا يحتاجون معهم إلىٰ غيرهم، ويستفاد منه أن المُحدِّث لا يرحل عن بلده حتىٰ يستوعب ما عند مشائخها.
- **(صاحب النعلين..)**: المراد بذلك الثناء عليه بخدمة النبي ﷺ، وأنه لشدة ملازمته له لأجل هذه الأمور ينبغي أن يكون عنده من العلم ما يستغني به طالبه عن غيره.
- **(الذي أجاره الله من الشيطان)**: قال ابن حجر: يُحتمل أن تكون الإشارة بالإجارة المذكورة إلىٰ ثباته علىٰ الإيمان لما أكرهه المشركون علىٰ النطق بكلمة الكفر، فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦] وقد جاء في حديث آخر: (إن عمارًا ملئ إيمانًا إلىٰ مُشَاشِه) أخرجه النسائي بسند صحيح، وهذه الصفة لا تقع إلا ممن أجاره الله من الشيطان ا.هـ.

قال المناوي رحمه الله: يعني اختلط الإيمان بلحمه ودمه وعظمه، وامتزج بسائر أجزائه امتزاجًا لا يقبل التفرقة، فلا يضره الكفر حين أكرهه عليه كفار مكة بضروب العذاب ا.هـ.

- **(أوليس فيكم صاحب سرِّ النبي ﷺ..)**: المراد بالسِّر: ما أعلمه به النبي ﷺ من أحوال المنافقين وأسمائهم.

سورة الضحى

• **باب**: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

- **(اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا)**: ولمسلم في رواية: أبطأ جبريل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال المشركون: قد وُدِّع محمد! فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحىٰ:١].

الفوائد

- (فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾): حديث الباب فيه سبب نزول: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[الضحىٰ:١-٢] أقسم الله تعالىٰ بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحىٰ، وبالليل إذا سجىٰ وادلهمت ظلمته، علىٰ اعتناء الله ﷻ برسوله ﷺ، وأنه ما تركه منذ اعتنىٰ به، ولا أهمله منذ ربَّاه ورعاه، بل لم يزل يربيه أكمل تربية، ويرفعه في درجات الكمال، ردًّا بذلك علىٰ الكفار الذين زعموا أن الله ﷻ أبغض نبيه وهجره أبطأ عليه الوحي.

- (﴿وَمَا قَلَىٰ﴾): قال في أضواء البيان: حُذفت كاف الخطاب؛ لثبوتها فيما معها، فدلَّت عليها، هكذا قال المفسرون، وقال بعضهم: تُركت لرأس الآية، والذي يظهر أنه من لطيف الخطاب ورقيق الإيناس ومداخل اللُّطف، أن الموادعة ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تُشعِر بالوفاء والود، فأبرزت فيها كاف الخطاب، أي: لم تتأتَّىٰ موادعتك وأنت الحبيب، والمصطفىٰ المقرب، أما ﴿قَلَىٰ﴾ ففيها معنىٰ البغض، فلم يناسب إبرازها إمعانًا في إبعاد قصده النبي ﷺ بشيءٍ من هذا المعنىٰ. ا.هـ.

- أنزل الله ﷻ هذه السورة علىٰ نبيه ﷺ لتكون له تسلية، وللدعاة إلىٰ الله الماضين علىٰ طريقته عزاءً لما قد يعتريهم من عناء أو شقاء أو جفاء؛ وليعلموا أن الله تعالىٰ لن يدعهم ما داموا علىٰ منهج نبيهم ﷺ، فلا يحزنوا ولا ييأسوا، ولا ينكُصوا، ولا يهنوا، ولا يحزنوا، بل يبشروا بنصر الله وتأييده، وأنه معهم ما داموا ينادون بتوحيده، ويدعون إلىٰ صراطه المستقيم وليوقنوا بوعد الله ﷻ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩].

يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ؛ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ! فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[(١)].



(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ! فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

انتهى بفضل الله وتوفيقه التعليق على (الجزء الرابع)
من كتاب: الجمع بين الصحيحين
للشيخ/ يحيى بن عبد العزيز اليحيى -حفظه الله-
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.